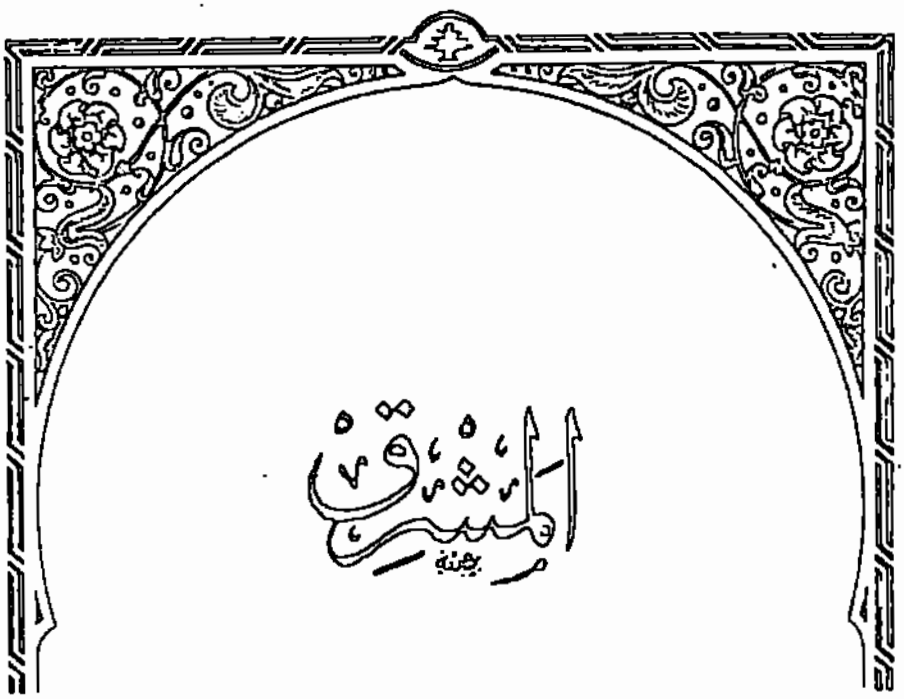

السنة الحادية والاربعون — تشرين الاول — كانون الاول ١٩٦٧

ازياء الاكمام

وما كانت تصلح له في الملابس العربية

بقلم حبيب زيات

في كتاب المدخل لابن الحاج من الفقهاء المالكية آراء واحكام انكر في بعضها كثيراً مما كان جارياً في زمانه من العادات والمصطلحات والبدع. وهي اذا تأملها الباحث المتطلع الى معرفة احوال المتقدمين واوصاف معيشتهم في الحضارة الاسلامية لا تخلو من طُرَف ولُقَط قلّ ان توجد نظائر لها في كتب الاخبار والادب والتاريخ. ومما توسع بذكره من البدع المنهي عنها طول الاكمام واتساعها الخارق قال: «ألا ترى الى ما ورد عن عمر بن الخطاب (رضه) حين لبس ثوباً فوجد كمّه يزيد على اطراف اصابعه فطلب شيئاً يقطعه به فلم يجد فاخذ حجراً والقى كمه عليه ثم اخذ حجراً آخر فجعل يرضه به حتى قطع ما فضل من اصابعه ثم تركه كذلك مدلى حتى خرجت الخيوط منه

وتدلّت فقيل له في خياطته. فقال رأيت رسول الله (صلعم) فعل بثوب كذلك ولم يَخِطْهُ بعد حتى تقطع الثوب.»[1]

ولا ندري هل كانت الاكمام قبل الهجرة بين البدو وفي ديار العرب مفرطة الطول وقد فاتنا علم معظم ما يتعلق بالملابس العربية واوصافها منذ الفتح. ولا شك انه طرأ عليها تدريجاً بمخالطة الاعاجم من اهل البلاد والروم والفرس كثير من التبديل والتعديل، ولكن لا سبيل ان نعرف متى بدأت هذه الاكمام بالطول والاتساع، ولم يرد في ما بين ايدينا من الاسفار القليلة الباقية اشارة اليها قبل العصر العباسي، وذهب المسعودي الى ان المستعين بالله هو اول من «احدث لبس الاكمام الواسعة ولم يكن يُعهد ذلك فجعل عرضها ثلاثة اشبار ونحو ذلك وصغّر القلانس وكانت قبل ذلك طوالاً كاقباع القضاة[2]. وقد فاته ان يحكي لنا طول هذه الاكمام، ولا محالة انه زاد ايضاً لاعتقاد القوم في تلك الاعصار ان الزيادة في الطول والعرض ادعى الى الهيبة والتعظيم. ولذلك امر المنصور بتطويل القلانس في خلافته فكانت تُدعم بعيدان من داخلها حتى قيل فيها:

تراها على هام الرجال كأنها دنان يهود جُلِّلت بالبرانس[3]

ويبلغ من اتساع الاكمام وطولها على التوالي انه لما ملك اليمن بعد ابيه المعزّ اسمعيل بن سيف الاسلام ظهير الدين بن نجم الدين بن ايوب «لبس ثياب الخلافة وعمل طول كل كم خمسة وعشرين شبراً في سعة ستة اشبار»[4] وهو ما لا يكاد يصدَّق لغرابته. ويظهر ان سعة الاكمام وطولها كانا يختلفان باختلاف الطبقات والمراتب فكان العلما، والقضاة واهل القرآن يؤثرون الازدياد منها حبًّا بالتهويل والتعظيم. ولما سأل الناس يواسط علي بن محمد بن دينار بعد موت ابي محمد عبدالله العلوي «ان يجلس لهم صدراً فيُقرئهم امتنع وقال:

---

١) كتاب المدخل ١ : ١٠٦

٢) مروج الذهب، بهامش الكامل، ٩ : ٢١٤ – ٢١٥

٣) الاغاني، طبعة بولاق، ٩ : ١٢١

٤) الاول من السلوك للمقريزي، خزانة باريس ١٧٢٦، ص ٥٣

انا اتمثم مدوّرة وكمّي ضيق وليست هذه حلية اهل القرآن »[1] .

ولم نقف الا مرة واحدة على وزن لكم في ما عدا طوله وعرضه . « حدث ابو الحسن بن حباب صاحب ابن الكرنبي قال اوصى ابن الكرنبي برقعته فوزنتُ فرد كمّ من اكمامها فاذا فيه احد عشر رطلًا قال جعفر الخلدي: وكانت المرقعات تسمى في ذلك الوقت الكَبَل »[2].

وغلب على بعض القضاة حب التجمل بكبر العمامة وفحش الاكمام حتى سخر بهم اهل اللهو ممن يتعاطى عمل خيال الظل فكانوا « اذا عملوا الخيال بحضرة بعض العوام وغيرهم في بعض الاوقات يخرجون في اثناء لعبهم لعبة يسمونها « بابة القاضي » فيلبسون زيّه من كبر العمامة وسعة الاكمام وطولها وطول الطيلسان فيرقصون به ويذكرون عليه فواحش كثيرة وينسبونها اليه فيكثر ضحك من هناك ويسخرون به ويكثرون التقوط عليهم بسبب ذلك »[3].

وما زالت الاكمام تطول وتتسع حتى اصبحت كالاعدال تشتمل على كل ما شاء صاحبها حمله وستره . ومن المُلَح المرويّة في ذلك ما حكاه هبة الله ابن ابرهيم المهدي قال : حدثني عمي منصور بن المهدي انه كان عند ابي في يوم كانت عليه فيه نوبة لمحمد الامين . . . فدخلنا وكانت طريقنا على حجرة توضع فيها الملاهي فقال لي اخي : اذهب فاختر منها عودًا ترضاه وأصلحهُ غاية الاصلاح حتى لا نحتاج الى تغييره عند الضرب ففعلت وجعلته في كمي[4] . ومن أهزل ما رواه الجاحظ او تخيّله من غرائب البخلاء قول احدهم وقد عيب بكثرة مشيه واتساخ سراويله وتخرّق نعله في سبيل خمسة دراهم : « اني من لدن خروجي من منزلي الى ان اقرب من باب صاحبي فاغا تعلي في يدي وسراويلي في كمي »[5] .

ولا نخال وصفًا اوضح وادهش في تعداد عيوب الاكمام الواسعة من قول

---

١) ارشاد الاريب لياقوت ٥ : ٣٧٨

٢) تاريخ بغداد للخطيب ١٤ : ٤١٤

٣) كتاب المدخل ١ : ١٣١

٤) الاغاني ٩ : ٥٦

٥) كتاب البخلاء ١١٧

ابن الحاج ان الرجل « اذا جمع ركبتيه وهو قاعد او اضطجع ورفع ركبتيه فانه قد تنكشف العورة ايضاً لسعة كمه قال: وهذا بيّن مشاهد مرئيّ .»[1] وانكر على بعض اهل الترف والخيلاء المبالغة ايضاً في تطويلها باضافة ذيل لها من الحرير تزييناً لها كما يفعله بعض اهل العلم قال: « فتجد كمّ احدهم له سجاف من حرير نحو شبر.»[2] ولعلهم قلدوا في ذلك زيّ النساء . واذا اعتبرنا هذا الطول والاتساع المفرطين يتضح لنا ان ابن الحاج لم يبالغ بقوله: «ان كمّ بعض من ينسب الى العلم اليوم فيه اضاعة مال لانه قد يُفصّل من ذلك الكم ثوب لغيره»[3].

وليس لدينا اقلّ وصف لازياء اكمام النساء ولعلها لم تكن تتميز عن اكمام الرجال الا ببعض الزخرفة والتزويق والتطريز وقد انكر عليهن ابن الحاج « توسيع الاكمام التي احدثنها مع قصر الكم فانها اذا وضعت يدها ظهرت اعكانها ونهودها وغير ذلك وهذا من فعل من لا خير فيه من المتبرّجات»[4] وكانت المتظرّفة منهن اذا مشت أسبلت كمها تيهاً واختيالاً. قال ابن الساعاتي في تشبيه غصن البان:

وكأنّ غصن البان في اوراقه هيفاء خاطرة بكمّ مُسبَل[5]

وهذه المشية بالكم المُرخى كانت مشية الشطّار من الغلمان، ولذلك قال مروان الصغير في قصيدة له انشدها المتوكل على الله العباسي:

بيضاء خالط وجهها ورد فكيف لنا بشمّه
تمشي كما يمشي الغلام وكمّها مُرخىً ككمّه[6]

ولابي نواس في بعض المُرد من اهل الشطارة:

وكيف اخشاك يا من يصدّ صدّا ويهجر
تمرّ مُسبلَ كمّ مهدّدًا لي بخنجر[7]

١) كتاب المدخل ١ : ١٢١
٢) كتاب المدخل ١ : ١٢٠ – ١٢١
٣) كتاب المدخل ١ : ١٠٨
٤) كتاب المدخل ١ : ٢٠٣
٥) ديوانه ٢ : ١١٠
٦) ديوان ابي نواس، رواية الاصبهاني، خزانة باريس ٤٨٣٠، ص ٢٠١
٧) ديوان ابي نواس، باريس ٤٨٣٠، ص ٢١٩ – ٢٢٠

وللوزير ابي عامر بن شُهيد من شعراء الاندلس في غزله :

هبَّ من مرقده بكرًا سُبلا للكم مرخيَّ الردا[1]

وفي عكس هؤلاء الشطّار كان اللصوص يقصّون من اكمامهم ليكونوا اخفّ يدًا في الطرّ والسرقة . ولما ولي عمر بن هبيرة العراق قال الفرزدق يخاطب الخليفة هشام بن عبد الملك :

أوليتَ العراق وساكنيه فزاريًا احذَّ يد القميص

« ويد القميص هو الكم والسارق يقصر كمه ويخفّفه ليكون اقدر على العمل »[2].

ولما ملك المغرب ابو يوسف يعقوب بن عبد المؤمن من الموحّدين « امر ان يتميز اليهود الذين بالمغرب بلباس يختصون به دون غيرهم وذلك ثياب كحلية واكمام مفرطة السعة تصل الى قريب من اقدامهم وبدلًا من العمائم كأوتات على اشنع صورة كأنها البراديع تبلغ الى تحت آذانهم »[3].

وغنيّ عن القول ان الاسراف في سعة الاكمام وطولها وثقلها كان يزيد كثيرًا في وزنها وهي فارغة فكيف بها وهي ملأى مفعمة فكانت من ثم بمثابة الحمل للشاة وشغلًا شاغلًا للعاملين . وربما غفل احدهم عن امساكها فتبدد ما فيها ولذلك عدّ ابن الحاج الخروج بالكم الخارق خروجًا عن السمت والوقار قال : « ولا يخفى على ذي بصيرة حالهم به كيف هو لخروجهم عن زيّ سائر الناس وتكلفهم في حمله ان تركوه مدلّى ثقُل عليهم في مشيهم فتقلّ مروءة احدهم بسببه فلا يقدر على المشي الكثير بسببه ولا يقدر على تعاطي قضاء الحوائج بسببه وان رفع يده به احتاج الى حمله وفي حمله كلفة وان كان يصلي ثقل عليه في صلاته سيما اذا كان ببطانة وتركه مدلّى وان رفع يده به كان حاملًا لثقل في صلاته فهو شغل في الصلاة »[4].

ومن اغرب ما اتّخذ الكمّ احياناً للتهديد والضرب كالسوط نظرًا

١) نفح الطيب للمقري ٢ : ٢٢٣

٢) النهاية في التعريض والكناية للثعالبي ٢٢

٣) المعجب في اخبار المغرب للمراكشي ٢٢٢

٤) كتاب المدخل ١ : ١٠٩ — ١١٠

للينه وطوله وثقله. « ولما مات كثيّر عزة قال ابو جعفر محمد بن علي: افرجوا لي عن جنازة كثيّر لارفها قال فجعلنا تدفع عنها النساء وجعل يضربهن محمد بن علي بكمّيته . »[1]

ولقرب مُتناوَله من اليد كان الكم يستعمل كالمنديل لمسح الدموع وكالنقاب لتغطية الوجه وحجب النظر. ولابي الفرج احمد بن حسنيل الهمداني في غلام جلس في اخريات الناس وتنقّب بكمه :

جلستَ في اخريات الناس يا قمري بخلًا عليّ بان ادوى من النظر
فصرت من فُرج الاشخاص تلمحني كحاجب الشمس ناغى طرة الشجر
لم نقتنع بقناعي زحمةٍ ونوىً حتى نقبت بالاكمام عن بصري[2]

ولصاعد في تشبيه الوردة :

كعذراء اصرها مبصر فغطّت باكمامها رأسها[3]

وفي تعليق على مجموع احاديث شتى من مخطوطات باريس :

لما بدت في ثياب من ملابسها خفيفة النسج لا يبدا بها النظرُ
خافت عيونًا فغطت وجهها خجلًا بكمها وعلاها الدلّ والخفر
فخلتُ اثوابها اللاتي بها استترت غيمًا يضيء لنا من دونه القمر[4]

وربما تناول بعض الكتاب كمه لمسح ما نقط من الحبر على صحيفته . « حدّث ابو العيناء قال : كنت عند ابراهيم بن العباس وهو يكتب كتاباً فنقط من القلم نقطة مفسدة فمسحها بكمه . فتعجبت من ذلك فقال : « لا تعجب المال فرع والقلم اصل ومن هذا السواد جاءت هذه الثياب . »[5] وفي ضد هذه الاستهانة الغريبة كانت الاكمام هي التي تُقبَّل عند خدمة الرؤساء في موضع اليد او حبًا بالاتضاع للقضاة ورجال الدين . قال ابن بطوطة وقد اعطاه سلطان ما وراء النهر فروة سمور كان طلبها منه لاجل البرد : « لما

١) الاغاني ٨ : ٤٣
٢) تتمة اليتيمة ١ : ١٥٦
٣) ارشاد الاريب ٤ : ١٠٥
٤) مخطوط رقم ٩٨٦ عُدَّ غلطًا في الفهرست بين المخطوطات التركية .
٥) الاغاني ٩ : ٢٠ – ٢١

ذكرتها له اخذ اكمامي وجعل يقبلها بيده تواضعاً منه. »[1] ولعمارة اليمني في جفاء بعض كتاب الدواوين من الاقباط :

وما ضرَّ ارباب الدواوين انهم نصارى وان لم يؤمنوا بمحمد
وهبنا نحن ان رمنا سلاماً عليهم دُفعنا عن الاكمام فضلاً عن اليد[2]

ومن هذا القبيل قول الاستاذ ابي الفرج بن هندو لبعض الرؤساء وقد انصبَّت الخمر على كمّه :

انصبَّت الخمر على كمّي ذالم منه كمّه خدمه
لو لم ترد خدمتي بالتي قد فعلت ما خصّصت كمه[3]

وكانت بعض اكمام الفلمان تُطرَّز كاكمام النساء زخرفة وتزييناً ولصلاح الدين الصفدي في وصف مليح مطرّز الكم :

ومليح طراز كمّيه اضحى مثل خط العذار في حسن رقم
قال قلت الظباء مثلي وما عاز ظباء الفلا سوى طرز كمي[4]

ومن البديهي ان يحاول اهل الذمة تقليد المسلمين في ازيائهم ومصطلحاتهم وان يتخذوا نظيرهم الاكمام الخارقة والعمائم الهائلة خوفاً ان يتميزوا عنهم ويعرفوا فيهانوا. « وفي سنة ٨٢٢ (١٤١٩م) الزم المحتسب اليهود والنصارى بتضييق الاكمام وتصغير العمائم وبالغ في ذلك . »[5]

ولنذكر الآن بعض ما كان يحمل او يوضع في الكم مختار ما في تعداده فكاهة او فائدة ادبية واول ما كان يصلح الكم لامساك الدراهم قيل : « خرج طاهر بن الحسين لقتال عيسى بن ماهان فخرج وفي كمه دراهم يفرقها على الفقراء ثم سها واسبل كمه فتبدّدت فتطيّر .فقال له شاعر في ذلك :

هذا تفرّق جمعهم لا غيره وذهابه منا ذهاب الهمّ
شيء يكون الهمّ نصف حروفه لا خير في امساكه في الكمّ[6]

---

١) رحلته ١ : ٢٢٨
٢) تكملة شعر عمارة اليمني وترسلاته ، مطبعة شالون ، ٤٤١ :
٣) تتمة اليتيمة ١ : ١٣٨
٤) الحسن الصريح في مثة مليح دار الكتب المصرية رقم ١٢٠ه ادب ص٩
٥) الثاني من ابناء الغمر للعسقلاني، باريس ١٦٠٢، ص ٩٣
٦) كتاب الاذكياء لابن الجوزي ١١٢ — ١١٣

وحدّث عمرو بن بانة قال : « كنا في دار ام جعفر جماعة من الشعراء والمغنين فخرجت جارية لها وكمها مملوء دراهم ... فنثرتها في حجر العباس ابن الاحنف »[1].

ولما جلس المتوكل على الله لإعذار ابنه المعتز « احضر الامراء والقواد والندماء فاجلسوا على مراتبهم وجعل بين صوانيهم والبساط فرجة وجاء الفراشون بزبل قد غشيت بأدم مملوءة دنانير ودراهم نصفين فصبّت في تلك الفرج حتى ارتفعت وقام الغلمان فوقها وامروا الناس عن الخليفة بالشرب وان يتنقل كل من شرب ثلث حفنات مما حملت يداه من ذلك المال فكان اذا انقل الواحد منهم ما اجتمع في كمه اخرجه الى غلمانه فدفعه اليهم وعاد الى مجلسه »[2].

ولابي الحسين الجزار في وصف حاله :

ولا تغرنك منه جرعة فصلها وهو عليها نادم
كم اعجبته نفسه فيها الى ان نفدت من كمه الدراهم[3]

وفي الاكمام كان يحمل العلماء والادباء والكتّاب والطلّاب الكتب والالواح للدرس والتقييد . ومن اغرب ما روي عن ابي دواد صاحب السنن انه كان له كم واسع وكم ضيق فقيل له في ذلك فقال : « الواسع للكتب والآخر لا يحتاج اليه . »[4] وكان الفتح بن خاقان يحضر لمجالسة المتوكل فاذا اراد القيام لحاجة اخرج كتاباً من كمه او خفّه وقرأه من في مجلس المتوكل الى ان يعود من الخلاء[5].

ولجلال الدين ابن خطيب داريا من ابيات :

يُعدّا لبُقّياري وفرجيّتي ومشيي كالخائف المُبلس
وكمّي المدول مما به من كتب محفوظها قد نمي[6]

---

١) الاغاني ٨ : ٣٣ – ٣٤
٢) الديارات للشابشتي ٦٥
٣) المغرب لابن سعيد ١٢٦
٤) الخامس عشر من الوافي بالوفيات للصفدي، باريس ٢٠٦٥، ص ٤٦ ؛ وتاريخ بغداد للخطيب ٩ : ٥٨
٥) تحفة ذوي الالباب للصفدي ، باريس ٥٨٢٧، ص ٨٣
٦) روض الاداب للشهاب الحجازي ، خزانة بريتش موزيوم Add. 19489, f° 35

ولما دخل الشافعي العراق في خلافة هرون الرشيد قال: «فمند دخولي الباب تعلق بي غلام فلاطفني وقال ما اسمك فقلت محمد قال ابن من قلت ابن ادريس الشافعي فقال مطّلبي ؟ فقلت اجل فكتب ذلك في لوح كان في كمه وخلّى سبيلي»[1].

وفي الكم او الخفّ كانت تجمع ايضاً رقاع اصحاب الحوائج والمتظلمين وترفع الى الوزراء. حدّث علي بن الجنيد قال : كانت بيني وبين يحيى بن خالد مودة وأُنس وكنت اعرض عليه الرقاع في الحوائج فكثرت رقاع الناس عندي واتصل شغله فقصدته يوماً وقلت له يا سيدي قد كثرت الرقاع وامتلا خفي وكمي فاما تطولتَ بالنظر فيها واما رددتُها»[2].

ولما جُليت بوران على المأمون نثر عليها حبًّا كبارًا كان في كمه (من الدرّ) فوقع على حصير ذهب كان تحته فقال لله درّ الحسن بن هانيء حيث يقول :

كأنّ صغرى وكبرى من فواقعها حصباء درٍّ على ارض من الذهب[3]

وفي ضدّ ذلك كان المبخّرون في فتسح الخليج بحر يضعون الفحم في الاكمام للتبخير ذكر المقريزي ان عدة المبخرين في المواكب ستة ثلاثة عن اليمين وثلاثة عن الشمال وكل منهم مشدود الوسط وفي كمه فحم برسم تعجيل المدخنة والمداخن فضة.»[4]

ومن المُلح الجديرة بالحفظ انه في سنة ٤٢١ (١٠٣٠م) «جرى بين معز الدولة ثمال وبين زوجته كلام فغضبت عليه وخرجت الى المحلة بظاهر حلب فأمر ثمال ان يصاغ لها لالكة[5] من ذهب مرصعة بالجواهر فلما استوت اخذها في كمه وخرج»[6].

١) ثمرات الاوراق لابن حجة ١٧٢

٢) كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري ٢٢٨

٣) الديارات للشابشتي ٦٧ – ٦٨

٤) الخطط ٢ : ٢٧٣ – ٢٧٤

٥) اللالكة لفظة فارسية يراد بها نوع من الاحذية ولم ترد في المعجمات وتجمع على لوالك وجاءت « لكالك » غلطاً في البيتين المقولين في ابن المرحّل المعروف بابن الوكيل وتشبيهه بسوق اللبادين بدمشق :

وداد ابن الوكيل له شبيه بلبّادين جلق في المسالك
فاولـه حـليٌّ ثم طيب وآخره زجاج مع لكالك

(فوات الوفيات للكتبي ٢ : ٢١٧).

٦) زبدة الحلب لابن العديم، باريس ١٦٦٦، ص ٦٢

وكان المشعوذون يعولون كثيراً على اكمامهم لستر حيلهم وتمويه مخارقهم « ذكر هلال بن المحسن ان رجلاً كان يقال له ابو العجب لم يُرَ مثله في ما كان يعمل من الشعبذة دخل يوما الى دار المقتدر بالله فرأى خادماً من خواصه يبكي على بلبل مات له فقال له : ما عليك ايها الاستاذ اذا احييته ؟ فقال ما تريد فاخذ البلبل الميت فادخله كمه وادخل رأسه واخرج بعد ساعة بلبلاً حياً فاجت الدار وعجب الحاضرون فاستدعاه علي بن عيسى (الوزير) وقال: والله ان لم تصدقني عن حقيقة الامر لاضربنّ عنقك فقال: اني شاهدت الخادم يبكي على بلبله فطمعت بما آخذه منه فمضيت الى السوق وابتعت بلبلاً وخبأته في كمي وعدت الى الخادم فقلت ما قلت واخذت البلبل الميت وادخلت رأسه في كمي واكلته واخرجت الحي فلم يشك انهُ بلبله وهذا رأس الميت»[1].

ومن عوائدهم خاصة بمصر اذا حضروا الولائم والاسمطة في المواسم ان يحشوا في اكمامهم كل ما ينتهب من المأكولات بين جامد وسائل ورطب وجافّ من فضلات البساط وقد وصف المقريزي بساط العيد فقال : « وقُدمت جفان القطائف على الرسم مع الحلوى فجروا على عادتهم وملأوا اكمامهم »[2] ولما ذكر ركوب الخليفة في اول شهر رمضان قال : « وأحضرت جفان القطائف وجرار الجلّاب فاكلوا وملأوا اكمامهم . »[3]

ومن اغرب ما عيب حمله في الكم المفتاح « قال ابو نصر بن المرزبان: اربع تذهب بالمروّة . . . حمل المفتاح في الكم »[4]. وقد خفي علينا سبب هذا العيب.

واكثر ما كانت تتخذ اكمام النساء في الخلافة العباسية لحفظ الدراهم والطيب والريحان والزهر. وفي الاغاني : « كانت مُتيّم يعجبها البنفسج جداً فكان عندها آثر من كل ريحان وطيب حتى انها من شدة اعجابها لا يكاد يخلو من كمها الريحان ولا نراه الا كما قُطف في البستان . »[5]

وقد فاتنا كثير من اخبار الاكمام واوصافها في العراق من ازياء النساء بخلاف

---

١) كتاب الاذكياء لابن الجوزي ١٠٦

٢و٣) الخطط ٢ : ٢٢٤ – ٢٢٥ و٢٨٧

٤) برد الاكباد في الاعداد للثعالبي ، دار الكتب المصرية ، رقم ٣١٧ ادب

٥) الاغاني ٧ : ٢٦ – ٢٧

ازيائهن في مصر والشام أشير اليها غير مرة في تضاعيف المجموعات الادبية والمصنفات التاريخية ولكن شرحها يقتضي مقالة خاصة تتناول كل ملابسهن وضروب زينتهن وتبرّجهن، وفيها كل غريب وعجيب . فحسبنا هنا ان لا نتجاوز التنبيه على سعة اكمامهن وطولها وقد افرطن فيها احياناً غاية الافراط حتى اضطر النواب والامراء الى منعها بالقوة والعنف . وكنّ يقلدن فيها غالباً الخوندات اي نساء الملوك والسلاطين وجواريهنّ . وفي سنة ٧٥٠ (١٣٤٩ م) احدث الخواتين نساء السلطان « قمصاناً طوالاً تسحب اذيالها على الارض باكمام سعة الكم منها ثلاثة اذرع فاذا ارخته غطى رجلها . . . وتشبّه نساء القاهرة بهنّ في ذلك حتى لم تبقَ امرأة الا وقميصها كذلك فقام الوزير بابطالها وطلب والي القاهرة ورسم له بقطع اكمام النساء واخذ ما عليهنّ . . . وبعث اعوانه الى بيوت ارباب الملاهي فهجموا عليهن واخذوا ما عندهن من ذلك وكبس مناشر الغسّالين ودكاكين البابيّة واخذ ما فيها من قمصان النساء وقطّعها ووكل بالسكه بالشوارع والطرقات فقطعوا اكمام النساء . . . »[1]

« وفي سنة ٧٧٠ (١٣٦٨ م) نودي بدمشق ان لا تلبس النساء الاكمام الطوال العراض ولا البزّ الحرير ولا سائر الثياب الثمينة ولا الاقبية القصار عن كتاب ورد بذلك من مصر »[2].

« وفي سنة ٧٩٣ (١٣٩١ م) نودي بالقاهرة ان لا تلبس امرأة قميصاً واسعاً ولا يزيد على تفصيل القميص من اربعة عشر ذراعاً وكان النساء بالغن في سعة القمصان حتى كان يفصل القميص الواحد من اثنين وتسعين ذراعاً من البندقي الذي عرضه ثلاثة اذرع ونصف فتكون مساحة القميص زيادة على ثلاثمائة وعشرين ذراعاً وفُحِشَ هذا حتى تشبه عوام النساء في اللبس بنساء الملوك والاعيان . »[3] « وفي ثاني ذي القعدة ارسل الامير كشبُغا جماعة من المماليك والوشاقية فداروا الاسواق والقياسير والطرقات بالقاهرة وظواهرها فقطعوا اكمام النساء الواسعة بالسكاكين وحصل للنساء خوف عظيم لانهم كانوا

١) السلوك للمقريزي المجلد الاول، باريس ١٧٢٦ ، ص ٦٠١ – ٦٠٢

٢) ذيل ابن قاضي شهبة، باريس ٥٩٨ ، ص ١٢٥

٣) السلوك المجلد الثاني ١٧٢٧ ، ص ٢٢٢

يأتون المرأة على غفلة ويمسكونها حتى يقطعوا كمها فامتنع النساء من لبس القمصان بالاكمام الواسعة وتفصيلها ولو تم ذلك لكان خيرًا عظيماً ولكن عاد النساء الى ذلك بعد حضور السلطان من الشام »[1].

ومن هذه المقتطفات يستدل على ما لتاريخ ازياء النساء من الجدة والطرافة والغرابة. ومن سوء حظ الادب والفنون ان لا يكون احد من المتقدمين تفطن لما في كتابته وجمعه من الخطر والشأن والامتاع في تاريخ الحضارة الاسلامية في العراق ومصر والشام.

ويؤخذ من اقوال بعض الباحثين ان الاكمام الطويلة الواسعة كانت معروفة في الشرق وفي مملكة اشور وبابل ، ثم شاعت عند الروم البيزنطيين فكان القياصرة يلبسونها مسبلة تتدلى الى الاقدام وكذلك نساؤهم كما تشهد بذلك بعض الصور المحفوظة وآخر من رُئي منهم مصورًا بهذا الزي الكسيوس الثالث قيصر طرابزندة (١٣٥٠ - ١٣٩٠ م) وكان لبعض رجال الدولة والاراخنة حق بلبس هذه الاكمام على شرط ان تبقى مرفوعة منوطة بالزنار في الظهر[2]. ونُقل عن اهل الصين انه كان من عاداتهم في اللباس توسيع الاكمام وتطويل الذيول والمناطق[3].

ولا سبيل لنا اليوم لمعرفة الزمن الذي بطلت به الاكمام الواسعة العريضة التي كانت كالجوالق والاكياس وقام مقامها في الحب والستر الجيوب المعروفة اليوم التي تُشق في الاقبية والملابس. وقد اغفلت المعجمات التنبيه على المعنى المولّد من الجيب واقتصرت على معناه القديم اي الطوق المحيط بالعنق ويقال له ايضاً الجربان ويظهر ان اللفظة بمعناها المحدث كانت معروفة في زمن العباسيين ، وان لم يشر اليها احد من اللغويين والمنشئين ويدل على ذلك قول علية اخت الرشيد.

خبأتُ في شعري اسم الذي اردته كالمسك في الجيب[4]

ولبديع الزمان الهمذاني في احدى رسائله : « قليل في الجيب خير من كثير في الغيب »[5].

١) ذيل ابن قاضي شهبة، باريس ١٥٩٩، ص ٦٩

٢) J. Ebersolt, *Les Art somptuaires de Byzance*. Paris, 1923 , p.122-124

٣) مباهج الفكر ومناهج العبر للوطواط ، دار الكتب المصرية رقم ٣٥٩ العلوم الطبيعية ، ج ٢ ص ٢٨٦

٤) الاغاني ٩ : ٨٥

٥) رسائله، طبعة الاستانة، ٤٣

لمة الحضارة

الفتوّة والفتيان والفتيانيّة

للفتوّة في الحضارة الاسلامية معانٍ متباينة ترجع الى طبيعة الفتاء اي الشباب، وما قد يصحبها من حسن الخلق وبذل المعروف[1]، والخوية والكرم[2]، او ما يغلب عليها من حب اللهو والقصف ومعاقرة الشراب والانقياد الى الشهوات، كما سيجيء. ولم نجد من اشار الى كلّ منها في كتب اللغة. واقتصرت مجلة لغة العرب في بغداد (٤/١٩٣٠، ص ٢٤١ - ٢٤٩) على شرح «طريقة الفتوّة» وسياقة اخبارها منذ شهرها الخليفة العباسي الناصر لدين الله في بدء القرن السابع للهجرة اي سنة ٦٠٧/١٢١٠، وجعل شعارها «شرب الكاس ولباس السراويل»، ودعا اليها من احب تشريفه من الملوك والامراء والرؤساء في زمانه. وفي زعمها ان لفظ الفتوة في معناها المذهبي مأخوذ من القول المشهور «لا فتى الا علي». وقد انكر ابن تيمية هذه الطريقة المحدثة ووضع فيها رسالة دعاها «الكلام على بطلان الفتوة المصطلحة بين العوام وليس لها اصل متصل بعلي»[3]. ولم يشر احد الى الزمن الذي بدأت فيه هذه البدعة ولا اين نشأت قبلاً افي العراق ام مصر. وقد تقدمت خلافة الناصر بما قد يزيد على قرنين وربما اتخذت احياناً وسيلة او ستاراً للدعوة للفاطميين، وهو ما يُستحصل من قول ابن الجوزي:

«سنة ٤٧٣ (١٠٨٠م) في ذي الحجة قُبض على انسان يعرف بابن الرسولي الخبّاز وعلى عبد القادر الهاشمي البزّاز وجماعة انتسبوا الى الفتوّة. وكان هذا

١) سُئل محمد ابو بكر البيهقي النيسابوري عن الفتوّة فقال: هي حسن الخلق وبذل المعروف (خزانة اكسفرد Huntington 198 f° 209)

٢) اساس البلاغة للزمخشري، طبعة الدار، ٢: ١٨٤

٣) فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ٢: ٥٧

ابن الرسولي قد صنف في معنى الفتوة وفضائلها وقانونهـا وجعل عبد القادر المتقدّم على من يدخل في الفتوّة وان يكونوا تلامذته . وكتب لكل منهم منشورًا وقلّده صقعاً ولقب نفسه « كاتب الفتيان » وجعل ذلك طريقًا الى دعوات ومجتمعات تعود لمصلحته وكتب الى خادم لصاحب مصر بمدينة النبي يعرف بخالصة الملك ريحان الاسكندراني قد درّب نفسه لرئاسة الفتيان وصارت المكاتبات من جميع البلدان صادرة منه واليه والتعويل في هذا الفن وقف عليه .

« وعنّ لابن الرسولي ان جعل اجتماعهم بمسجد براثا وكان مسدود الباب مهجورًا ففتح بابه ونصب عليه باباً ورتّب فيه من يراعيه . فعرف ذلك اصحاب عبد الصمد[1] . فانكروه وشكوه الى الديوان وعظموا ما يكون منه وما يتفرع عنه وقالوا : ان هؤلاء القوم يدعون لصاحب مصر ويجعلون ذكر الفتوّة عنوانًا لجمع الكلمة على هذا الباطن . فطالع الوزير عميد الدولة بالحال فتقدم حينئذٍ بالقبض على ابن الرسولي وعبد القادر والكشف عن الحال . ووُجد لابن الرسولي في هذا المعنى كتب كثيرة وكتاب منه الى الخادم المتقدم ذكره فاستخلاه الوزير عميد الدولة وسأله عن الداخلين في هذا الجهل وطُلبوا فقُبض على من وجد منهم وهرب الباقون . وجعل الشحنة والوالي ذلك دليلًا الى الشنقصة[2] وقطع المصانعات عليهم . ونُهبت دورهم ثم أُخذت فتاوى الفقهاء عليهم بوجوب كفهم عن هذا الفساد . »[3]

وقلّ جدًّا من اشار الى هذا المعنى من الفتوّة قبل القرن الخامس . ومن

---

١) ذكر ابن الجوزي « اصحاب عبد الصمد » فقال : « هم اصحاب المساجد » (المنتظم ٨ : ٣٥١ ، طبعة حيدراباد) ونقل من اخبارهم سنة ٥٠٠ ما يأتي : « في شهر رمضان تجدد للعوام المتدينين المتسمين باصحاب عبد الصمد الزام اهل الذمة بلبس الغيار » (٨ : ١٩٠) ويستدلّ من ذلك انهم كانوا فئة من العامة للتحسين في الدين اجتمعوا على الامر بالمعروف كما كان يقال ، والنهي عن المنكر ، واحياء السنة واقامة رسوم الشرع ولم تقف على شيء من ترجمة زعيمهم عبد الصمد الذي انتسبوا اليه .

٢) الشنقصة لفظة مولدة مصدر شنقص الرجل الخبر اي استقصاه ، عرفت بها طائفة من الجند يقال لهم الشاقصة الواحد شنقاصي ، ويراد بها تتبع الاخبار والتسلط على الناس ومصادرتهم .

٣) المنتظم ٨ : ٣٢٧

تتبع كتب الاخبار والادب يجد ان المراد من الفتوة في اللغة واقوال الكتاب والشعراء كان يضدّ ذلك مرادفاً لمعنى الصبوة ، اي جهل الشباب من اتّباع الاهواء والانصباب على اللذات ومعاقرة الشراب واستماع الغناء والميل الى الغزل والتحدث الى النساء . ولا بأس ان نتوسع قليلًا في ايراد الشواهد الدالة على هذا المعنى . واول ما نذكر منها قول الاعشى في احدى الروايتين :

وكأس شربت على لذّة وأخرى تداويت منها بها
لكي يعلم الناس اني امرؤ اتيت الفتوّة من بابها[1]

فجعل شرب الخمر باب الفتوّة .

وللجاحظ في كتابه طبقات المغنين : « وجدنا لكل دهر دولة للمغنين يحملون الغناء عنهم ويطارحون به فتيان زمانهم وجواري عصرهم وخُصصنا في ايامنا وزماننا بفتية اشراف وخلّان نظاف انتظم لهم من آلات الفتوّة واسباب المروّة ما كان محجوباً عن غيرهم . »[2]

ومن كلامه ايضاً : « نزع الى الفتوة بعد التوبة والى اخلاق الحداثة بعد الحنكة . »[3] « ومن لم يشرب على الريق فهو « نَكِس في الفتوة »[4] وعدّ المبرّد الغناء من آلات الفتوّة في كلامه على خليلان الاموي فقال : « كان يتغنى ويرى ذاك زائداً في الفتوة . »[5]

ولما اشار المسعودي الى خلافة الوليد بن يزيد قال : « كان الوليد صاحب شراب وفتوّة ومجون »[6] فقرن الفتوة بالهزل والاستهتار .

وفي كتاب الاغاني : « كان العرجي صاحب غزل وفتوّة . »[7] وفي وصف دقاق المغنية « كانت مشهورة بالظرف والمجون والفتوة . »[8] وفي الكلام على

١) غاية الارب للنويري ٤ : ٢٠٥ وشرح المقامات للشريشي ١ : ٢٠٩
٢) طبقات المغنين بهامش الكامل للمبرد ١ : ١٢٤-١٢٥
٣) مختارات فصول الجاحظ ، خزانة بريتيش موزيوم Or. 3138, f° 51
٤) كتاب البخلاء ، طبعة مصر ، ٨٣
٥) الكامل للمبرد ٢ : ٢٢
٦) مروج الذهب ، بهامش نفح الطيب ، ٢ : ٢٦١
٧) الاغاني ، طبعة بولاق ، ١ : ١٥٤
٨) الاغاني ١١ : ٦٨

عمرو الغزال : « كان ظريفاً اديباً نظيف الوجه واللباس معه كل ما يحتاج اليه من آلة الفتوّة. »[1] وفيه ايضاً : « قال رجل من اهل المدينة : ما ذُكر بيت حسّان بن ثابت :

أهرى حديث الندمان في فاق الصبح وصوت المسامر الفرد

الّا عدت في الفتوّة كما كنت . »[2]

ولابي اسحق ابرهيم المعروف بالرقيق النديم في كلامه على والبة بن الحباب: «لو قلت انه سنّ الفتوّة وشرع المنادمة لقلت حقّاً . . . وكان لوالبة اخوان مثله في الفتوّة والظرف وادمان القصف . . . اما عبد الصمد بن المعذّل فسلك طريقة ابي نواس والحسين بن الضحاك فتوةً وظرفاً وإدماناً وشعراً».[3] وجاء في ترجمة اسحق بن خلف المعروف بابن الطيب «كان رجلًا شأنه الفتوّة ومعاشرة الشطّار والتصيّد بالكلاب وايثار اصحاب الطنابير . . . ولم يزل على رسم الفتوّة وضرب الطنبور الى ان توفي في حدود الثلاثين ومائتين»[4]

وكانت بعض الحانات وبيوت الخمّارين معروفة بتردد اصحاب الفتوّة اليها مشهورة باجتماعهم فيها ولذلك قال القلقشندي في تعريفه ما كان كاتب الانشاء الشريف يحتاج اليه « ربما احتاج الى معرفة مصطلح الفتيان فيما يكتب به في دسكرة فتوّة ونحو ذلك »[5].

وهذه الشواهد صريحة في النصّ على معنى الفتوّة قديماً ، وانه كان يُراد بها رسم الشبان الازوال في الطيش والتلذذ بطيّبات العيش ومنها يتضح ايضاً معنى « الفتيان » الصحيح في قول كتاب الاغاني في اخبار المغني الحيري حنين بن بلوع « كان حنين اذا حمل الرياحين الى بيوت الفتيان ومياسير اهل الكوفة واصحاب القيان والمتطرّبين . . استحلّوه ». وقول حنين : « خرجت الى حمص فسألت عن

١) الاغاني ، طبعة بولاق ، ٢٠ : ٦٤
٢) الاغاني ، طبعة بولاق ، ١٦ : ١٨
٣) قطب السرور في وصف الخمور بريتش موزيوم Or. 3628, f° 46 b, 73 b
٤) فوات الوفيات للكتبي ١ : ١٢
٥) صبح الاعشى ١ : ١٤٦

الفتيان وابن يجتمعون فقيل لي: عليك بالحمامات فانهم يجتمعون بها اذا اصبحوا »[1] وما ندري كيف التبس مدلول هذه اللفظة على من فسّرها في مجلة لغة العرب او علّق عليهـا حاشية الاغاني في طبعة الدار حتى ظنّ كلاهما ان الفتيان هنا « طائفة يدينون بالفتوّة وخصال الرجولة وهم اشدّ الناس احتفالاً بالقرباء واسرع الى اطعام الطعام »[2] وان الفتوّة وهي « استجماع النعوت الكريمة والاخلاق القويمة والطباع السليمة كانت في زمن الامويين ».[3] فهل لم يكن يجد الفتيان وقتئذٍ لممارسة الاخلاق القويمة وخصال الرجولة الا الحمامات وبيوت اصحاب القيان والمتطربين ؟ وكيف التوى المعنى المراد مع دلالة القرينة عليه من ذكر اللهو والطرب والاستحمام ؟ ومع ذلك فلئلا تبقى شبهة في صحة الوجه اللغوي ننقل هنا بعض الشواهد ايضاً على معنى « الفتيان » قديماً قبل ان يُطلق على امثال « البنويّة والاخيّة » الذين ورد وصفهم في رحلة ابن جبير (طبعة ليدن ٢٨٠) وابن بطوطة (طبعة باريس ٢ : ٢٦٠ — ٢٦٥) او يتناول احياناً معنى اللصوص كما ورد في ترجمة الفارابي في تاريخ الحكماء للبيهقي (طبعة دمشق ، ص ٣٣).

قال أوس بن حجر الأسدي يرثي فضالة بن كلدة:

ليبكِ الشرب والندامة والفتيـان طرًّا وطامع طمعا [4]

وقال محمد بن ادريس بن سليمان بن ابي حفصة : « قبر الاعشى بمنفوحة وانا رأيته فاذا اراد الفتيان ان يشربوا خرجوا الى قبره فشربوا عنده وصبّوا عنده فضلات الاقداح »[5].

وللحسن بن هانئ :

اذا كان يومي ليس يوم مدامة ولا يوم فتيان فما هو من عمري[6]

وله ايضاً :

يارب مجلس فتيان لهوت به والليل مستلئم في ثوب ظلماء[7]

---

١) الاغاني ، طبعة الدار ، ٢ : ٢٤٦

٢) الاغاني ، طبعة الدار ، ٢ : ٢٤٦ ، حاشية ٤

٣) لغة العرب ٤/١٩٣٠ ، ص ٢٤١ و٢٤٣

٤) الاغاني ٨ : ٨٦

٥) قطب السرور المذكور آنفاً ، ص ١٦٨

٦) اخبار ابي نواس لابن منظور ، ٢٢٩

ومن ابيات شواهد النحو :

وفتيانٍ على شرف جميعاً دلفت لهم بباطيـة هدور
فلا تشرب بلا لهوٍ لانبي رأيت الخيل تشرب بالصفير(١

ومن العقد الفريد لابن عبد ربه :

« قال عبدالله بن صفوان لعبدالله بن جعفر بن ابي طالب : ابا جعفر لقد صرت حجة لفتياننا علينا اذا نهيناهم عن الملاهي »(٢ .

« كانت البغايا في الجاهلية لهنّ رايات يعرفن بها وينتحيها الفتيان »(٣ .

« قال الاوقص المخرومي : قالت لي امي : اي بني انك خلقت في صورة لا تصلح معها لمجالسة الفتيان في بيوت القيان »(٤ .

« قيل للحسن بن هانئ : ما السرور ؟ قال : مجالسة الفتيان في بيوت القيان ومنادمة الاخوان على قضب الريحان »(٥ .

وغنيّ عن القول ان المراد بالفتيان في كل هذه الشواهد معناها اللغوي المشهور لا معناها المذهبي المحدث ، اي الشبان والغلمان الذين لا ارب لهم الا في الاستمتاع بالحياة وطيبها وتتبع اللذات من الشرب والغناء والغزل والتحدث الى النساء . ولذلك قيل « فتياني » لكل من نهج منهجهم من الرجال والكهول . قال الجاحظ : « ادركت رواة المسجدين والمربدين . . . ما يروي عندهم نسيب الاعراب الا حدث السن قد ابتدأ في طلب الشعر او فتياني متغزل »(٦ .

ومن كانت هذه سبيله في التلذذ والتنعم والتقرب والتحبب كان في الغالب ارق اخلاقاً واطيب حديثاً ومذاقاً واشهر كياسة ولطفاً ولذلك نُسب الظرف الى الفتيان والفتاء الى الظرفاء فقيل « فتيانية الظرفاء » ومُدح بها المبرّد في قصيدة لاحمد بن عبد السلام قال فيها :

---

١) العقد الفريد ٣ : ١٩٦
٢) » » ٢ : ١٢٥
٣) » » ٣ : ٢
٤) » » ٣ : ١٩٣
٥) » » ٣ : ٢٢٦
٦) البيان والتبيين (طبعة سنة ١٣١١) ، ٢ : ١٦٤

جليس خلائف وغذيّ ملك واعلم من رأيت بكل أمر
وفتيانية الظرفاء فيه وآجة الكبير بغير كبر(١

بقي من معاني الفتوّة ما حكاه ابو اسحق ابرهيم المعروف بالرقيق النديم قال: «دعا محمد بن عبدالله بن طاهر رجل من اصحابه دعوة احتفل فيها فلما حضر محمد طالبه بالطعام فطاله ليتلاحق ويتكامل على ما احبه من الكثرة والاحتفال حتى تصرّم اكثر النهار ومسّ محمداً الجوع وتنغّص عليه يومه فشرب عنده اقداحاً وانصرف . . . »

(وسافر بعد ذلك محمد بن طاهر) «فشيّعه هذا الرجل فلما دنا منه ليودّعه قال له : ايأمر الامير بشيء ؟ قال: نعم اجعل طريقك في عودتك على محمد بن الحارث بن بسخنر فسَلْهُ ان يعلمك الفتوّة . فمضى حتى دخل على محمد بغتة وقال: بعثني الامير اليك لتعلمني الفتوّة . فضحك وقال : ياغلام هات ما حضر . فجيء بطبق كبير عليه ثلاثة ارغفة من انقاء الخبز وثلاث سكرجات سُمري وخلّ وملح من اجود ما يتخذ من هذه الاصناف فابتدأ يأكل فجاءته فضلة باردة من مطبخه وتداركها الطبّاخ بطباهجة ثم وافاه من منزل حرمه فضلة اخرى واهدى اليه بعض غلمانه جام حلواء فانتظم له امر خفيف ظريف في زمان يسير بغير احتشام ولا انتظار الى ان ادرك الطعام واخذ في الشراب فقال له: اذا دعوت احداً من اخوانك فليكن هكذا عملك ولا تنتظر استكمال الطعام»(٢.

١) ارشاد الاريب لياقوت ٧ : ١٢٩
٢) قطب السرور Or. 3628, f° 30 b

اهميّة ومُهِمّ وصنيع

الاهمية لفظة محدثة وردت في كتابات المتأخرين في القرنين الماضيين . ولعلها اول ما اتخذت في تعريب الكلمة الفرنسية importance . وكان يقال قديماً في معناها امر « ذو بال » اي يُبالى به ويُهتمّ به لقدره وعظمه ، وامر « ذو شأن » وهو كل ما جلّ وعظم من الامور والاحوال . قال عبد الملك بن عبد الحميد من ابيات في الهجاء :

الماء في دار عثمان لـه ثمن والخبز فيها له شان من الشان (١

ومن هذا الباب ايضاً قولهم امر ورجل « ذو خطر » اي له قدر ورفعة . قال قابوس بن وشمكير :

قل للذي بصروف الدهر عيّرنا هل عاند الدهر الا من له خطرُ (٢

وهو اخفّ وارشق من لفظ « الخطورة » التي ولع بهـا الكتّاب اليوم ، وهي لم ترد في كتابات احد من فحول المنشئين المتقدمين . والخطورة مصدر خطر الرجل صار خطيرًا فلفظ « الخطر » اقعد في مكانها وادلّ على الاهمية ، واذا استعمل في معناها تعذّر جدًّا ان يلتبس بمعنـاه الآخر اي الخوف من العطب والاشراف على الهلاك .

وقد تحامى الكتّاب منذ سنوات استعمال لفظ « الاهمية » بعد شيوعهـا ورواجها ، وخفي علينا سبب اطّراحها هل هو لشك في توجيهها اللغوي ام لانكار نسبتها والحاق ياء المصدرية بها . ولا يبعد ان يكون اول جانٍ عليها المجمع العربي بدمشق ، حين عنّ له ان يستدرك على كتاب تذكرة الكاتب قولـه (التنبيه على اهم الغلطات) وعلّق عليه « ان اهمّ افعل تفضيل من فعل هته الامر اذا اقلقه واحزنه » (المجلة ، ١٩٢٤ ، ص ٢٦٠) ومثل هذا الانتقاد بلفظه وصورته تعزير للقراء وتضليل للآراء لان صفة اهم بمعناها المجازي كانت

١) وفيات الاعيان ٢ : ٤٦٠

٢) ارشاد الاريب لياقوت ٦ : ١٤٨

ذائعة متداولة منذ صدر الاسلام. قال الشابشتي :« كتب المأمون كتاباً بخطه الى عبد الله بن طاهر يُقسم عليه ان يحوّل مضربه من وجه بابك الى وجه خراسان فان خراسان اهم من المملكة كلها بعد الحضرة . فمضى لوجهه الى خراسان حتى وافى نيسابور وكتب الى المأمون : « اني وافيت نيسابور فوجدت حولها عشّ المارقة ووجدتها اهمّ الكُوَر والمهمّ ابدًا ابدى واولى» قال: فأعجب المأمون من الكتاب بهذه اللفظة ولم يزل الكتاب يتذاكرونها بينهم[1] » . « قال ابو علي محمد بن العلاء الشجري : « لما تقلد عبيد الله بن سليمان الوزارة للمعتضد رفع عبيد الله بن عبد الله بن طاهر اليّ رقعة سألني عرضها على عبيد الله بن سليمان فكان فيها :

اى دهرنا اسافنا في نفوسنا واسغنا في من نُجلّ ونُعظمُ
فقلت له نُماك فيهم أنسّها ودعْ امرنا ان المهمّ المقدّمُ[2]

وفي كتاب الوزراء والكتّاب للجهشياري « كان ابو العباس الطوسي يتعقّد في ختم الكتب فشكا يحيى بن خالد الى الرشيد تأخر الكتب فامره ان يكاتب العمال عن نفسه وامر كاتبه ان يكتب عنه في المهمّ » (ص ٢١٣ .

والشواهد على هذا الاستعمال اكثر من ان تعدّ فحسبنا ما تقدم منها.

واما الحاق ياء المصدرية بافعل التفضيل فقديم ربما سبق الاسلام سمع منهم في النسبة الى اول كما في البيت :

قضى هرم يوم المريرة بينهم قضاء امرئ بالاوليّة عالم[3]

وللفرزدق في مدح زين العابدين :

اىّ الخلائق ليست في رقابهم لأوليّة هذا او له نعم...
من يعرف الله يعرف اوّليّة ذا فالدين من بيت هذا ناله الامم[4]

ومثلها في كتب اللغة : الالمعية والاريحية . وفي اصطلاح المتأخرين : الافضلية ، والارجحية ، والاغلبية ، والاكثرية ، والاقلية ، وما اشبه فلا لوم ولا تثريب على من استعمل الاهمية اليوم .

١) كتاب الديارات ، برلين ، ٥٨ — ٥٩
٢) الديارات ، ٤٨
٣) البيان والتبيين للجاحظ ، المطبعة العلمية ، ٤٧
٤) الاغاني ، طبعة بولاق ، ١٤ : ٧٨

وللمهمّ في الدول المصرية معنى مُحدَث وهو اطلاق الكلمة على كل ما احتُفِل به من دعوة ووليمة واجتماع في الافراح والاحزان والمواكب والاعياد والاعمال السلطانية نذكر منها الشواهد الآتية بحسب تواريخها :

« في العشر من ذي الحجة سنة ٦٩٢ كان طهور السلطان الملك الناصر . . . وكان ذلك آخر فرح وهمّ عمله الملك الاشرف »[1] .

« سنة ٧١٣ ندب السلطان الامير بدر الدين بن التركماني لعمل جسور الجيزة وقناطرها واستدعى المهندسين . . . وخرج العسكر جميعه والامراء باضافيهم للعمل في ذلك فكان مهمّاً عظيماً »[2] .

« سنة ٧١٦ مرضت زوجة الامير طغاي فعادها السلطان مرارًا فلما ماتت نزل الامراء كلهم للصلاة عليها وعمل كريم الدين لها مهمّاً عظيماً »[3] .

« سنة ٧١٩ الملك المؤيد صاحب حماة . . . اركبه الملك الناصر في القاهرة بشعار الملك وآبهة السلطنة ومشى الامراء والناس في خدمته . . . وقام له القاضي كريم الدين لكل ما يحتاج اليه في ذلك المهمّ »[4] .

« سنة ٧٢١ ولد للسلطان من خوند طغاي ولد سماه انوك . . . فعمل السلطان عند ولادتها مهمّاً عظيماً للغاية »[5] .

« سنة ٧٣٢ كتب الى الامير تنكز نائب الشام ان يحضر ومعه نائب حماة لحضور مهمّ الامير انوك على بنت الامير بكتمر الساقي »[6] .

« سنة ٧٥٥ خرج السلطان الى ناحية سرياقوس على العادة ومعه والدته وحريمه وجميع الامراء . . . وعمل لخوند قطلوملك امه مهمّاً طبخ فيه الطعام بنفسه وكان مهمّ يخرج عن الحد في كثرة المصروف »[7] .

وعلم جرًّا وكان يقال قديماً في هذا المعنى « الصنيع » ورد في كلام الفصحاء

١) تاريخ حوادث الدهر وابنائه للجزري ، باريس ٦٧٣٩ ، ص ١٧٦
٢) السلوك للمقريزي ، خزانة الفاتيكان ٧٥٩ ، ص ٤٣
٣) الكتاب المذكور ، ص ٥٠
٤) فوات الوفيات للكتبي ١ : ٢٠٠
٥) السلوك للمقريزي ، خزانة الفاتيكان ٧٥٩ ، ص ٦١
٦) الكتاب المذكور ، خزانة الفاتيكان ٧٥٩ ، ص ٩١
٧) السلوك ، خزانة باريس ١٧٢٧ ، ص ١٨

من الكتاب والشعراء. وهذه بعض الشواهد على استعماله نبدأ منها بقول ابي الفرج الاصبهاني :

« كان بعض ولاة الكوفة يذمّ الحيرة في ايام بني امية فقال له رجل من اهلها . . . ادعُ ما شئت من لذات العيش فوالله لا اجوز بك الحيرة فيه قال : فاصنعْ لنا صنيماً واخرجْ من قولك »[1].

وفي مروج الذهب للمسعودي :

« بلغ المأمون خبر عشرة من الزنادقة . . . فامر بجمعهم اليه . . . فلما جمعوا نظر اليهم طفيلي فقال : ما اجتمع هؤلاء الا لصنيع فدخل في وسطهم »[2].

وفي العقد الفريد لابن عبد ربّه :

« اقبل طفيلي الى صنيع فوجد باباً قد أُرتج ولا سبيل الى الوصول فسأل عن صاحب الصنيع » (٢ : ٢٧٧) .

وفي نفح الطيب للمقري :

« دخل القاهرة ابو الحسن بن سعيد صاحب كتاب المُغرب في حلى المغرب فصنع له ادباؤها صنيماً في ظاهرها » (١ : ٤٥١) .

« حُكي ان الناصر لدين الله لما اعذر لاولاد ابنه ابي مروان عبيد الله اتخذ لذلك صنيماً عظيماً بقصر الزهراء » (١ : ١٧٥) .

للوزير الجزيري من قصيدة :

وانى الصنيعُ نحين تم تمامه في السحر انشا رَدْنه بتدفُّقِ

« وكان السبب في هذه الابيات ان المنصور صنع في ذلك الاوان صنيماً لتطهير ابنه عبد الرحمن وكان عام قحط . . . فلما كان يوم ذلك الصنع نشأت في السماء سحابة عمت الافق ثم اتى المطر الوابل » (١ : ٢٤٨) .

« قال ابن الاحمر : وانشد ابن زمرك في الصنيع المخصوص بعمنا الامير ابي عبدالله :

ولما دعوت الناس لخير صنيعه اجابوا لهم من جانب الغور داعيا (٤ : ٢٠٢ و ٢٠٧)

---

١) الاغاني ، طبعة الدار ، ٢ : ٢٥١

٢) حاشية نفح الطيب ، ٣ : ٢٧٦

ذخائر الخزائن

تذكرة ابن العديم

من اشهر ما عرف من المجاميع باسم « التذكرة » تذكرة ابن حمدون الكاتب البغدادي (٤٩٥ — ٥٩٢ = ١١٠١ — ١١٩٥) رتّبها على خمسين باباً طبع منها الباب الثاني في الادب والسياسة في ستة فصول ، في مطبعة النهضة بالقاهرة ، سنة ١٣٤٥/١٩٢٧ . ولا تزال بقية الاجزاء مخطوطة متفرقة في الخزائن الشرقية والغربية ، وصفها كاتب چلبي بقوله : « انها مجموعة من احسن المجاميع جمع فيها التاريخ والادب والاشعار والنوادر »[1]. وتليها في الامتاع والاتساع تذكرة صلاح الدين الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ (١٣٦٢ م) ومنها اربعة مجلدات رقم ٤٢٠ (ادب) في دار الكتب المصرية . وفي كشف الظنون ان الاصل في ثلاثين مجلداً « جمع فيها نوادر الامثال والاشعار ولطائف الاديبات نظماً ونثراً »[2] . ولكن يستفاد من قول الصفدي نفسه في الاجازة الملحقة في آخر كتابه « الحسن الصريح في سنة مليح » المخطوط بقلمه في دار الكتب المصرية (رقم ٥١٢٠ ادب) ان التذكرة بتاريخ ثالث شوال سنة خمسة واربعين وسبعمائة (١٣٤٥ م) كانت اربعة وعشرين مجلداً فقط . وقد طالعنا في الدار هذه المجلدات الاربعة ولم نجد ما يُحتفظ به منها سوى بعض ابيات في الجزءين الثالث عشر والرابع عشر . ولكن عثرنا في الجزء الثامن والاربعين على ارجوزة له جامعة كان نظمها قبلاً في ذكر من تولى امر دمشق من الخلفاء والملوك والنواب ودعاها « تحفة ذوي الالباب في من حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب » (ص ١٤٥ — ١٦٥) وهي تصلح لمعارضة النسختين الموجودتين من هذه الارجوزة في خزانتي باريس وبطرسبرج . وتليها في التذكرة « رسالة تشتمل على ذكر من ولي امرة دمشق المحروسة في الاسلام

١) كشف الظنون ، طبعة اروبة ، ٢٥٥-٢٥٦

٢) » » » » ٢٦٢

او دخلها من الخلفاء وغيرهم مرتبين على حروف المعجم» (ص ١٦٦ – ١٨٩) ولا نعرف لهذه الرسالة نسخة اخرى .

وقد اسعدنا التوفيق بالوقوف في دار الكتب المصرية ايضاً على نسخة مصوّرة عن الاصل بعنوان « تذكرة ابن العديم » بخط المؤلف ، كما يستدلّ من الورقة ١٧٦[1] . وهي في مجلد ضخم في ٤١٠ ورقات (رقم ٨٠٦٩ ادب) اوله الجزء الخامس وآخره الجزء السادس عشر فيكون الناقص منه اربعة اجزاء فقط . وابن العديم هو كمال الدين ابو حفص عمر بن هبة الله بن ابي جرادة العقيلي الحلبي المتوفى سنة ٦٦٠ / ١٢٦١ – ١٢٦٢ مؤلف كتاب « بغية الطلب في تاريخ حلب » . ومنه نسختان في خزانتي باريس وبريتيش موزيوم .

ولم نهتدِ الى من تكلم على تذكرة ابن العديم بين مؤلفي كتب التاريخ والتراجم والاديبات . ولعلّ إغفالها كان لندرة نسخها او انها بقيت مسودة للمصنف يدوّن فيها احسن ما قرأه في مطالعاته من الاخبار والنوادر والاشعار او سمعه من والده وشيوخه من الملح والطرائف . وهو كثيراً ما ينقل من خطوط الرواة بغاية الضبط والامانة . ولذلك اقبلنا على تصفح تذكرته بمزيد الانتباه والشوق ورغبنا عن كل خبر او شعر مبتذل كالمدح والغزل لا يتميز بظرف او جدّة وغرابة . وهذا ما وقع عليه اختيارنا العاجل في الاجزاء الاثني عشر الباقية من التذكرة نورده جزءاً جزءاً على التوالي ، على امل ان لا يخلو من فائدة وعائدة . واكثره أُنُفٌ لم يُستخرج او لم يشتهر شهرة كافية .

واول ما افتتح به ابن العديم كتابه بعض حماقات كانت تنسب في ايامه لاهل حمص ، وكنا نشرنا في « الخزانة الشرقية » في الجزء الثالث مقالة بعنوان : « الخرافات الموضوعة على مجاذيب حمص قديماً » (ص ١ – ١٤) فلا نتمالك اليوم من ان نضم اليها ما يجيء.[2] قال ابن العديم :

---

١) اذا صحّ هذا الاستدلال يتبين ان خط ابن العديم لم يكن مقارباً لخط ابن هلال وابن مقلة كما زعموا .

٢) جاء ايضاً في كتاب جمع الجواهر في الملح والنوادر لابي اسحق الغيرواني : « قال علي بن عيسى الوزير : كان يبلغني عن اهل حمص تغفّل فاظن اكثره تشنيعاً حتى دخلتها فاذا برجل بين يدي حجّام وقد مصّ عنقه بمحجمتين لم أرَ اكبر منهما وهو يشرط في وسط عنقه

— « قرأت بخط عبد المنعم بن الحسن بن اللعيبة الحلبي » :

حكى لي ابو غانم عشاير بن كامل من اهل معرة النعمان انه اجتاز بحمص سنة ثلث وخمسمائة وقد طهر القاضي السديد جمال القضاة ابو الحسن علي بن هندي ابنة له وعبرت في سوق حمص راكبة على فرس على مخدة فوق السرج ومن خلفها راكب يمسكها وقدامها البوقات والطبول وغير ذلك مما يكون بين يدي المطهَّرين. فرأيت اثبات هذه النكتة وكنا بحمص فلتعتبر . وشاهدت هذا القاضي فوجدت مرتبته تزيد على ما ذكره وحكاه اعاذه الله مما ابتلاه .

— ونقلت من خطه ايضاً :

دخلت الى حمص في شهر رمضان سنة سبع عشرة وخمسمائة وهي السنة التي نزل عليها فيها صاحب دمشق ورعى زروعها وخرب حصونها فحكى لي رجل يعرف بعبد الواحد ثقة من اهل حمص عند ملكها حسام الدين ان احد اهلها لما نزل العسكر عليها واجفل الناس (ص ٢) واشتغلوا عن قماشهم الا ما خفّ منه كان في الليل يدور ومعه زقّ على دور الناس فيحمل من النبيذ ما وجده ويعود الى بيته فيصبّه في البير الى ان نقل ما يزيد على ثلثمائة خابية منه فلما رحل العسكر عنها وعاد الناس الى منازلهم وفقدوا النبيذ تحدث بعضهم مع بعض فهذا يقول أخذ لي من داري خمس خوابي نبيذ وهذا يقول اخذ لي ثلاث وهذا يقول اكثر وذاك اقل فقال ذلك السيد لجيرانه : عندي من النبيذ ما أبيعكم منه سنة لا تشغلوا قلوبكم وهو ممزوج فقالوا له : انا نخاف عليه ان يحمض ويتغير لاجل مزاجه فأرنا منه شيئاً فاستقى لهم من البير بالدلو وحمله اليهم فشربوه فاذا هو ماء. فقالوا له : ما هذا ؟ فحدثهم فضحكوا منه . وقال لهم : تعبنا وافسدنا صومنا ولم نربح شيئاً .

فلما رآني اقبلت في موكب قال : من هذا ؟ فقال الحجام : هذا الوزير علي بن عيسى فقام والمحجمة في عنقه والدم يسيل على كتفيه وظهره وقال : السلام عليك ايش كان خبرك ايها الوزير ؟ قلت : خيراً وانصرفت فحلفت ان لا ادخل حمص ونزلت بظاهرها حتى انجزت ما اتيت فيه» (ص ٢٦١)

وفي حكاية ابي القاسم البغدادي :

حماقةٌ مني ومذ كنتُ لي حماقة تمرض حصيَّة (ص ١٢٧)

فتحققت ما ذكره الحافظ من فساد عقول اهل حمص وأضفتها الى خبر القاضي (ص ٣)

وقرأت بخطه :

وصل من حمص الحاجب ابرهيم رسولاً من مالكها الى حلب في شعبان سنة تسع عشرة وخمسمائة وصحبته بعض قضاتها فضيت اليه افتقده واقضي حقه وهو في دار الضيافة . فوجدته راكباً والقاضي في الدار فسلمت عليه وهنأته بالسلامة وسألته عن ولد لي خلفته بحمص ينوب عني في حفظ الاهراء بها فقال : هو على جملة السلامة في شغله كما تعرف فقلت : قد عرفت ذاك لكنه لا فائدة له ولا جامكية وهذا صعب شديد فقال : « قد عرفت ما هو عليهم » بإعراب فقلت : ما قلتَ يا ولاي القاضي ؟ فقال : قد عرفتَ ما هو عليهم ثانية . ففكرت فاذا هو يريد « ما هم عليه » ولا فرق عنده بين اللفظين . فرأيت ان أثبتها في التذكرة وأضيفها الى خبر القاضي السديد وطوز ابنته .

هذا ما نقلته من خط ابن اللعيبة . وحكى لي شيخ من اهلها يقال له الرضى اسماعيل بن عشاير شيخ حسن صدوق عن معلم بحمص يقال له العبث قال وكان معلمي وكان يُتهم ... (ص ٤) (وبعد هذه العبارة نقص لا يدرى مقداره) .

— قرأت على ظهر كتاب بخط بعض اهل الادب : انشدني ابو الفضل المعمر ابن الحسين الصائغ لبعض اهل العراق وقد ورد على سيف الدولة بلح هدية وانشده شعراً فيه :

قبول الهدية اكرومة ... وحاشى الامير يردّ الكرمْ
وان الملوك على قدرها ... لتقبل تفاحة او رمانْ
واني اتيت ببدو الطعام ... وخاتمه عندما يُختمْ
وهذا لعمرك جهد المقلّ ... لمن قد تمكن منه الندمْ (ص ٦)

الجزء السادس

— محمد بن بشير :

خلوتُ في البيت ارضى بالذي رضيت ... به المقادير لا شكوى ولا شنبُ
فردًا تحدثني الموتى وتنطق لي ... عن علم ما غاب عني عنهم الكتبُ
هم مؤنسون وألاف غنيت بهم ... فليس لي في انيس غيرهم ارَبُ

ق من حلماء لا جليسهم ولا عشيرهم للشر مرتقب
لا بادرات الادى يخشى رفيقهم ولا يلاقيه منهم منطق ذرب
ابقوا لنا حكماً تبقى منافعها اخرى الليالي على الايام واشعبوا
فاياً ادب فيهم مددت يدي اليه فهو قريب من يدي كثب
ان شئت من محكم الآثار ترفعه الى النبيّ ثقات خبرة نجب
او شئت من عرب علماً باولهم في الجاهلية انتهى به العرب
حتى كأني قد شاهدت عصرهم وقد مضت دونهم من دهرهم حقب (ص٩)

— انبأني غير واحد من شيوخي عن ابي طاهر السلفي قال انشدني ابو الثناء حامد بن ثابت الغزي بالاسكندرية انشدني ابرهيم بن صدقة لابن معصمة الحمصي في الديك:

يا ابن اقبال وائل والكرام العيد من نخلب قروم القروم
والامير الذي عليه امارات المعا لي من حادث وقديم
قد مدحت الامير بالامس منثو راً وجئت الغداة بالمنظوم
فاستمع قصتي وفرّج باحسا نك ما بي من طارقات الهموم
لي ديك حضته وهو في البيضة من منصب كريم الجيم
ثم ربيته كتربية الطفل رضيعاً وعند حال الفطيم (ص١٤)
يأكل التمر كيف ما شاء من مالي كأكل الوصيّ مال اليتيم
وهو عندي في صورة الولد البرّ وفي صورة الشقيق الحميم
ابيض اللون افرق العر ف نظّار بعين كأنها عين ريم
وعلى نحره وشاحان من شذ ر جيج ولؤلؤ منظوم
رافع راية من الذهب المشرق يسمى بها كعبي الظليم
واذا ما مشى التبختر مشي الطرق المتشي من الخرطوم
وسم الارض وسم طيّ كتاب بخواتيم كاتب مختوم
وله خنجران في قصب السا قين قد ركّبا لحفظ الخريم
وعليه من ريشه طيلسان صيغ من صنعة اللطيف الحكيم
وجميع الديوك تشهد في حمص له بالجلال والتعظيم
يتجاوبنَ بالصياح مشيرا تٍ اليه في ذلك التسليم (ص١٥)
واذا ما رأيته بين خمس من دجاجاته كبار الجسوم
قلت ملك يخدمنه فتيات يتهادينَ بين زنج وروم
وترى عرفه فتحسبه التا جَ على رأس كسروي كريم
ثاقب العلم بالمواقيت ليلا وغاراً وحاذق بالنجوم
وبحث الخبير ان حولي على البرّ كحثّ المدير كاس النديم
واذا قمتُ للصلاة دعوت اللهَ بالبرّ والنعيم المقيم
لشريف ابي المعالي بن سيف الدو لة السيد الكريم الرحيم

وله ايضا الامير علي العهد في سالف الزمان القديم
انه آمن من السوء عندي غير يوم المنية المحتوم
وقد احتجت ان اضحي في العيد به حاجة الاديب العديم
وبناتي يقلن يا أبتانا انت في ذاك بين غدر ولوم (ص ١٦)
وتراهن حوله يتباكين بدمع افقده مسجوم
وعزيز سؤال من يفتديه فافده منا بذبح عظيم
تبقى في ذاك سنة لك يبني ذكرها ذكر كبش ابرهيم
عشت في العز ما دعا الله داع ابدا بين زمزم والحطيم

(وفي الهامش) : ونظير ذلك ما يحكى عن ابن الراوندي لما نادى الخليفة : كل من يضحي يربط ضحيته على بابه فربط على بابه ديكاً فر الخليفة فرآه فسأل عن ذلك فقيل له لا يملك سواه فامر ان يربط الى جانبه كبشان فعمد ابن الراوندي الى الديك وربط رجليه ونزل عليه بعصاه فسئل عن ذلك فقال الذبيح فدي بكبش وهذا فدي بكبشين . فمد ذلك من ملحه . (ص ١٧)

قال عمرو بن بحر : جزت بباب بعض عدول بغداد وهو يخاصم جاريته ويقول لها : تركت قلنسوتي على قفص الفاختة حتى تخرا عليها . فقالت الجارية لم اعلم يا مولاي ان الفاختة تحولت فوارة فقال لها الشيخ : انت حرة ان اويت منزلي بعدها او لابيعنك بدرهم يا زنديقة . (ص ٣١)

الجزء السابع

— انشدنا ابو بحر صفوان بن ادريس لنفسه :

هذي البسيطة كاعب ابرادها حلل الربيع وحليها الازهارُ
وكأنّ هذا الجوّ فيها عاشق قد شفّه التعذيب والإضرارُ
فاذا شكا فالغاب برق خافق واذا بكى فدموعه الامطارُ
فافرط ذلّة ذا وعزّة هذه يبكي الغمام ويبسم النوّارُ (ص ٥١)

قيل ان الشيخ ابا بكر الرازي خرج الى سوق العطارين فاشترى سكراً فرآه احد اصحابه وهو ابن الركاب الرازي فوقف حذاءه حتى فرغ من شراه وشده في ميزره (ص ٥٨) مدّ يده ليأخذه فقال له الشيخ ابو بكر تريد منه شيئاً ؟ فقال لا ولكن احمله معك . فقال له : ما تحتاج فاني احمله انا في كمي وانشد :

لا ينقص الكامل من كماله ما جرّ من نفع الى عياله (ص ٥٩)

— للسابق بن ابي مهزول المعرّي مما نقلته من خطه :

حاب معهد الصبى والتصابي فسقاها الوسميّ ثم الوليُّ
موطني بعد موطني فكأني لغرامي بحبها البحتريُّ
بلدة هذّبت فاه زلال وهواء ردائه سابريُّ
وطعام زاكٍ وراح سلاف ورياض بباطها عبقريُّ
وظباء انيسة وبدور ووجوه معشوقة وقُنيُّ
فاديها كل الفنون وفيها ما اشتهاه الشرعيُّ والفلسفيُّ (ص ٧٣)

الجزء الثامن

— انشدني والدي رحمه الله لبعضهم :

لعمرك ان تفات الفتى اذا الدهر ساعده ساعدوا
وان حانه دهره اسلموه ولم يبقَ منهم له واحدْ
ولو كان يُعلم ان المريض يموت لما عاده عائدْ (ص ٩٤)

— انشدني بعض المصريين لابن افلح في خليفة عصره وقد وقع له توقيعاً (ص ٩٥) الى الوزير فلم يتلقّه بالقبول :

خليفة الله قد وقعت لي كرماً الى الوزير ولكن من يتمّمهُ
فكل من جئتهُ بالصك ينبذه بذ الحصاة كأن الصك يشتمهُ
فآهٍ ان كان هذا قد علمتَ به وآهٍ ان كان هذا لست تعلمهُ (ص ٩٦)

— نقلت بخط بعض المتقدمين عن ظهر كتاب :

كان والد الشيخ ابي عبدالله بن المنيّرة حائكاً اسمه يوسف قضى الى بغداد وقرأ بها العلم وعاد الى كفرطاب فقعد يعلم الصبيان ويقرئ القرآن . وكان اذ ذاك بكفرطاب معلم يعرف بابن الأصيلح وكان بينهما (ص ٩٧) من المباينة والمشاحنة كما جرت العادة ان يكون بين المعلمين . فعمل ابن الاصيلح هذه الابيات :

ايُّ عقلٍ لحائك في الانام لا ولو قيدَ غوه بزمامِ
نصفه نازل مع الجنّ في البحر وباقيه قاعد من قيامِ

فبلغت يوسف فعمل فيه :

ما طبار بين المثقفين اقل عقلاً من معلّمْ
ولقد دخلنا في الصناعة من قريب ربَّ سلّمْ (ص ٩٨)

— كان والدي رحمه الله قد اخبرني ان مرتضى الدولة لما قصده صالح بن مرداس تأهب له وجمع العسكر واهل حلب حتى اخرج معه اليهود والنصارى.

وان عسكر صالح وصل الى اطراف عسكر ابن لولو فسمعوا يهودياً يخاطب آخر وهو يقول له : والله حفيظة اطعزه واتأخر واياك يكرن خلفه آخر يطعزك بطعازه يخيب بيتك الى الدواغيث (ص ١٠٢) وهذه الفاظ يستعملها اليهود فيما بينهم . قال فلما سمع اصحاب صالح ذلك طمعوا فيهم وقالوا : هؤلاء يهود وكبسوهم فقتلوا مقتلة عظيمة ولم يدخل البلد الا القليل .

قال لي والدي : بلغني ان بعض من سلم دخل حلب فنظرته امرأة من طاق دارها فقالت له : دُبير رجعت ؟ فقال لها : دُبير من لم يرجع (ص ١٠٣)

— سمعنا ابا العلاء بن ابي عبد الله بن ابي الندى ينشد لنفسه في صبي مملوك دخل المدرسة مع الاولاد عليه لباس اخضر . فاقترح عليه ان يعمل فيه شعراً فقال فيه بديهاً :

وموفف فاق الهلال جماله وقوامه ازرى بغصن البان
انكرته لما بدا في خضرة فاجاب تلك ملابس الاغصان (ص ١٠٤)

— لابي منصور الديلمي في ولده :

ديلموه وليس فيه من الديلم الا القبا مع الكلكات
فهو في مشيه فتى شرس الخلق وفي خلقه فتى الفتيات
ترسه حسنه وزُرينه عيناه فهو الممات قبل الممات (ص ١١٣)

— ولابي محمد عبد المنعم بن سعيد وانشدنيها ولده في صاحب لحية :

له لحية يغضي بديع جمالها على من لها فيها بان يجلد الحدّا
وعهدي بها كانت عذاراً منشأ فمن اجل ذا قد صرت ارعى لها العهدا
وكم قائل في ساقه الشعر نابت وذلك مما يوجب الهجر والصدّا
فقلت له يا انقص الناس همة واسخفهم رأياً واخطأهم قصدا
الم ترَ ان الغانيات تشبهاً جعلن مكان الشعر نقشاً وما اجدى (ص١٢٦)

الجزء التاسع

— اخبرني ابو الفضل بن سندي قال بلغني ان الناشئ الأحقي وكان من قرية الاحص انشد سيف الدولة بن حمدان قصيدة يمدحه بها ولم يكن عنده حينئذ مال فوعده بالجائزة اذا وصل اليه الحمل اظنه من البلاد الشرقية فخرج من (ص ١٦٢) بين يديه فوجد على باب داره كلاباً مربطة من كلاب الصيد

يذبح لها السخال عند الولادة وتطعم اياها فعاد الى سيف الدولة وانشده :

رأيت بباب داركم كلاباً مكرّمة يُغذّين السخالا
فهل في الارض اعذر من اديب يكون الكلب اصلح منه حالا

ثم خرج الى الاحصّ الى منزله . فاتفق ان جاء الحمل لسيف الدولة بعد مدة فضلّ في الليل بغل عليه مال مقداره عشرة آلاف دينار فجاء الى باب دار الناشئ وفيه قش فظن انه لص فخرج فوجده بغلًا فاخذ المال وطرد البغل ثم دخل الى حلب ودخل الى سيف الدولة وانشده ابياتاً منها :

ومن ظنّ ان الرزق يأتي بحيلة فقد كذبته نفسه وهو آثم
يقوت الفتى من لا ينام عن السرى وآخر يأتي رزقه وهو نائم (ص ١٦٢)

فقال له سيف الدولة : وصل البغل اليك يا ناشئ ؟ فقال نعم . فقال خذه جائزتك . فقيل لسيف الدولة : كيف علم الامير بذلك ؟ فقال : ابن قوله : « يأتي رزقه وهو نائم » من قوله : « يكون الكلب اصلح منه حالاً »[1]

الجزء الحادي عشر

— قرأت بخط ابن منير ابن افلح البغدادي يقوله لدُبيس بن مزيد .

والله او كتب الامـا م لك الامان بماء زمزمْ (ص ٢٠٥)
والله محمـد شـافعاً من بعده عيسى بن مريم
مـا كنت الا داخل الحـمام امرة من تقدم

(وفي الهامش) من عادة الخلفاء اذا غضبوا عـلى الوزراء حبسوهم في الحمام (ص ٢٠٦)

— حدثني الشيخ ابو عبـدالله محمد بن ابي سعد الحلبي قال : سمعت الشيخ ربيع بن محمود الماردييني يقول :

جاء في بعض السنين حاج السرو قال ومن عادتهم انهم يخرجون متفرقين فمنهم من يخرج قبل رجب ومنهم من يخرج بعده فقـدم منهم قفل في بعض السنين الى مكة . فخرجت معهم امرأة وهي حامل واخذت فروها وعصاها على كتفها وجرابها وركبتها على الكتف الاخرى . قال : فلما توسطوا الطريق

١) وردت هذه الحكاية في ياقوت في كلامه على « الاحصّ » وهي هنا اصح واتم .

ادركها الطلق في بعض الطريق فلجأت الى شجرة فوضعت ابناً وماتت ودفنوها وبقي الابن ليس له من يرضعه فافكروا في امره فلم يكن له حيلة فاخذوه ولفوه بالفرو الذي كان لامه وتركوه تحت الشجرة (ص ٢١٨) ومضوا فلما قضوا حجهم وعادوا اجتازوا بذلك المكان فقالوا : هنا ماتت فلانة وهنا تركنا ولدها فهلموا لننظر ما كان منه فجاؤوا الى المكان الذي تركوه به فوجدوه حياً وعيناه تبصان وهو ملفوف على الحالة التي تركوه فعجبوا من امره وقالوا نحمله معنا فحملوه فالتفتوا عن قريب من ذلك المكان فرأوا ظبية قد تبعتهم وهي تمشي خلفهم فوضعوا الصغير على الطريق وابعدوا عنه فجاءت الظبية اليه وارضعته حتى شبع فجاؤوا اليه وحملوه وساروا والظبية خلفهم كلما احتاج الظبي الى الرضاع وضعوه لها وهي ترضعه هكذا مرحلة مرحلة الى ان وصلوا الى القرية التي كانوا منها فرجعت الظبية وتركتهم (ص ٢١٩)

الجزء الثاني عشر

— دخل لص على حميد بن علي الختاني (قرية من قرى المعرّة يقال لها ختان) فسرقه (ص ٢٥٣) ولم يعلم الوالي فلما علم استدعاه وحبسه اذ لم يعلمه فعمل له هذه الابيات :

قل للامير ابن كثير الذي فاق الورى في العلم والعقل
وفارس الخيلين يوم الوغى ومغرس الاحسان والفضل
جرت امور ما سمعنا بها في زمن الانصاف والعدل
اللص في منزله آمن والحبس فيه صاحب الرحل
لو جاز هذا الحكم بين الورى لطولب المقتول بالقتل

فلما انشده اياها اطلقه (ص ٢٥٤)

الجزء الرابع عشر

— انشدني عز الدين علي بن محمد السرخسي البغدادي النحوي قال: رأيت ببغداد على ثوب اصفر : (ص ٣٨٥)

انظر الى لابسي وانظر اليَّ وكنْ من مثل ما حلَّ بي منه على حذرِ
هذا اصفراري براه الناظرون وما في القلب من حبه يخفى من النظرِ
اموت في خارة بالليل في كمد لولا انتظار وصال منه في السحرِ
اقول عُجبًا اذا ما رام يلبسني ما كنت اطمع ان اعلو على القمرِ (ص٢١٦)

(وبالهامش) هذه الابيات للمبارك الدهان قال : طلبت مني حظية من حظايا الخليفة ان اصنع لها ابياتاً تكتبها على ثوب اصفر فقلت .

— نقلت من خطّ الشيخ الامام ابي منصور موهوب بن الخضر الجواليقي وانبأناه عنه شيخنا ابو اليمن الكندي انشدنا الشيخ الامام ابو زكريا يعني التبريزي قال : انشدنا الحكيم ابو علي الحسن بن عبد الرحمن الثقفي قال : انشدنا الشيخ ابو منصور عبد الملك اسماعيل الثعالبي لنفسه :

من كان ينفسه الادبْ وعُجلَه اعلى الرتبْ
فلقد خسرت عليه ما وُرّثت من امّ واب
كم ضيغمٍ كانت تصو نُ الوجه عن ذلّ الطلبْ
اتلفتها لا في القيا نِ ولا هوى بنت العنبْ
بل في الجوائح والجوا ئحِ والعوارض والنُوَبْ
كم قلت لما بتها وحصلت في اسر الكُرَبْ
ذهبت دجاجتنا التي كانت تبيض لنا الذهبْ

— ومن خطه وانشدنا يعني التبريزي قال انشدنيه ابن شبل لنفسه : (في الباذنجان)

وكأنما الباذنج سود حمائم اوكارها خيم الربيع المبكر
لفظت مناقرها الزبرجد سمطاً فاستودعته حواصلاً من عنبرٍ (ص٢٤٢)

الجزء الخامس عشر

— محمد بن عبدون السوسي الوراق له من قصيدة وذكر اشتياقه وحنينه الى وطنه اولها :

بالله يا جبل المسكر دع ريح الجنوب لطالما تسري
يا قصر طارق الذي طرقت احشايَ منك بلابل الذكرِ
والله ما اقصرت عنكِ قلىً لكنني اقصرت بالقسرِ
يا برد ظلك بالاصيل ويا ربَّاك عند فظاظة الدهرِ

منها في ذكر معشوق له هناك :

ولثمتُ ثغرًا فاح عنبره من غير ما طيب ولا عطرِ
وضممت انفاسي عليه وقد اشفقت من نفسي الذي يسري
فكأنَّ صدري لا ضلوع له وكأنَّ قلبي بانَ عن صدري
لو استطاع سبحتُ من طرب شوقًا اليك (١ سواد ذا البحرِ
حتى اقبل جانبيك كما قبلت فيك مراشف البدرِ
وافيض اجفاني لديك كما فاضت عليك دماءها تذري (ص ٢٨٥)

الجزء السادس عشر

— انشد ملك النحاة لنفسه من ابيات يصف امرأة : (ملك النحاة ابو نزار الحسن بن ابي الحسن البغدادي)

جارية كلما خضعت لها قالت عدمتُ النحاة والشعرا
طويلة القد واللسان فما ادري أأهجو ام امدح القيصرا
احسن منها عندي بمدقّة (٢ ساذجة لوزها قد انتثرا
فالبين الفارسي اضرسني والكشك في ذي الديار قد كثرا (ص ٢٦٥)

— قال ملك النحاة : للحيص بيص بيتان وددت لو باعنيهما بجميع شعري وهما :

---

١) الكاف في اليك راجعة الى القصر
٢) في كتاب الوصلة الى الحبيب في دار الكتب المصرية (رقم ٧٦ علوم صناعية) وصف للمدققات ص ١٥٠ — ١٥٢ .

سأرحل من بغداد في طلب الغنى الى بلدة يحنو على اميرها
الى بلدة فيها الكلاب بحالها كلاب وما رُدَّت اليها امورها (٢١٤-٢١٥)

قلنا ومن هذه المختارات التي لم نستقص فيها ولم نتجاوز فيها الحد الذي رسمناه لنفسنا يتضح بُعد ما بين تذكرتي ابن حمدون والصفدي وتذكرة ابن العديم . وهي خالية من كل تبويب وتنويع وترتيب كما في التذكرتين . وقد امتزجت فيها النقول والروايات امتزاج الطُرَف بالدرر في غير سلك ولا نظام فكان ابن العديم يتلقط منها ما يقع عليه استحسانه وما يسمح به زمانه على هيئته حباً بالتذكر بها والرجوع اليها عند الحاجة فما كان احقه ان يسميها أسوة بالثعالبي : احسن ما قرأت وسمعت .

مع الكونت دي ڤولني

في لبنان وسورية

بقلم يوسف عصوب

صح الاسماء ما هو حافلٌ بالذكريات والصور مثقلٌ بالموحيات والعبر ، فلفظة الشرق تفتح ، بمجرد النُطق بها ، لاسيما في بُلدان الغرب ، آفاقاً واسعة تضطرب بالاساطير والحقائق ، وتموج بالالوان والانوار وتَغُصُّ بالمبهمات ، فالشرق مطلع الشمس ، ومهد البشرية ، ومهبط الوحي ، ونجر الفلسفة ، وموطن المدنيات الغابرة والديانات البائدة والباقية . والشرق بابل وصور واورشليم وآتينا والاسكندرية ومكة ودمشق . والشرق سُقراط وافلاطون وهوميروس والفردوسي والغزالي وسليمان الحكيم والاسكندر والفراعنة . والشرق سميراميس والزبّاء وكليوبطرا ... ومهما اعدّد فلن أبلُغ غاية مما تشتمل عليه هذه اللفظة الساحرة .

ومن الالفاظ ما يعبق فيه الطيب كشيراز ، وتعثُره الاساطير كبغداد ، ويفيض منه الجمال كلُبنان . فلا غرابة ، والحالة هذه ، ان يكون الشرق حُلُم الشعراء ومطمَع الفاتحين ومَطمَح الكتاب والمؤرخين ، وغاية الرَّحالة والحُجّاج ؛ وان يكون ، منذ كان ، على صلة دائمة بالغرب تتّسع او تضيق ، وتعظُم او تضؤل ، تبعاً للاحوال السياسية والدينية والتجارية . فالشرق والغرب ما فتئا يتطاوران مُلاءة الفضل ، ويتبادلان تيّارات الحضارة والثقافة ، فتارةً يكون فضل الشرق على الغرب وطوراً يكون الامر عكس ذلك . ومن العبث ان نُلِمّ الان ولو الماماً خاطفاً ببعض ما بينهما من اواصر وثيقة قديمة او حديثة وما تقايضاه على مرّ الايام ، من مبادئ دينية ، ومذاهب فلسفية ، واطوار اجتماعية . فهذا لا يتيسر الا في المُجلدات الضخام والدروس الدقيقة . فجُلّ ما اطمح اليه مرافقة بعض الكتاب والشعراء الفرنسيين ، ولاسيما الكونت دي ڤولني ، في رحلاتهم الى الشرق ، وبالاخصّ الى لبنان .

كانت الديانة ، منذ عصور النصرانية الاولى من اوثق العُرى التي ربطت « غالية » باراضي الشرق المقدسة . وكان النصارى او المتنصرون يتوقون الى زيارة موطن المسيح والتبرك بالاماكن التي تجسّد فيها وترعرع وبشّر وصُلب ، والى لثم التراب الذي مسّته قدماه . فكانوا ، على بعد الشقة وخطر الطريق ووعورتها ، يقصدون الى فلسطين ، مدفوعين اليها بالعاطفة الدينية . ذكر هنري بوردو في كتابه « رحّالة الشرق » زائرًا اممّ هذه البلاد في سنة ٣٣٣ للمسيح ، ودوّن رحلته في كتاب له قيمةٌ تاريخية عظيمة .

وكثر عدد الزوّار والسيّاح . فاتخذ ملوك الفرنج يهتمون بامرهم ، ويسهرون على راحتهم حتى ان شارلمان بنى لهم في القدس مأوى واسع الارجاء يتألف من اثني عشر منزلًا يلجأون اليه ويقيمون فيه ما شاؤوا ، وانس فيه مكتبة وشيّد له كنيسة ، ووقف عليه كرومًا ومزارع . وكانت الزيارات الدينية تصطبغ بصبغ مختلفة . فمنها ما كان يقوم به الزوّار تورعًا وعبادة ، ومنها ما كان تكفيرًا عن الخطايا والآثام ، ومنها ما كان يُفرض فرضًا على الملوك والامراء قصاصًا لهم وتكفيرًا عن بعض جناياتهم . ثم تكاثرت الاسفار ، وتكاثرت الاحاديث والاخبار عن الاراضي المقدسة ، وتولدت الاساطير والاقاصيص . وتدخلت في الامر الغيرة الدينية والمطامع السياسية فكانت الحروب الصليبية . واتسعت على اثرها الصلات بين الشرق والغرب على اختلاف انواعها وتوقفت زمنًا ثم تراخت الى ان كان عصر الانبعاث فعاود الغرب حنينه الى الشرق . ولم يكن باعثُ هذه المرة عاطفة دينية او مطمع سياسي بل رغبة ملحة في استيحاء فنه والاطلاع على علومه وفلسفته .

ولم يصبح الشرق مادةً للادب في فرنسة الّا في اواخر القرن الثامن عشر وكان قد ترجم القرآن وبعض المؤلفات العربية وعلى الخصوص الف ليلة وليلة . وطبعت بعض قصص شرقية لفولتير ، و« الرسائل الفارسية » لمونتسكيو ، وانتشرت التوراة باللغة الفرنسية . ووافق هذا كله ظهور المدرسة الرومانطيقيّة ، ومن خصائص هذه المدرسة طَرقُ المواضيع الغريبة ، ومحاولةُ الدقّة في أداء الالوان المحلية . ولا يقتصر هذا التعبير على الالوان وحدها بل يتناول ايضًا

العادات والاخلاق والحالات النفسانية ، مما اهاب بالكتاب والشعراء والعلماء الى السفر والتغرّب للعودة الى قرائهم بضيمة غريبة عجيبة . ثم كانت حملة نابليون على مصر ؛ ووقعت الحرب اليونانية التركية . وظهرت «عبقرية النصرانية» لشاتوبريان ، و«المشرقيات» لفيكتور هوغو ، فتجدد التوقان الى الشرق ، وازداد الازدحام على مناهله ، والتهافت على مناجمه . فجاء علماء الآثار للكشف عن مخبآت الايام ، وبعث العصور الغابرة ، وجاءه علماء الاجتماع لدرس عادات اهله واخلاقهم وشرائعهم . وجاءه شعراء الرومانطيقية للتغني بجماله ، والانتشاء من الوانه وانواره . وجاءه المرسلون ليبشروه بالدين ، ورسل السياسة ليُعدّوا طريق الهند ، وجاءه التجار والسيّاح والفاتحون . وتوالت القوافل وتعدّدت حتى اتصلت رؤوس بعضها باذناب البعض الآخر وباتت تلتقي في طريقها بقوافل الشرق الى الغرب . وكان للبنان القسط الاوفر والغنيمة الكبرى من هذا التواصل ، فاصبح على ما هو عليه الان من حضارة وثقافة وغنى ورفاهية ما كان ليحلم بها لو بقي في عُزلته مستقرّاً في عُقر داره .

ولكننا لا نتمثل بوضوح الطريق التي اجتزناها الا اذا طوينا العصور القهقرى ورجعنا ادراجنا الى اواخر القرن الثامن عشر ، وجُلنا جولة في الربوع اللبنانية والسورية برفقة احد الكتّاب الفرنسويين ، الكونت دي ڤولني ، الذي زار بلادنا في ذلك الزمن ؛ وكتب عنها كتاباً على جانب عظيم من الدقة والصراحة والتجرّد . غير انه قبل درس هذا الكتاب الذي هو حجر الزاوية في موضوعنا لا بدّ لنا ان نمرّ مرّاً سريعاً ببعض الشعراء والكتاب الذين اتوا لبنان واستلهموه وكتبوا عنه .

❁

قلنا ان الشرق اصبح في القرن التاسع عشر مادة ادبيّة واجت سوقها لندورتها واختلافها عن المألوف في البُلدان الاوربية . وكان اوّلَ من استغلّ هذه المادة شاتوبريان في «رحلته من باريس الى اورشليم» . وقد اوضح في اول كتابه الغاية من سفره الى الشرق بقوله : «انما جئت الشرق لافتش عن صور للشهداء» و«الشهداء» رواية مشهورة له يقصّ فيها حياة النصارى في اول عهدهم ، وما

كابدوه من اضطهاد وعذاب في سبيل دينهم.

وتبع شاتوبريان في هذه الطريق غوستاف فلوبير ، فقصد الى الشرق ليجمع مواد الملحمة القرطاجية « سلامبو » نشيد المدنية والعبقرية الفنيقية . غير ان رحلته لم تكن الّا مجموعة رؤوس اقلام وجُمَل مقتضبة يضبُط بها ما يراه في تجوّله من مشاهد واخلاق وعادات ضَبطَ المصور الشمسي فلا يفوته لون ولا يُخِلّ بحركة . فكان يختلف في ذلك عن شاتوبريان الذي يُسهب في الوصف وينشئ قطعاً ادبية كاملة تستقلّ بنفسها.

ويختلف شاتوبريان عن لامرتين الذي جاء بعده . فان الشاعر الرومنطيقي لا يكتفي بان يؤدّي لنا صورة ما يرى بل يُكمّل هذه الصورة ويُضيف اليها ما يَحسبُه ناقصاً فيها ، مستدركاً بذلك ما تكون قد اغفلته الطبيعة . فان تكن المشاهد الطبيعية حالاتٍ نفسانية فان نفس لامرتين مرآةٌ تنعكس عنها العَظَمة والجَلال والعواطف السامية . ولنا بوصفه الشهير لوادي حمّانا خيرُ شاهد على ما قدّمنا.

وهناك وصّاف آخر يختلف عنهم جميعاً هو جرارد دي نِرڤال . فهذا الشاعر اللطيف القريب الى القلب ، العائش ابدًا في عالم من الاحلام ، لا يدري هو نفسه ما نصيب الحقيقة وما نصيب الوهم في كتاباته . فقد يصف شيئاً لا وجود له ، وهو يعتقد انه حقيقة ؛ ويصف شيئاً موجودًا كأنه غير موجود . فهل عاش هذا الشاعر حياتين في عصرين مختلفين فخلط بينهم ؟ ولا يبتعد هذا فانه قد اعتنق يوماً مذهب التقمّص للاقتران بفتاة درزية وهمية توهّم أنه يُحبّها . ومن الغريب ان بعض النقدة الفرنسويين يشكون برحلته الى الشرق ، وقد فتش موريس بارس وهنري بوردو عن أثر له في الاماكن الشرقية التي مرَّ بها فلم يجداه.

ومن مشاهير الفرنسويين الذين زاروا الشرق في اواسط القرن التاسع عشر ارنست رينان . فانه جاء لبنان على رأس بعثة اثرية للتنقيب في خرائب جبيل . فوجد الآثار وفقد الايمان . وما «حياة يسوع» في نظر علماء التاريخ والمحققين من النقاد الا رواية خيالية لا ترتكز في جوهرها على شيء راهن من الحقيقة.

ثم تكاثر روّاد الشرق وتباينت غاياتهم ومآربهم ، ولا سبيل الى عدّهم فهم كثُر . غير أنه لا بد لنا من ذكر ميشو مؤرخ الحروب الصليبية ، ولوتي ،

الرواني الشهير، ولويس برتران. وهذا الاخير جاء بلادنا على اثر الانقلاب العثماني، وكان قد ازعجه واحرجه ما يقال عن الشرق وعن جماله وعظمته، فصمم على ازاحة الستار عن هذه الاوهام، كما يقول، لتبدو الحقيقة عارية كما هي، فجاءت رحلته «بالسراب الشرقي». دوّن برتران في كتابه ملاحظات كثيرة عن اخلاق اهل الشرق وعن عاداتهم. وكان في بعض الاحيان سديد الرأي، ثاقب النظر، غير أنه بعيد عن القلب ينفرُ منه القارئ الشرقي ويتمعض. فلهجته ملأى بالكبرياء والغطرسة، وهو لا ينقطع، في المقابلة بين الشرق والغرب، عن التبجح «بحضارته» ونبل عنصره، ويكثر عند تكلمه عن الشرقيين من ذكر العبودية والخنوع والخيانة والغدر والرياء، كأنما هذه الصفات مقتصرة على الشرقيين دون سواهم من الناس.

هذا ولم ينضب معين الشرق، على تعدد الكتّاب والشعراء والباحثين والمؤرخين، بل ما زال موردًا عذبًا يؤمّه المتعطشون الى الجمال، والمتشوّقون الى ادراك مبدأ الحياة الروحانية التي تتفجّر ينبوعها في هذه الربوع الشرقية وشاع منها ولا يزال. وقد عُني موريس بارس عناء خاصًا بالتفتيش عن مصدر الفكرة الدينية، عن الشرارة الكامنة في الصوّانة، في القلب البشري، وعن كيفية انبجاسها من الصخر والهابها العالم؛ فلم يترك مزارًا في لبنان وسورية يأمل منه بلوغ غايته الّا زاره. وكأنه كان يطمع بان تتجلّى له الالوهية كما تجلّت للقديس بولس على طريق دمشق، فانحنى يخشع على ينابيع العبادات التي توالت على الشرق، وتوارث بعضها بعضًا، وسألها رشفةً من مائها الاول يَبلُّ بها غليله، فقضى ليلةً في وادي افقا يُنصت لاناشيد الباخوسيات وعربدتهن، وسأل الراهبة هندية عن سرّ تعبّدها وبجرانها، وشيخ الجبل عن سيطرته على اتباعه وطاعتهم العمياء له، وجلال الدين الرومي عن تصوّفه وزهده، واظهر رغبةً صادقة بان يحسّ الشرارة تلتهب في صدره. لكنه عاد وهو على عطشه.

وهنا يجدر بنا ان نرجع القهقرى الى اواخر القرن الثامن عشر، لنرى ما كانت عليه البلاد الشرقية ولبنان في ذلك الزمن.

وُلد ڤولني سنة ١٧٥٧. وبدأ رحلته الى الشرق سنة ١٧٨٣، اي في

السادسة والعشرين من عمره . على ان من يطالع كتابه يعجب ، على حداثة سنه ، من سعة اطلاعه ، وقوّة حجّته ، وسداد رأيه . ومما يحملنا على الثقة به والاعتماد عليه ، ما جاء في مقدّمة رحلته الى سورية ومصر ، اذ ذكر أنه ورث مبلغاً من المال لم يكن بالوافر فيستثمره ، ولا بالزهيد فيُهمله . وكان عندئذ في شرخ الشباب فأشار عليه بعض اصدقائه المخلصين بانفاقه في مواطن اللذة واللهو . غير أنه لم يُصغِ الى نصيحتهم . وفضل انفاقه في الاسفار التي تهذب العقل ، وتثقف الرأي ، واختار مصر وسورية لان هذين القطرين هما على حدّ قوله : « مصدرُ المبادئ التي نتشئ عليها ، ومنبعُ الافكار الدينية التي اثرت في اخلاقنا الخاصة والعامة ولا سيما في حالتنا الاجتماعية .

«فمن المفيد اذن ان نتعرف الى هذه الاقطار وان ندرس عاداتها وطبائع الامم التي نشأت فيها ، انرى الى اي حد حافظت هذه الامم عليها ، ونتبين اثر الاقليم او الحكم في تبدّلها او فسادها ونحكم على ما كانت عليه في ماضيها باطلاعنا على ما بقي منه في حاضرها »

ثم قال : « ينصرف معظم الرحّالة الى البحث عن الآثار القديمة ، مهملين الحالة الحاضرة . واذا مرّوا في بلد ، اسرعوا في اجتيازه فلا يتمكنون من معرفته معرفة كافية لضيق الوقت ولجهلهم لُغة الاهلين . فاللغة تساعد على تفهم روح القوم واخلاقهم . والزمن يغربل التأثرات الاولى وينقيها ويردّنا الى آراء هي اقرب الى الصواب والانصاف . وقد راعيتُ جانب الحقيقة ما استطعت واوصدت أذني دون داعيات الخيال ، على علمي بما لها من اثر لدى جمهرة كبيرة من القراء » .

ان هذه الخطة التي اختطها الكونت دي ڤولني لرحلته قد اتّبع خطوطها خطًا خطًا ، ولم يحد عنها في جميع ما كتب عن البلاد التي زارها .

فبعد ان ذكر الاحوال الطبيعية والجغرافية في مصر وسورية ، ووصفها وصفاً مسهباً شاملًا ، تناول الحالة السياسية والاجتماعية فيها فقال عن سورية ما مؤدّاه :

اكتسح السلطان سليم الاول البلاد السورية في اوائل القرن السادس عشر ، وطرد منها المماليك ، واستولى عليها بحد السيف فكان له فيها حقّ الفاتح يستعبد اهلها ، يستحيي من يشاء ويقتل من يشاء . واصبحت الارض

ومن عليها ملكاً له يتصرّف بها وبالعباد تصرّف المالك بعبده ، لا رأي فوق رأيه ، ولا شريعة الا هواه . وخبا في مهبّ هذه الريح السموم مَشعل الحضارة العربية الذي اضاء العالم وهداه عصوراً طوالاً فكأنّ لم تكن دمشق عاصمة الشرق ، ولم تكن بغداد منارة العلوم والاداب ، وساد الظلام والظلم جميع الاقطار العربية .

كان السلطان ظلّ الله على الارض بين شفتيه الموت والحياة ، واليه مرجع كل شيء ولم يكن بينه وبين رعيّته الّا ما يكون بين الراعي والقطيع : الراعي الغُنم ، وعلى القطيع الغبن . غير أن هذا التشبيه ناقص من وجوه عديدة فالراعي يتعهد قطيعه ، ويُعنى به فيسوقه الى المرعى ويقيه غوائل القرّ والحرّ ، ويصونه من الضواري ويُجنّبه المهالك . اما السُلطان فلا همّ له الا جزّ صوفه والتغذي بلحمه ولبنه . ولعلّ عُذره ان القطيع عديد مترامي الاطراف يصعب عليه جمعه والسهر عليه بنفسه ، فقسّمه قِطعاناً وكّل بها الى أُجراء اطلق يدهم في شؤونها ، على ان يؤدّوا له إتاوة معيّنة .

ليس ما مثلناه بالراعي والقطيع من الصور البيانية بل هي الحقيقة بعينها . فان البلاد السورية كانت شبه مزرعة للسلطان يؤجرها ولاته ويُقيمهم فيها مقامه ، ويزوّدهم بسلطته المطلقة ، لا يُسألون عن سلوكهم فيها ، ولا عن ادارتهم ولا يطلب منهم الا دفعُ بدل الايجار . وكانت هذه المزرعة تنقسم الى خمسة الوية : لواء حلب ، ولواء طرابلس ، ولواء دمشق ، ولواء عكا او صيدا ، ولواء فلسطين . وكان لبنان بحدوده الحالية داخلاً جغرافياً في لواءي صيدا وطرابلس . غير ان ادارته كانت مستقلة عنهما استقلالاً تاماً .

وكان الوالي او الباشا ، اي نائب السلطان ، يعين لسنة واحدة ، وفي لواء حلب لثلاثة اشهر . فاذا انتهت مدته طُرح ايجار اللواء بالمزاد العلني فازدحم المتنافسون في الباب العالي وتدخل المتنفذون ونشرت الرشوة حبائلها ، ففاز بالصفقة ذو اليد الطولى او « الطويلة » ، لا ذو الكفاءة والمقدرة ، وصدر الفرمان بتنصيبه . فجاء عاصمة لوائه واكبرُ همه ان يجمع اولاً ما انفقه في المزاد العلني ، وان يجمع ثانياً مبلغاً آخر لتجديد الكراء في اجله ، وان يجمع ثالثاً ما يتيسر جمعه للطوارئ . ولم

يكن هذا بالامر الصعب عليه ، وبيده جميع اعنة الحكم يتصرّف بها تصرفاً مطلقاً . فهو رئيس الادارة ، ورئيس المالية ، ورئيس الجند ، ورئيس الضابطة ، ورئيس العدلية ، لا يخرج من يده الا القضاء الشرعي الذي كان مرتبطاً رأساً بقاضي القُضاة في الآستانة . وما كان على الوالي في مُزاولة الحكم ان يستشير سوى نفسه ، والنفس امارة بالسوء ، وما اصدق ما قال الشاعر :

والظلم من شيم النفوس ، فان تجد ذا عفّة ، فلعلّة لا يظلمُ

قلنا ان الوالي كان يعين لمُدة سنة واحدة . فما كان عليه ان يضيّع هذا الوقت الثمين فيما لا طائل تحته ، بل عليه ان يبدأ استثماره حالّ وصوله الى مقرّ عمله . واوّل ما يتبادر الى ذهنه ممارسة سلطته الادارية في عزل الموظفين وتعيينهم ، فيفتح سوقاً للمزاد العلني درس اصولها وفروعها في عاصمة السلطنة ، ثم ينصرف الى تلزيم جباية الاموال الاميرية على الطريقة نفسها فيكثر في بابه المتزاحمون وحاملو الهدايا ، والواشون ، والمفسدون ، فيستغل كلّ هؤلاء استغلالاً مالياً ، وهؤلاء يستغلّون بدورهم من يتخذونهم لمؤازرتهم في جباية الاموال ، وهؤلاء يتحوّلون بكل ما في يدهم من سلطة وفي قلبهم من جشع على المكلفين ، ولا سيما الفلاحين منهم . وهكذا يتسلسل الظلم ويتضاعف بانحداره ككرة الثلج حتى يستقرّ بضخامته المرهقة على كاهل الشعب .

ولا تقف مداخيل الوالي القانونية عند هذا الحد . بل لديه ، عدا الرشوة والبلص ومصادرة الارزاق ، موارد اخرى منها استيفاء مكوس الجمارك حيث يكون جمارك ، وضريبة الارث . واذا كان الوالي اميراً على الحجّ ، حقّ له ان يرث من يتوفاه الله في حجه ، ومن يتوفاهم الله في حجهم كثيرون ، فالطريق شاقة وعرة طويلة ، والامراض منتشرة ابداً ، واهل البادية في المرصاد ، يغتنمون كلّ فرصة تسنح للفتك بالحجاج والاعتداء عليهم . وهناك وسائل اخرى شتى لارسال الاغنياء من هذه الدار الفانية الى دار البقاء .

وكان الوالي يستغلّ على نفقته الاراضي التي يستصفيها ، ويحتكر بعض المرافق التجارية ، ويدّين بالفائدة . واذا اعوزه المال فرض الضرائب على الاهالي . ذكر ڤواني ان عبدي باشا ، والي حلب ، جمع في خمسة عشر شهراً اربعة ملايين

من ضريبة وضعها على اصحاب المهن حتى منظّفي الفلايين منهم.

فلا غرو، والحالة هذه، ان يجمع الولاة القناطير المقنطرة من المال، ولديهم ما لديهم من الوسائل والاساليب حتى ان ثروة الجزّار قد بلغت العشرة ملايين من الفرنكات الذهب. غير ان المال كالظلم مرتعه وخيم، وطالما كان سبباً لهلاك صاحبه. فان الباب العالي لم يكن ليغفل عن هذه الثروات الضخمة بل كان يتغاضى عنها زمناً، ويتريّث حتى تتراكم، والى ان يحين الوقت، وعندئذٍ تنقضّ الكارثة على الباشا انقضاض الصاعقة، فيُصبحُ يوماً، وفي بابه رسول من الآستانة يحمل اليه فرماناً بعزله او نفيه او خطّاً شريفاً بقطع راسه وحمل كنوزه وممتلكاته الى العاصمة، بحجة انه ظلم الرعية وسلب اموالها. غير ان هذه الاموال التي يُقتل الباشا او يُعزل بها لا تُردّ ابداً لاصحابها.

وقد يحتاط الوالي للامر لضُعف الثقة بينه وبين اسياده. فيبُثّ جواسيسه في الآستانة ويتخذ له حُماة متنفذين يدافعون عنه ويُشمرونه بقرارات عزله او قتله، فيتلافى الامر بالرشوة، وان لم يستطع فبالهرب، كما حدث لاسعد باشا والي دمشق.

هذا الوالي الذي تقوم مهمته بالمحافظة على الامن في داخل البلاد، وحمايتها من الاعداء، واعداد اسباب الراحة والرفاهية للرعية؛ هذا الوالي وجُباته كانوا آفة البلاد الاولى. اما الآفة الثانية فارباب السيف وافراد الجُند. وهؤلاء كانوا طوائف، منهم من أهل البلاد، ومنهم غرباء. فمن سكان البلاد كانت الطائفة الانكشارية وهي تتألف من جنود لهم رؤساؤهم، ولهم ميزات كثيرة، ولهم نفوذ عظيم يتعاطون مهناً مختلفة ولا يُحشدون الا عند الحاجة اليهم لقمع فتنة، او ردّ عدوّ، او للثورة على الوالي. وكانت هذه الطائفة منظّمة تسود فيها الروح العسكرية. غير ان الفساد كان قد دبّ اليها، وكان الحكام يتعمدون اهمالها والتغافل عنها خوفاً منها واتقاء لشرّها، والاستعاضة عنها بجنود اجانب متطوّعة مرتزقة اكثرهم من التركمان والاكراد والمغاربة، يُجمعون من الشذّاذ وقاطعي الطرق واللصوص الذين تضيق بهم مواطنهم، فيلجأون الى الباشا لخدمته ومساعدته على ابناء البلاد. وكانوا على نوعين: مشاة وخيالة، يختلف عددهم

باختلاف الولاية ولا يتجاوزون جميعاً في الغالب الالف نفر في كل لواء . وكانوا يخدمون برتب زهيد قد لا يقبضونه ، فيستعيضون عنه بالتعدي على السكان في الدساكر والقُرى والمزارع فيسلبونها وينهبونها ، وليس من يردعهم . فان الباشا يرى في سلوكهم هذا فائدة له إذ تتوفر عليه النفقة ، وربما قاسمهم ما سلبوه.

ولا عجب ، والحالة ما رأينا ، ان تعمّ الفوضى ويسود الخراب . ومما ذكر دي ڤولني بهذا الصدد ان لواء حلب كان يعد ٣٢٠٠ قرية فلم يمض زمن يسير حتى تدنى عددها الى ٤٠٠ اما سكان هذه القُرى فمن سلم منهم عاد الى صحرائه ، ان كان من الصحراء ، والّا التجأ الى الجبال يختفي ويعتصم فيها ، او فرّ الى المدن حيث يضيع في الجمع ويكون فيها آمن على نفسه وماله من اعتداء افراد الجُند عليها.

فاذا كان الامر كذلك ، كان من العَجب العُجاب ان تزدهر القُرى وتحيا الاراضي ، وان ينصرف الفلّاح الى استغلال حقله واغناء ثروته ، وهو عرضة ابدًا للكوارث الطبيعية والبشرية . فاذا سلمت مزروعاته من الجراد والقحط والفيضان ، قاسمه اياها الجباة ، وما بقي منها تولى سلبه الجُند او تكفل باتلافه البدو . ولو فرض أن الفلاح كان على شيء من الامن فما كان يزرع الا ما يكفيه مؤونته ومؤونة اهله ، ليقينه من فُقدان ما زاد على ذلك ، لان مظاهر الغنى تلفت نظر الحكام وتهيّج جشعهم فلا يقرّ لهم قرار حتى يُنزلوا الويل باصحابها ويستخلصوا اموالهم.

يقول دي ڤولني إنه لاحظ في جوار طرابلس ان التوت في بعض البساتين قد شاخ ولم يبدل منه غيرهُ ، فحمله الفضول على ان يسأل بعضهم عن سبب هذا التهاون فاجابه فورًا : اذا غرس احدنا شجرًا ، قال الباشا في نفسه : هذا رجل غني . فيستقدمه ويطلب منه شيئاً من المال . فاذا انكر او ابى امر بجلده ، واذا اعطاه ما طلب امر ايضاً بجلده للحصول على مبلغ اوفر.

ولم تكن هذه المظالم تقتصر على الفلاحين دون سواهم . فاهل المدن معرّضون لها كالفلاحين . فمن كان منهم على شيء من الغنى عَمل جهده في اخفائه وتظاهر بالمسكنة والفقر . فقلّ ان ترى بيوتاً فاخرة الا ما كان منها الولاة

والجكام والاغوات . اما المساكن الاخرى فظاهرها رثّ ، قليل النوافذ ، خالٍ من الهندسة . وقد يكون في داخلها بعض اسباب الراحة والرياش الثمين . قال دي ڤولني : سوّلت لاحد الاغنياء نفسه ان يبني له قصرًا . فلما رآه الباشا حتى ارسل الى ربّ القصر يقول له : إنه يودّ لو زاره وتناول القهوة في بيته . فلما دخل البيت طابت له الاقامة فيه ولم يتخلّص منه صاحبنا الا بهدية « زهيدة » تبلغ عشرة آلاف ذهب ، على ان يعود لزيارته مرة ثانية .

وكأنّ هذه الآفات الثلاث : آفة الوالي ، وآفة الجباة ، وآفة الجند ، لم تكن كافيةً لازهاق الشعب . فهناك آفة اخرى قد تكون اشدّ وقعًا عليه ، الا وهي الفتن والحروب المتواصلة . فتارةً يثور الجند على الباشا لتهاونه في الانفاق عليهم ، وطورًا يشنّ البدو الغارة على اهالي الحضر لنهبهم وسلبهم ، او تُشهر الحرب بين الولاة انفسهم تراحمًا على لواء او انتقامًا من منافس او عدوّ او تحصيلًا لجزية أبى احدهم دفعها . وهكذا يظل الجند يسرحون في البلاد عرضًا وطولًا يعيثون فيها فسادًا ويُلقون الرعب في قلوب الاهلين ، ويسوقون الطرش ، ويحرقون الزرع ، ويُتلفون الغرس ، ويهدمون البيوت ، فحيث يمرون لا يتركون الّا اطلالًا بالية خالية . ومن يخامره الشك في اقوال دي ڤولني ما عليه الا مراجعة تاريخ الامير حيدر الشهابي الذي يتكلم عن تلك الفترة من الزمن ليتأكد من صحة ما اورده الكاتب الفرنسوي . فان الغالب من المقاتلين ما استولى على قرية او مدينة الا احرقها ونهبها متمثلًا في ذلك المثل العربي القائل : من غلب سلب ، ومن عزّ بزّ . وكانت الاضرار تكاد تنحصر في الاموال ، لأن المواقع ما كانت تُسفر الا عن قليل من الجرحى والقتلى . وكان الفريق المدحور يتبدد خاذلًا اميره غير ملتفت اليه ، وكيف لا يكون ذلك والجنود مأجورون غرباء لا يحاربون لغاية شريفة او مدافعة عن وطنهم ، بل سعيًا وراء جرّ مكسب او مغنم .

اما الباب العالي فكان موقفه من هذه الحروب الاهلية موقف النظارة لا يتدخل فيها الا اذا كان خطرٌ على السلطنة ، وربما عاون احد الولاة على قرينه لوفر في غناه ، او ابسطة يده في الرشوة ، فليس من رائد غير المال ولا من مطمع الا نشر الفساد والتفرقة بين الرعية ، فتراه لا يُحجم في سبيل النهم

والمنفعة عن انزال النقمة بخير عمّاله واظهار الرضى لشرّ ولاته . فالجزّار ، وهو المغتصب السفّاح ، كاد يستولي على جميع البلاد السورية بالدسائس والبواطيل والقحة ، فانه اشترى لواء دمشق ، وجمع في يده الى هذا اللواء لواء عكا ولواء طرابلس ، وطمع في لواء حلب .

وقائل يقول : اما من مرجع للشعب يرفع اليه شكواه ويعرض عليه ظلامته ؟ أما من محاكم للنظر في دعاوى السلب والنهب والاغتيال ؟

لم يكن من مرجع في الجنايات والجنح الا الوالي هو الحاكم الفرد لا استئناف لحكمه ولا تمييز ، فاذا فصلَ في قضية نُفذ حُكمه في الحال . وليس من دور للعدل فالمحكمة حيث يكون الوالي . وقد يؤتى بالجاني الى الحاكم ، والحاكم في طريقه الى نزهة او الى صيد ، فيُصدر الحكم باعدامه ويأمر الجلادَ الذي لا يفارقه بتنفيذ الحكم فيمدّ الجاني عُنقه ويطيح الجلاد رأسه ، ويتابع الوالي طريقه الى النزهة او الى الصيد ، وينتهي الامر . وقد يتولى الحاكم تنفيذ الحكم بنفسه ، كما فعل الجزار اذ بقر بطن احد البنائين بضربة من فأسه .

وقد يَعهدُ الوالي بهذه السلطة الى عمال له ، فينبثّون في المدن والقُرى ، ويتخذون لهم الجواسيس والوشاة ، ويكون مُعظم هؤلاء من الاشرار المفسدين الدسّاسين ، فيكثر الجور ، ويعم الظلم ، ويسود البرطيل والرشوة ، ولا سيما في محالّ التجارة حيث تفحص المكاييل والموازين ، ويعاقب على كل خلل فيها بخمسمائة جلدة وبعض الاحيان بالقتل .

ولم يكن من محاكم مستقلة الا المحاكم الشرعية . فان هذه المحاكم كانت مرتبطة رأساً بقاضي القُضاة او قاضي العسكر في الآستانة . وكانت ، على حد قول ڤولني ، على غاية من البساطة . فالقاضي يجلس للقضاء في بيت لا يحجبه به حاجب عن المتداعين ، ولا يقوم بينه وبينهم وسطاء ولا محامون ، فتقلّ النفقة ويُقتصد بالوقت . واذا كان القاضي نزيهاً عالماً بالشرع اقام ميزان العدل وانصف الناس وارضى الجميع . واذا كان جاهلاً غاشماً محباً المال ، اضطرب الامر واصبح ظلمه موازياً لظلم الحاكم متسلّطاً له .

ولا نتكلم عن النظافة واسباب الراحة في المدن فانها كانت مفقودة ، ولا

عن العلم فان الجهل كان مخيماً على الربوع السورية. لا مدارس فيها ولا كتب ولا اطباء ولا مهندسين. وجلّ ما هناك بعض علماء في الشرع يُرشحون نفوسهم للقضاء.

اما الصناعة فكانت تستخدم ادوات مضى على اختراعها الوف من السنين. وكان القسم الاكبر من التجارة بيد الاجانب من فرنجة وارمن ويونان وما ذلك لزهد الاهلين بها او ترفعاً او وَرَعاً، بل لاسباب اخرى. منها أن الباب العالي كان، لحكمة لا تدرك او لسهولة تحصيل المال، يُراعي جانب الاجنبي ويميله على ابناء البلاد. فكان الاجنبي مثلاً يدفع عن بضاعته عند اخراجها من الجمرك ثلاثة بالمائة بينما الوطني يدفع سبعة او عشرة. وكان الاجنبي، اذا دفع الرسوم الجمركية أُعفي منها عند نقل بضاعته من بلد الى بلد. اما الوطني فكان يدفع عنها رسماً جديداً كلما نقلت. وكان الباب العالي يُوزّع على سفراء الدول، عند قدومهم الى العاصمة العثمانية براءات اي رُخصاً للتجارة. وكان السفراء يوزّعونها بدورهم مجاناً على رعاياهم. ثم سرت اليهم عدوى حب المال فاخذوا يبيعونها منهم بيعاً.

هذه صورة مصغرة عن حالة البلاد السورية في اواخر القرن الثامن عشر. ولا عجب ان تؤثر هذه الحالة في الاخلاق الاجتماعية والعادات فتظلم النفوس ويكثر القلق، وتذهب البشاشة من الوجوه، ويخفّ النشاط والسعي، وتضعف الثقة بالحكام، ويتظاهر الناس بالبؤس والفقر. وقد توهم بعضهم، ومنهم مونتسكيو، ان سبب هذا الكسل والتراخي في بُلدان الشرق هو إقليمها الحارّ. فرد عليهم دي ڤولني رداً طويلاً جاء فيه أن الظلم واضطراب الامن هما اصل كل هذا البلاء، وان الحرّ لو كان سبباً لقلة النشاط والحركة لما قامت دول الشرق القديمة التي دوّخت العالم ولما ازدهرت في قلب الصحراء مدينة تدمر العجيبة.

وكأنّ ڤولني اراد ان يقدم دليلاً قاطعاً على صحة رأيه، فشفع وصفه لسوريا بوصف منطقة من هذا الاقليم الحارّ، قائمة على البحر المتوسط، هي لبنان، فقال: ان قبساً ضئيلاً من نور الحرية والوطنية يغيّر وجه الارض.

كانت حدود لبنان في ذلك الزمن تتسع او تضيق، وفقاً لسطوة حكامه

وحنكتهم السياسية فتكون تارة من صفد وعجلون الى بعلبك وتشمل بيروت. وتكون طوراً دون ذلك. على ان لبنان لم يكن في اي وقت من الأوقات خاضعاً خضوعاً تاماً لسلطان الاتراك، وقد ظل مستقلاً في حكمه لا تربطه بالباب العالي أية رابطة، حتى سنة ١٥٨٨، حيث تفاقم اعتداؤه على اراضي الدولة فجرّد عليه السلطان مراد الثالث جيشاً عظيماً لاذلاله ووضع حد لطغيان ابنائه الدروز والموارنة. فتمكن ابراهيم باشا، القائد التركي، بقوة جيشه وبذره بذور الشقاق والخلاف بين زعمائهم من ردّهم الى جبالهم وفرض الجزية عليهم. لكنهم ظلوا مستقلين في ادارة شؤونهم الداخلية لا يولّون عليهم الا منهم. وكانت هذه الجزية تعظم او تضؤل تبعاً للاحوال السياسية ولقوة شوكة الامير اللبناني او ضعفها. وقد يأبى الامير دفعها غير آبه لتهديد الباب العالي ووعيده، وقد يُعلن عماله الحرب ويساجلهم القتال ويستولي على مدنهم واراضيهم. وكثيراً ما حاول عُمال الاتراك إقتحام الجبل فعادوا بخُفَّي حنين. وهل من حاجة لذكر ما قام به فخر الدين المعني من مآثر مجيدة واعمال جليلة، كانت اكليلاً من الغار على جبين لبنان الناصع.

كان لبنان مؤلفاً من منطقتين: جبل الدروز، وبلاد كسروان. وكانت حكومته، على حد قول قولني، حكومة غريبة الشكل فهي ملكية ارستوقراطية ديموقراطية في وقت واحد. فان رئيسها اميرٌ مطلق السلطة يرث الامارة عن ابيه ويورثها ابناءه، او إخوته اذا لم يكن له ابناء، واذا انقرض الذكور من الاسرة الحاكمة انتخب امراء البلاد ومشايخها واعيانها خلفاً له من أسرة اخرى عريقة في الحسب والنسب ذات حول وطول. وكان الامير يتصرف بشؤون رعيته تصرف الاب بشؤون بيته. فاذا كان حازماً عادلاً انقادت له البلاد وأطاعته طاعة عمياء. واذا كان ضعيف الرأي خائر العزيمة، تراخت عنه وربما انقلبت عليه. غير أنه على تفرده بالحكم ما كان ليستبد برأيه، ويستقل بادارته، بل يُكثر من المشورة ويستطلع افكار ذوي الفضل والحنكة. ولا يبتّ في امر هام الا بعد ان يعقد مجالس عامة يشترك فيها وجوه البلاد، وكل من له جرأة من أبناء الشعب. وكان يتحتم عليه عقدُ هذه المجالس اذا اراد زيادة

ضريبة الاموال الاميرية ، او اعلان حرب ، او عقد صلح . فهذه القضايا العمومية يبتّ فيها جميع سكان البلاد ، لان لها مساساً بكل فرد منهم ، ولان كل فرد من الشعب يغار على مصلحة الوطن غيرة الامير نفسه ، ويدافع عنه دفاعه عن بيته . ولم يكن للامير في ايام السلم جند نظامي من الاغراب كما هي الحالة في البلاد السورية ، بل كان جميع اهالي البلاد جنوده يلبون طلبه ويحشدون لاول إشارة منه . فاذا أعلنت الحرب ، صعد المنادون في المساء الى قمم الجبال في دير القمر ، وطرحوا الصوت صارخين في سكون الليل بملء حناجرهم : « الحرب . الحرب . تقلدوا البنادق والسيوف والرماح وامتطوا الخيل وهلموا الى دير القمر » فاذا سُمع هذا النداء الرهيب وردّدته اصداء الاودية ، صعد المنادون في القرى المجاورة الى اعالي التلال وردّدوه ، فلا يمضي بعض الزمن حتى ينتشر الخبر من اقصى الجبل الى اقصاه وتتألب الرجال من جميع الجهات متوافدة الى الدير : الامراء والمشايخ على خيولهم ، والاهالي على اقدامهم . وكانت الحرب متواصلة بين الجبل وجيرانه فكان ابناؤه يتمرسون بها ويصبرون صبر الابطال ، واذا كان سلم قضوا اوقاتهم بالتدرب عليها والتمرن على فنونها ، فكانوا من خيرة الفرسان والرماة وعلى جانب عظيم من الشجاعة والجرأة .

يقول دي ڤولني : لو اتيح لهؤلاء الجنود البواسل أن يُدرَّبوا تدريباً عسكرياً حديثاً ، وان يُجهَّزوا بالمعدّات الحربية ، وان يكونوا تحت قيادة قواد ماهرين كما هي الحال في اوروبة ، لتفوّقوا تفوقاً بيّناً على الجيوش الاوروبية . فانهم على جرأة تقرب من التهوّر ، صليبو العود ، مفتولو الساعد ، صبورون على الشدائد ، اطوع لقائدهم من بنانه . ويذكر أنهم في سنة ١٧٨٤ قضوا ثلاثة اشهر منتشرين في الفلاة لا خيم ولا بيوت يأوون اليها ، وأنهم رغم قلة المؤن وخفة اللباس ، ورغم تعرّضهم للتقلبات الجوية ، لم ينل المرض والموت منهم اكثر مما ينالانه فيما لو كانوا في بيوتهم وقال : «ان هذه المدّة الطويلة التي قضوها على هذه الصفة في الحرب لا يقوى الفرنسيون ولا الانكليز على الثبات عليها مدة عشرة ايام . »

كان عدد سكان لبنان من دروز وموارنة يبلغ ما يقارب الـ ٢٢٥٠٠٠ نفس يحشد منهم في ايام الحرب ٧٥ الف جندي كلهم صالح للقتال . وكان معدل عدد الاهالي في الفرسخ المربع ١١٠٠ نفس، اي ما يوازي في ذلك الحين نسبة المقاطعات الفرنسوية الاوفر سكاناً والاكثر خصباً ، مع ان المنطقة اللبنانية معظمها من الجبال العالية الجرداء ، وما بقي منهـا فاراضٍ صخرية لا تصلح للزراعة او اراضٍ خفيفة التربة لا تخصب الا بفضل نشاط اللبنانيين وجلدهم . وقد بلغ بهم الحرص على احياء الزراعة شأوًا بعيدًا حتى انهم فتتوا الصخور وزرعوها .

هذا ولم يكن في لبنان شأن للصناعة والتجارة ، فما سبب هذه الكثرة في السكان ؟

لذلك اسباب عدة منها الامن والطمأنينة . فليس هنالك ظلم ولا بلص ، ولا جند اغراب يتعدون على الارزاق والارواح ، ولا بدو يرعون الزرع عشياً . ومنها مُلكية الارض فكل لبناني ارضه له ، او كأنهـا له ، يتعهدها ويحييها ويأكل ثمرها وينام مرتاح البال على يقين من انه يورثها ابناءه بعد موته . ومنها أن الجبل كان ملجأ للفـارين من وجه الظلم يأتون اليه معتصمين فيلقون معقلاً منيعاً وصدورًا رحبة ويكثر بهم عدد الاهالي ، وتقوى شوكتهم وتعظم هيبتهم في نفوس جيرانهم ، وتزيد بهم الجنود والايدي العاملة . كانت الاراضي فيما مضى اقطاعات للاسر الكبيرة ، ولم يكونوا يتمكنون من استغلالها ، فاخذوا يبيعونها ، حُبًّا لإحيائها ، من الفلاحين ، فتوزعت ، واصبح لكل فلاح ارضه يُعنى بها عنايه بابنائه ، ولم يكن عمله ابأن السلم الا الزراعة والتمرن على الاعمال الحربية ، وكان جميع ابناء البلاد ينصرفون اليها ، المشايخ منهم والعامة على حد سواء ، ولاسيما الرهبان والكهنة . وذكر ثولتي أنه كان في كل دير من اديار الجبل رهبان يتعاطون الخياطة والاسكفة والتجارة وما الى ذلك .

وكانت المساواة سائدة في لبنان حتى في توزيع الاموال الاميرية ، فلا يدفع احدهم الضريبة الا على نسبة ما يملك . وكانوا يتساوون ايضاً في اللبس . فلا يفرق بين الشيخ والفلاح الا عباءة قد تكون مرقعة لا قيمة لها . وهنا

ينتقد فولني طريقة توزيع الارث في لبنان فيقول : يحق للبناني ان يورث احد ابنائه دون اخوته محافظةً على تُراث العائلة ، مما ادّى الى وجود مشايخ وامراء لا يملكون الا القابهم ، يدعون امراء الزيتون .

ولم يكن في الحكومة اللبنانية قوانين جزائية او مدنية مكتوبة . بل كانوا يتمشون في ذلك على العرف والعادة . وكان الحاكم يعيّن القضاة . غير انه كان يحتفظ لنفسه بحق العفو او تنفيذ حُكم الاعدام.

وكان الدروز والنصارى على احسن ما يكون من الالفة والتساهل ، لا يتدخل بينهم الدين ، ولا تفرق بينهم الحزازات والاحن ، بل كانوا يدًا واحدة على العدو الاجنبي ، حريصين على استقلالهم وراحتهم ، في جيرة بلادٍ سادتها وجنودها ليسوا منها يغمرها الاضطراب والارهاب والجور ، ولا معنى للوطنية فيها .

وكان الدروز يقطعون في جبالهم الاقطاعات للرهبان النصارى فيبنون فيها اديارهم ويغارسون فيها شماتهم ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . وكان مدبرو الامراء الدروز ومستشاروهم وكتابهم من النصارى لان هؤلاء كانوا اسبق مَن انصرف للعلم في تلك الايام بفضل المطابع التي انشأها الرهبان في لبنان ومنها مطبعة مار حنا الشوير . انشأها في اواخر القرن الثامن عشر رجل كان قد تتلمذ على اليسوعيين في حلب يدعى عبدالله زاخر . وُشي به للباب العالي فاصدر خطًا شريفاً بقتله ، ففرّ والتجأ الى دير مار حنا للرهبان الكاثوليك ، وكان اخوه رئيساً عليه ، فتمارنا على اعداد المطبعة . فرسم عبدالله حروفها وحفر أمهاتها واخذ في طبع الكتب بمؤازرة الرهبان . فكان اول ما طبع كتاب المزامير لداود النبي ، فاصبح هذا الكتاب مدرسياً يتعلّم به الاولاد القراءة[1] . وهكذا انتشر العلم في لبنان في جوّ مطمئن هادئ وما لبث ان انتشر منه الى الاقطار المجاورة .

وكان الدروز والموارنة ، اذا قابلوا بين حالتهم وحالة جيرانهم ، وجدوا فرقاً

---

(١) هذا ما دوّنه فولني من معلومات عن عبدالله زاخر ومطبعته ، تناولها في دير مار يوحنا نفسه ، وقد أقام بين رهبانه اياماً كثيرة . وقد يكون في تفاصيل روايته بعض الهنات الطفيفة ، الا انها لا تضير الفكرة العامّة .

عظيماً: هم احرار، وجيرانهم رازحون تحت نير الظلم والجور. هم مطمئنون، وجيرانهم في قلق دائم. هم يحكمون نفسهم بنفسهم، وجيرانهم حكامهم غرباء. هم جند البلاد يدافعون عنها ويفدونها باموالهم وارواحهم، وجيرانهم جنودهم مرتزقة من شذاذ الاقطار. هم في أمن، وجيرانهم في خوف. فتعظم عندهم نفوسهم، وتغلب فيهم الانفة والعزة، وتشرق وجوههم بالبشاشة والطلاقة، ويقل فيهم الخبث والسكينة، ويكثر النشاط والاقدام.

غير انهم كانوا في بيئتهم الضيقة مكتوفي الايدي، قصيري الباع، محفوفين بالخطر، معرضين للاعتداء والانتقام، لا عاصم الا جبلهم وجرأتهم، ولا حصن الا اتحادهم والفتهم، لا يتسع لهم مدى لمواهبهم ولا ينفتح لهم منفذ لانتشارهم.

فاذا قابلنا بين ما كانوا عليه اذ ذاك وما صاروا اليه اليوم وجدنا برزاً شاسعاً. واذا قابلنا بين حالة سورية في تلك الايام وحالتها الان، وجدنا البون اوسع. فما هي العوامل التي ساهمت في هذا التطور السعيد؟

أترانا لو تركنا وشأننا وظللنا منعزلين في هذا السور المبني بحجارة الجور والاستبداد أكنا تمكنا بنفوسنا من الانعتاق وبمماشاة الامم الحية على طريق الرقي والعمران. قد يكون ذلك ممكناً لو كانت مقدراتنا بيدنا، ولو كنا على كلمة واحدة تنفخ في صدورنا روح الوطنية والغيرة على المصالح العمومية. اما، والحالة ما رأينا، فكان لا بدّ لنا من نجدة تأتينا من الخارج وتقشع عنا هذه الغيوم المتلبدة في سمائنا، وقد جاءتنا هذه النجدة على اشكال شتى لم يكن شعار جميعها المحبة والعاطفة الانسانية، بل كان رائد معظمها يرمي الى خلاف ذلك. فهناك المطامع الاستعمارية، والمنافسات السياسية والمنافع التجارية. على أنها، مهما تنوعت ومهما كان القصد منها، فان الذي اوجدته بيننا وبين الغرب قد اثمر ثماراً عاد خيرها علينا فأفدنا منها ولا نزال. وسواء اكان الاجانب اصدقاء، ام غير اصدقاء. فاننا باختلاطنا بهم قد تفتحت عيوننا على آفاق واسعة في جميع الحقول السياسية والادبية والوطنية والعلمية لم نكن لنحلم بها لولا هذا الاتصال. اما وعينا الحاضر الذي يدب الآن في صدر كل منا فاني اراه قد استيقظ من سباته العميق على دوي مدافع نابليون في عكا.

«الاكروستيش» او فنّ التوزيع

ودلالته على صحة نسبة كتاب الاكطويخوس

ليوحنا الدمشقي

نقله إلى العربية فؤاد افرام قادري

ماهيّة « التوزيع »

ان كلمة « اكروستيش » (Acrostiche) مركبة من كلمتين يونانيتين : ἄκρος الدالة على حدّ او طرف. στίχος الدالة على بيت من الشعر ، ويقابلها في العربية لفظة « توزيع » .

و« الاكروستيش » قصيد صغير يتألف من ابيات يوازي عددها عدد الحروف التي يتألف منها الاسم ، او بيت الشعر ، او موضوع القصيدة ، بنوع ان كل بيت من هذه الابيات يبتدئ بحرف اولي من حروف ذلك الاسم او ذاك البيت . واذا جمعتها بتتابع ونظام بانَ لك الاسم بكامله في اوائل ابيات القصيدة . واليك هذا التوزيع الافرنسي للملك لويس الرابع عشر :

L ouis est un héros sans peur et sans reproche :
O n désire le voir. Aussitôt qu'on l'approche,
U n sentiment d'amour enflamme tous les cœurs.
I l ne trouve chez nous que des adorateurs.
S on image est partout, excepté dans ma poche. (1.

Louis

على ان هذا الذوق الأدبي الفني وانتقاء المواضيع ، واستعمال « الاكروستيش »

1) cf. *Dict. d'Archéol. Chrét. et de Liturgie*, t. I. p. 360.

2) cf. *Larousse*, au mot *acrostiche*.

في القصائد والاناشيد ، نلامات قيمة تدل على الحالة الفكرية في عصر من العصور

فعلم الآثار والاثريات مصدر من مصادر علم النفس والاجتماع . ولقد احسن في ما قاله في هذا المعنى العلّامة الافرنسي ليتره (Littré): «عندما نفكر في ارتباط المعاني في صفحة من صفحات الشعر ، ونهبط من فكرة الشعر الى فكرة السطر ، ومن فكرة السطر الى فكرة الرتبة ، ومن فكرة الرتبة الى فكرة العمل الذي به ثبت الشاعر وحدّد تلك النقاط التي تؤلف الرتبة ، فاننا نقف حقيقة على عمل العقل البشري الغريب والظاهر في جميع هذه الاصطلاحات غير المسلوكة والمجردة».[1]

«والاكروستيش» نوعان شعري وابجدي . فهذا تسلية لغوية ادبية قديمة العهد ، على ما يظهر لنا ، وذاك عمل فكري عميق يربط معاني الابيات بمباني الحروف ويدلّ على جهود الفكر في عصر من العصور

التوزيع الابجدي بسيط يتركب من الحروف الابجدية تدخل في اوائل ابيات القصيدة فيكون إمّا مقطعيًا وإمّا فرديًا.

فالتوزيع المقطعي على نوعين : إمّا ان يعاد الحرف في كل بيت من ابيات المقطع الواحد ، وامّا ان يكون لمقطع واحد حرف واحد يظهر في اول بيت من المقطع مرّة واحدة .

والتوزيع الفردي هو ما يظهر في كل بيت من النشيد مبتدئًا بأول حرف من الابجدية بأول بيت من القصيدة . وهكذا تتوارد الحروف الابجدية بتتابع ونظام في كل ابيات القصيدة حتى آخر حرف من حروف الابجدية .

واصل هذا التوزيع الابجدي في نوعيه يرجع الى العبرانيين الذين نظموا الشريعة شعرًا ، ودبّجوها بهذا الفن الطريف . وقد اخذ عنهم ذلك السريان ، والرومان ، واليونان ، والعرب وغيرهم.

والتوزيع الشعري هو ما كان موضوعه اسمًا او آية او بيتًا من الشعر او

1) Littré, *Dictionnaire de la Langue française*, t. I, p. 48, col. 3.

ابياتاً ، يوزع الشاعر هذه الحروف على ابيات القصيدة او مقاطعها صغيرة كانت او كبيرة.

واما نشأة هذا التوزيع الشعري فتعود بالاخص الى الشاعر اليوناني ابيكرم (Hipponax) الشاعر الهزلي وربيب القرن الخامس قبل المسيح (+ ٥٥٠).

وقد اكّد سرّ هذه الالعاب الادبية الفكرية الكثير من الشعراء على ان التوزيع كان نوعاً من انواع الاحاجي التي استعملتها بنات البحر ليتكهّن بها للناس ويعرّفهم المضمرات الغوامض.

التوزيع عند العبرانيين

ان آثار العبرانيين الشعرية حافلة بالاناشيد التي تبتدئ ابياتها بالحروف الابجدية العبرية ، والتي تهيمن عليها روح علوية طبعت في نفسية الشعب العبراني حبّ الشريعة الأزلية والوصايا الالهية . فاذا بها مكتوبة بالحروف الابجدية كطابع خصوصي للشعب المنتخب الذي أخذ على نفسه ان يسير في شريعة الربّ ويهذّ بها نهارًا وليلًا الى أن تكلّ عيناه من النظر الى اقوال الرب...

واول من تغنى بالحروف الابجدية كان داود النبي . فمن تصفح المزامير الشعرية باللغة العبرية وجد فيها ثمانية مزامير مختومة بخاتم التوزيع وهذه المزامير هي : ٩ و١٠ و٢٤ و٣٣ و١١٠ و١١١ و١١٨ و١٤٥ . وأضف الى هذه المزامير الثمانية الفصلَ الحادي والثلاثين من سفر الامثال ، ومراثي ارميا الا الفصل الاخير منها . كما يظهر ذلك في الترجمة العربية اليسوعية للكتاب التي وقف عليها الشيخ ابراهيم اليازجي واخرجتها المطبعة الكاثوليكية ، حيث نجد آيات المراثي مسبوقة بالحروف الابجدية العبرانية.

واذا سألنا ذواتنا لماذا استعمل الشعراء العبرانيون التوزيع الابجدي في اناشيدهم ، اجبنا ان ذلك كان أولًا لحفظ الاناشيد غيباً بسهولة ، لان تصدّر حروف الهجاء في اوائل الآيات يساعد مساعدة كبرى على التذكر السريع بأول كلمة من الآية.

وهنا لا بدّ من ملاحظة صغيرة وهي ان التوزيع في المزمورين التاسع

والعاشر غير كامل . ولعلّ ذلك النقص ناتج من تقسيم هذين المزمورين الى اثنين بينما يدلّ الاصل على انهما مزمور واحد لانهما يتكملان بتوزيع واحد

واما المزمور المئة والثامن عشر ومطلعه : « طوبى للاذكياء في الطريق السائرين في الشريعة » فله توزيع مقطعي او دوري . وهو مقسوم الى اثنين وعشرين دورا ، وكل دور مؤلف من ثماني آيات تبتدئ بالحرف الواحد ثماني مرات « ولا يخفى ما في هذا الترتيب المنتظم من الملاءمة للنفس وما يلقيه من الطلاوة والبهجة على كُدة الكلام التعليمي المسرود في هذا المزمور فضلًا عما هنا من التخفيف على قوة الذاكرة »[1] .

وقد استعمل التوزيع صاحب سفر الأمثال . فنجد أثره في الفصل الحادي والثلاثين من الآية العاشرة حيث يبدأ « من يجد المرأة الفاضلة ان قيمتها فوق اللآلئ » فهذه الآية هي بمنزلة مطلع لقصيدة في مديح المرأة الفاضلة قد نظمت على حروف الهجاء ، وهي اثنتان وعشرون آية ، وكل آية منها مفتتحة بحرف من الحروف الابجدية العبرانية حسب ترتيبها .

واستعمل النبي ارميا التوزيع في مراثيه ، في الفصول الاربعة ، مع هذا الاختلاف البسيط بينها وهو ان الفصول الاول والثاني والرابع مؤلفة من توزيع فردي ، اي لكل آية حرف يبتدئ بها . واما في الفصل الثالث فكل حرف من الابجدية يفتتح ثلاث آيات متلازمة وهذا الفصل اكبر الفصول الأربعة في مراثي ارميا .

وربما كان هذا الاستعمال من النبي ارميا يقصد منه فاتخذ التوزيع كسد يحدّد ويقيّد به شعوره وألمه . ومهما تكن دواعي هذا الاستعمال ، فترتيب الحروف لا يضرّ ابدًا بالتعبير الطبيعي الشعري عما في النفس من العواطف ، فهو يماثل مجرى النهر الضيق الذي يحدّد جري المياه وقد تتفجر عيون صافية وتتدفق بسرعة من بين الصخور التي تضم شواطئ النهر[2] .

---

١) راجع حاشية في الكتاب المقدّس على المزمور ١١٨ من الترجمة العربية المجلد الثاني ص ٨٤٦ ، عمود ٢ .

٢) L. Haneberg : *Histoire de la Révélation Biblique*, t. I, p. 353.

التوزيع عند السريان

وعرف السريان التوزيع العبراني . فتلقّفوه عن العبرانية ، لما رأوا فيه من التسلية الادبية ، والسهولة في حفظ الاناشيد والقصائد الدينية ونجد آثارًا لهذا الفن في الآداب المعرفية (Gnostiques) في الكتاب المعنون : كتاب آدم (Liber Adam) . فهناك اربعة مزامير مختومة بخاتم الابجدية المطّردة وكل مزمور مركب من اثنتين وعشرين آية تقابل حروف اللغة السريانية .

وقد ألف كثير من شعراء السريانية الكنسيين « مداريشهم » ومياسرهم على حروف الهجاء ليسهل حفظها غيباً . فالشاعران يعقوب الرهاوي والقديس افرام السرياني تتبعا التوزيع في قصائدهما ولا تزال محفوظة في كتب « وشحيات » السريان والموارنة .

ونجد ايضاً اثرًا للتوزيع الابجدي في ما نقله السريان عن الصلوات اليونانية الى السريانية ، كما في قانون عيد البشارة ليوحنا الدمشقي ، وقد صرّح بذلك احد علماء السريانية الخوري اسحق ارملة السرياني في مقالته : « السريان والملكيون » في مجلة المشرق الغراء قال :

« بيد ان السريان في نقلهم قانون العذراء الجليلة تأليف يوحنا المتوحد (الدمشقي) لم ينهجوا نهج سائر القوانين اليونانية التي ترجموها بل توسعوا في نقلها خصوصاً منذ الأودية الثامنة التي تقابلها في السريانية تسبيحة الفتيان في اتون بابل فنظموا عباراتها عبارة عبارة طبقاً للحروف السريانية الابجدية طردًا وعكساً أعني من الالف الى التاء ثم من التاء الى الالف حتى اصبح مجموعها ٤٤ عبارة ولم يضبطوا وزنها وفقاً للنظم السرياني »[1] .

اجل ان السريان في نقلهم قانون يوحنا الدمشقي الى لغتهم ارادوا ان يتقلدوه حتى في مباني القصيدة اليونانية الا انهم اضطروا الى تخفيف عباراتها الاصلية من ٤٨ عبارة طردًا وعكساً الى ٤٤ لان حروف الابجدية السريانية اثنان وعشرون حرفاً بينما ان حروف اليونانية اربعة وعشرون حرفاً .

---

١) راجع مجلة « المشرق » ٣٩ [١٩٤١] ٢٦١ – ٢٦٢ .

وقد اطلعنا حضرة الخوري اسحق ارملة الموما اليه على ميمر للقديس افرام نظمه في آية داود النبي ﻫﻫﻮﺍ ﻭﻭﺒﺏ ﺤﺩﻭﺘﻤﺍ ﻤﺤﻤﻘﺴﻭ ﺤﺤﺍ ﻤﻭﻫﺍ : « أشرق النور على الصديق والفرح على المستقيمي القلوب » (مز ٩٦ : ١١) على طريقة « التوزيع » مبتدئاً في كل بيت بحرف من احرف يسوع المسيح وهذا هو :

ﻫ ـ ﻫﻫﻫ ﻫﺫﻭ ﻫﺩﻤﺴﻝ ﻭﺏ ﻝﻩ
ﻫﻉ ﺤﻫﺤﺍ ﻭﺍﺤﻫﻫ .
ﺍﺍ ﻤﺍﻫﺠﻩ ﻫﻉ ﻤﻫﻫﺤﺍ
ﻤﺍﻭﻭﺫ ﻝﻩ ﺤﻫﻫﻭﻩ ﻝﺍﻝ ؛
ﺍ ـ ﺍﻫﻫﺤﺍ ﻭﺏ ﻝﻩ ﺤﺘﺘﻤﺍ
ﻫﺤﺫ ﻫﻫﻝﻤﻩ ﻭﻫﻫﺤﺍ .
ﻫﻫﻫﻭﺍ ﻭﺏ ﻝﻩ ﻫﻉ ﻫﻫﻭﻩ
ﻤﺍﻭﻭﺫ ﺤﺘﻫﻫ ﻤﻫﻫﻫﺍ ؛
ﻫ ـ ﻫﻫﺤﻫ ﺍﻭﺏ ﻝﻩ ﺍﺤﻝ
ﻤﺍﻭﻭﺫ ﻝﻤﻫﻫﺤﺍ ﺍﺘﻤﺍ .
ﻭﺤﺭ ﻫﻫﺍ ﻫﺤﺫ ﻤﻫﻫﺤﺍ
ﻤﺍﺍﺍﺠﻩ ﺍﻭﺤﺍ ﻭﻫﻫﻫ ؛
ﻭ ـ ﻤﺍﻭﻭﺫ ﺤﻫﻫﻉ ﺤﺘﻫﺍ
ﻭﻉ ﻫﺠﻫﺭ ﻤﻫﻫﺤ ﻫﻫ :
ﻫﻫﻩ ﻫﺘﻫﺍ ﻫﻫﺤﻫ ﺤﻫﺍﺍ
ﻫﻫﺠﺒﻩ ﻭﻫﻫﺍ ﺤﻉ ﻫﻫﻭﻫﺍ ؛
ﻫ ـ ﺤﺠﺏ ﻫﻫﻭﻫﺍ ﻫﻫﻫ ﺤﻝ ﺘﺍ
ﻤﺍﻝﺤﺏ ﺤﻫﺍ ﺍﻫﻫﻫ ﺤﻫﻫﺍ .
ﻫﺍﻫﺩ ﺃﺃﺍ ﻫﻫﻫﺤﻩ ﻭﺤﻫﺍ
ﻫﻫﻭﻭﺫ ﺤﺘﺍ ﻭﻫﻫ ﻭﻫﻫﺒﻩ ﺤﻩ ؛

ܡ ـ ܡܠܟ ܐܠܐ ܚܡܕܚܣ ܘܚܠ
ܟܢܘ ܚܬܝ ܡܕܚܡ ܠܐܘܟܗ .
ܡܣܒܐ ܚܗ ܐܡ ܒܣܒ ܚ
ܡܡܫܒܐ ܚ ܚܡܡܘ ܝܠܐ ؛

ܢ ـ ܡܡܚܠ ܟܡܡ ܚܢܚܡܐ
ܡܠܚ ܢܘܐ ܠܐܚܡܡ ܘܚܠ .
ܘܡܝ ܘܣܡܡ ܡܠܒܡ ܪܐܡ
ܡܚܒܡ ܚ ܗܢܐ ܡܡܘܚܠ ؛

ܣ ـ ܡܡܚܡ ܘܣ ܡ ܡܠܚ
ܡܢܡܡ ܠܐܘܟܗ ܡܡܡܩܡ .
ܡܡܣܡܘܡ ܚܡܡܩܘܣܩܡ
ܡ ܒܚܡܒܟܗ ܡܠܐ ܡܐܠܡܚܗ ؛

ܣ ـ ܣܡܡ ܡܕܐܩܐ ܡܚܬܡ ܡܡܚ
ܚܡܡܚ ܒܚܐ ܡܐܘܒܩ .
ܡܡܢܡܡ ܩܟܡܐ ܚܬܡܡܡ
ܡܐܣܡ ܡܕܡܚܡ ܡܡܡܟܡ ؛

ܐ ـ ܐܣܬ ܡܘܡܣ ܡܐܠܡܚ
ܘܢܘ ܚܡܡܚ ܡܚܢܡ .
ܘܐܐ ܚܡܡܚ ܡܡܣܐ ܚ
ܚܡܡܘ ܝܠܐ ܚܡ ܡܚܚܐ ؛

عن كتاب الصلاة الفرضية حسب الطقس الكلداني (١ : ٢٥)

وهذه ترجمته الى العربية

ي : ان يسوع المسيح ربنا قد لاح لنا من حضن ابيه ،
أقبل فأخرجنا من الظلمة ، وانارنا بضيائه البهي.
ا : بزغ النهار على البشر ، وانقشع سلطان الظلام ؛
لاح لنا نورٌ من نوره ، وانار عيوننا المظلمة.

ش : أشرقَ مجدهُ ضمن السكونة ، وانار الظلوم السفلية ،
اطفأ الموت ، واخزم الظلام ، وتحطمت ابواب الجحيم .
و : وانار البرايا باسرها ، وقد كانت مظلمة ففيا ساف ؛
انبعث الموتى الراقدون في التراب ، وعبدوا (الله) لاجم فازوا بالخلاص .
ع : أجرى الخلاص ، ومنحنا الحياة ، وصعد الى ابيه الى الملاء ؛
وسيأتي بمجده العظيم ، وينير ابصار الذين انتظروه .
م : ان ملكنا سيأتي بمجده العظيم ، فلنضئ مصابيحنا ونخرج الى لقائه ؛
ولنبتهج به ، كما ابتهج بنا ، وهو يبهجنا بنوره البهيّ .
ش : فلنؤدّ التسبيح لعظمته ، ولنشكرْ جميعنا لابيه العليّ .
اذ قد فاضت رحمته ، فارسله الينا ، وصنع لنا رجاء وخلاصاً .
ي : انّ يومه سيلوح بغتةً ، ويخرج قديسوه الى لقائه ،
وكل الذين اشتاقوا وقدروا واستعدوا يضيئون مصابيحهم .
ح : يفرح الملائكة ، وجنود السماء ، بمجد الابرار والصدّيقين ،
ويصوغون الاكاليل في رؤوسهم ، ويبتهجون معاً في الاناشيد والتهاليل .
ا : يا اخوتي ، اصغوا واستعدّوا ، لنؤدي الشكر للكنا ونخلصنا ،
لانه سيأتي بمجده ، ويبهجنا بنوره البهيّ في الملكوت .

التوزيع عند اللاتين

لقد شاع عند الرومان استعمال التوزيع الشعري ، قبل المسيح . وراج هذا الفن في تواريخ المدافن . وقد وجد في بعض الحفريات الاسبانية التي اشار اليها العالم دي رُسّي رقم[1] يحمل توزيعاً يرجع الى نحو سنة ٧٨٣ للمسيح . والتوزيع موزّع في اول القصيدة وفي اواخرها كما ترى :

T e moderante regor Deus sit mici vita Beat A
U t merear abitare locis tuus incola sci S
S pem capio fore quod egi veniabile ob ho C
E xadi libens et sit fatenti venia larg A
R eor malũ merui set tu bonus arviter anfe R
H eu ne cerna tretrũ quem vultu et voce minac I
E den in regione locatus sim floribud ho C
D eboret ne animâ mersam fornacib' ast U
O curral set tua mici gratia longa pennI S

(١) راجع Patr. Lat., t. XCIX, p. 1231

فاذا جمعت اوائل الابيات قرأت Tuserhedo واذا جمعت اواخرها قرأت التوزيع التالي Ascaricus فهذه القصيدة الصغيرة الفها اسكريس لتكتب على ضريح صديقه تزرهاد Tuserhède.

وألف القديس اغسطينوس ووزن مزموراً ابجدياً لمحاربة الهراطقة الدوناتية (Donatistes)، وذلك نحو سنة ٣٩٣ وقسم هذا المزمور الى مقطوعات عديدة، واتبعها بلازمة بعد كل مقطوعة، وهذه هي اللازمة باللغة اللاتينية:

Omnes qui gaudetis de Pace, modo verum judicate.

وهذا المزمور مسجع بنبراته المتساوية ولكنه يخرج عن الاوزان الشعرية المدرسية المرتكزة على مقطع طويل وقصير... فهو بتقطيعاته الصوتية، ونبراته الموسيقية، شعر طريف واوزان جديدة. وقد لجأ اغسطينوس الشاعر الى هذه الطريقة الحديثة لئلا تفوت غاية النشيد التي هي ايصال الحقيقة اللاهوتية الى عقلية القرّاء الذين هم بنظر اغسطينوس من طبقة الشعب ليفهموا الحقيقة في بردتها السهلة والواضحة[1].

يفتتح اغسطينوس قصيدته بهذا المطلع في مقطوعته الاولى:

Abundantia Pec catorum solet fratres conturbare.

ويبتدئ في مقطوعته الثانية بالحرف الابجدي الثاني:

Bonus auditor fortasse quaerit, qui ruperunt rete?

وقد ادخلت الكنيسة اللاتينية في ترانيم عيد الميلاد والظهور اناشيد رائعة تحمل التوزيع الابجدي وهذه الاناشيد من نظم الشاعر الشهير ساديليوس (Sedulius) ومطلعها: A Solis ortus cardine...

وقد نظم ساديليوس الشاعر نشيد الميلاد هذا على الحروف الابجدية اللاتينية متوخياً في كل ذلك النسلية الفنية والسهولة في حفظ النشيد.

وتبعه في ذلك الشاعر اللاتيني فورتوناتوس (Fortunatus) في نشيد نظمه لاسقف بردقال، فاستهلّ مطلع قصيدته بهذا البيت الابجدي:

---

١) راجع مجموعة الآباء اللاتين لمين مج ٨، عمود ٣٣

Agnoscat omne seaeculum.
Antistitem Leontium.
Burdegalense præmium.
Dono supremo redditum. (١)

فاول حرف A يتصور اول مقطوعة من القصيدة ثم يتابع الشاعر في كل ابيات قصيدته التوزيع الابجدي ، الى آخر مقطوعة حيث ينتهي بحرف Z آخر حرف من الابجدية اللاتينية.

التوزيع عند اليونان

عرف الشعراء اليونان هذا النوع من البديع الشعري فاستحسنوه ، فراحوا يدبجون به حلل افكارهم وعواطفهم ، ولم يقفوا عند الحدّ البسيط من التوزيع بل تخطّوا الى ما ابعد ، فتفننوا بالتوزيع الشعري وتلاعبوا في الرموز واقدم توزيع حفظه التاريخ في النصرانية هو اكروستيش السمكة Ἰχθύς . لقد اتخذت الكنيسة في اول امرها هذا التوزيع دلالة على اسماء عروسها وربيبها يسوع المسيح ، دلالةً على بنوّته الالهية وطبيعتيه الانسانية والالهية وهدياً لميزته الخصوصية وعمله في هذا الكون الذي تمّ بخلاص البشر.

واصل هذا الاختراع هو ان المسيحيين الأولين اتخذوا السمكة شعارًا لهم ودليلًا على ايمانهم بيسوع لخلاص فكانوا يرسمونها على جدران بيوتهم وأوانيها ويحفرونها ويسكبونها سبائك فضية وذهبية ويعلقونها في عنقهم كشيء مقدس لان حروف اسم السمكة تحمل اوائل اسماء يسوع المسيح. Ἰχθύς الحرف I اي هو اول حرف كلمة يسوع Ἰησοῦς وحرف خي X اول حرف من كلمة Χριστός المسيح وحرف ثيتا Θ هو اول حرف من كلمة Θεοῦ الله وايبسلن Υ هو اول حرف من كلمة Υἱός ابن وحرف سغما الاخير Σ اول حرف من كلمة Σωτήρ مخلص فكان مجموع الحروف في كلمة اخثيس Ἰχθύς يحتوي على اوائل اسماء متعددة ليسوع المسيح . وهنا ننقل الاكوستيش بلغته اليونانية مع ترجمته

(١) راجع مجموعة الاباء اللاتين Migne 88, c. 182 . عاش فورتوناتوس هذا في الجيل السادس وسيم اسقفًا على مدينة بواتيه Poitiers وتوفي سنة ٦٠٠.

لتدلّ على عبقرية المسيحيين وروحهم الشعرية التي سمت بالشعر الحيّ الوثاب نحو الحقيقة الازلية :

توزيع اوتن Pectorius d'Autun

Ἰχθὺος οὐρανίου θεῖον γένος ὕμνει σεμνῶ.
Χρῆσι. λαβὼν σπεῦδε ἁγιῶτατα δῶρα βροτείης.
Θεσπεσίων ὑδάτων πηγὴν, φίλε, θελγομένη ψυχῇ.
Ὕδασιν ἐν ζωοῖς πλουτοδότου σοφίης.
Σωτῆρος ἁγίων, μελιηδέα λάμψας Βροσίην.
Ἔσθε πινόων. ἰχθὺν ἔχων παλάμαις (1)

واليك ترجمتها بالعربية :

ايتها السُلالة الالهية المنحدرة من الاخيثس السماوي ،
اقبلي بهاب مفعم بالاحترام حلوَ الحياة بين اهل الغناء .
جدّدي روحك ، يا حبيبتي ، في المياه الالهية ،
بجاري الحكمة الازلية التي تعطي الكنوز .
خذي الغذاء الحامل من مخلص القديسين ،
كلي عند جوعك ، واشربي عند عطشك ،
فانت تحملين الاخيثس في راحتيك .

فالمسيحيون في القرنين الأول والثاني قد اتخذوا الاخيثس كلمة تعارف بينهم فرسموا صورتها على جدران بيوتهم ، ونقشوا حروفها على ضرائحهم فكانت لهم ميزة فارقة عن سواهم .

ثم ان الشعراء على مدى العصور قد تفننوا وتلاعبوا كثيرًا في الاكروستيش حتى ان واحدًا منهم كان يعرّض بقارئه ويقول له ان اسمي مكتوب امامك فاحسن قراءته . وآخر كان يقول اني اراهن اني اكتب اسمي بكل حروفه دون ان يحسن احد قراءته (Caticulius).

وهذا التلاعب اللفظي خطا خطوة كبرى مع الشعراء الكنسيين اليونان ، فاكثروا منه في انا شيدهم الدينية ، وتلاعبوا في فنه ايّ تلاعب وخلّدوا اسماءهم في قصائد عديدة لم تزل الى اليوم تحمل الى الاجيال المقبلة اسماءهم وبنات افكارهم .

1) Pierre Batiffol, *La littérature Grecque*. Paris, 1904, p. 113.

والكتب الطقسية اليونانية لا تزال شاهداً على اثارهم القيّمة التي ما برحت تسطع مشرقةً كالزانة في مفرق الكنيسة البيزنطية.

والأثر الخالد الذي يعرفه الجميع «ابيات المديح» او ترنيمة الاكاتستون «Ἀκάθιστον» والتي ترنمها الكنيسة البيزنطية تمجيداً للعذراء مريم الوالدة في يوم الجمعة من خمسة اسابيع الصوم الاولى، هذا الاثر هو اربعة وعشرون مقطوعة على عدد حروف الابجدية اليونانية، وقد نظمها الشاعر الملهم والبقري الخالد مرنم بيروت ومطرب الملوك بالقسطنطينية رومانس الذي ربط اجزاءها بسلسلة الابجدية كانها سلم يصعد بها رومانوس الى السماء حيث يستقي الوحي الازلي والالهام الصافي المتفجر من ينبوع العذراء الدائم الفيضان.

والبيت الاول من قصيدة رومانس يبتدئ بأول حرف من الابجدية وهذا مطلع القصيدة الخالدة[1]:

Ἄγγελος πρωτοστάτης...

والمقطوعة الثانية من القصيدة مطلعها يبتدئ بالحرف الثاني الابجدي:

Βλέπουσα ἡ ἁγία σαυτὴν ...

وهكذا بالاطراد تتابع الحروف الابجدية سيرها في اوائل المقطوعات الى الاخيرة ومطلعها بالحرف الابجدي:

Ὦ πανύμνητε μῆτερ...

ومن هذا النوع ايضاً قصيدة رومانس لتقدمة عيد الميلاد وهي من اروع القصائد التي جادت بها قريحة الشاعر ومطلعها: ايتها القوات السماوية سيري[2].

Αἱ Ἀγγελικαὶ προπορεύεσθε Δυνάμεις ...

والمقطوعة الثانية ومطلعها: لتقطر التلال حلاوة.

Βουνὰ γλυκασμὸν στάξατε ἔσωσεν...

وآخر مقطوعة من هذه القصيدة ومطلعها: ظهرت على الارض وتردّدت بين الانام

(1 cf: Τριῴδιον ἐν Ῥώμῃ, 1879, p. 506-515

٢) راجع كتاب البيانون اليوناني لشهر كانون الاول، روما ١٨٨٩ ص ٥٦٤ و ٥٦٥ و ٥٧٧ و ٥٩٢ و ٦٠٩ و ٦٢٩

Ὥρθης ἐπὶ γῆς, καὶ βροτοῖς συναναστράφης ...

وهناك قصائد عديدة في كتب الصلوات الفرضية ترتدي ثوب التوزيع الابجدي ، منها قانون المطاليبي، وقانون عيد البشارة للقديس يوحنا الدمشقي

والدمشقي تفنن اكثر من غيره بالحروف الابجدية وهذا التفنن يبين حتى في النشيد الواحد كما نرى في قانون عيد البشارة . بدأ الشاعر الموسيقي القصيدة باكروستيش ابجدي يسم المقطوعات حتى نهاية الأودية السابعة ، والقصيدة حوار لطيف عميق التفكير وبعيد المرمى في الافكار والتخيلات الشعرية وهذا الحوار يدور بين الملاك المبشر والعذراء مريم . والقصيدة من اروع قصائد الدمشقي ومطلعها بعد المقدمة : فليترنم بحرك ايتها السيدة[1] Ἄθικτον ὄρος σε ὑμνοῦμεν.

والمقطوعة الثانية : اهتف اليك متحدثا Βοῶ σοι γνήσιον

والمقطوعة الثالثة : اظهر لي ايها الملاك Ἔνσπειρον μοι, Ἄγγελε.

وهكذا بالاطراد الى اخر حرف حيث ينتهي في الأودية السابعة . وفي الثامنة يبدأ الشاعر الدمشقي بتوزيع جديد ولكن الحرف لا يشمل مقطوعة بل بيتاً واحداً . فينتهي التوزيع الابجدي بالاطراد في آخر الأودية الثامنة . وفي اول التاسعة يبدأ الشاعر توزيعاً ابجدياً ثالثاً فردياً ولكن عكساً اي يبدأ اول بيت بآخر حرف من الابجدية .

ونجد هذا التلاعب في غير قصائد . كما واننا نجد التوزيع الابجدي في كتاب الاكطويخوس اي كتاب الثمانية الحان . وهذا الكتاب تستعمله الكنيسة البيزنطية في صلواتها الفرضية يوم الاحاد والاعياد على مدار السنة .

ففي صلوات الغروب في عشية الاحد يوجد توزيع ابجدي موزّع على الثمانية الالحان في قطع الاوستيخن وهذا عنوان القطع في الكتاب :

Ἕτερα στιχηρὰ κατὰ ἀλφάβητον.

استخيرات آخر على حروف الهجاء . وقد وزع الشاعر بلباقة ثلاث مقطوعات لكل لحن من الالحان الثمانية حتى يستقيم عدد الحروف الهجائية اليونانية .

---

١) راجع الميناون اليوناني لشهر آذار ، روما ١٨٨٩ ، ص ١٧٦

وهنا لا بدّ لنا ان نصرح بحقيقة جديدة واكتشاف فريد الا وهو وجود اسم يوحنا الدمشقي مؤلف كتاب الاكطويخوس Οκτώηχος في صلب الكتاب وبنوع خفي.

كل يعلم ان هذا الشاعر القديس تغنى بامجاد قيامة المسيح وصلبه وامجاد امه العذراء . وقد خلّف للكنيسة اثرًا ما بعده اثر ودررًا غالية الثمن تتقلدها كلّ يوم ، وفي اعيادها الكبيرة ، وتجعلها قوتًا لابنائها يغذي النفس المتناوبين منها ويحفظها للحياة الابدية . وقد جعلت الكنيسة البيزنطية هذه الصلوات المتحدرة من المعلم الشرقي صوتها الخاص ، ولحنها المتجدّد ابدًا ، وصداها البعيد وصلاتها الصاعدة باستقامة الى عرش الحمل الظافر على الخطيئة والموت والعالم. ان اسم يوحنا الدمشقي موزع في كل الكتاب في الثمانية الالحان وقد توفقنا بعد البحث الطويل والدرس المتواصل الى الوقوف على هذه الحقيقة وهي ان كتاب الاكطويخوس المنسوب الى الدمشقي هو حقيقة صنعة فكره ووليدة تأملاته .

لقد وزّع الدمشقي اوائل اسمه في تلك المقطعيات التي خصّصها بالعذراء الوالدة في ايوستيخن الغروب في الثمانية الالحان ، وقد توفق الى طبع اسمه بنوع خفي ظاهر .

اجل لم يرد يوحنا الدمشقي ان يصدر كتاب الاكطويخوس بعنوان كبير يحمل الى الملأ اسمه وصورته ولم يكتب بأول كتابه : تأليف الاب يوحنا الدمشقي. لم يفعل ذلك لتواضعه . ولكنه عمد الى طريقة سرية علمية وشعرية يخلّد بها اسمه بنوع خفي على صفحات كتابه وفي صلب الصلوات والاناشيد وقد اتخذتها الكنيسة البيزنطية كدستور لصلواتها الفرضية . لقد طبعها الدمشقي بطابع اسمه الخاص كما طبع رومانس قصائده بخاتم اسمه الخاص فوزّع على مقطوعاته الشعرية حروف تلك الجملة او تلك الفقرة الخالدة Τοῦ Τεκοῦσαν Παρθένον [illegible] وكل قصائد رومانس تحمل اسمه مع لقبه المتواضع او ما شاكله .

ان اسم الدمشقي موزع في كتاب يربو عدد صفحاته على السبع مئة

صفحة من القطع الكبير. وها انا اجمعها واقدمها في نصها اليوناني لتظهر حقيقة ما ينسبون ليوحنا الدمشقي من انه هو مؤلف الاكطوئخوس[1].

في مقطوعة الثاوطوكيون للحن الاول صفحة ٤.

Ἴδοὺ πεπλήρωται ἡ τοῦ Ἡσαΐου προφητείας...

في مقطوعة الثاوطوكيون للحن الثاني صفحة ١٠١

Ὦ θαύματος ἀκοαὶ πάντων τῶν πάλαι θαυμάτων...

في مقطوعة الثاوطوكيون للحن الثالث صفحة ١٨٧

Ἀσπόρως ἐκ θείου πνεύματος

في مقطوعة الثاوطوكيون للحن الرابع صفحة ٢٧٤

Νῦν ἐν παραδείσοις

في مقطوعة الثاوطوكيون للحن الخامس صفحة ٣٦٤

Νῦν καὶ πάντα ὑπάρχει...

في مقطوعة الثاوطوكيون للحن السادس صفحة ٤٥٢

Ὁ πόντος καὶ ἡ ξηρά σου...

في مقطوعة الثاوطوكيون للحن السابع صفحة ٥٣٠

Ὑπὲρ τὴν σὴν ἀλήτευτον...

في مقطوعة الثاوطوكيون للحن الثامن صفحة ٦١٨

Ἀνυμφεύτως παρθένε.

وهذا مجموع الحروف عمودياً بالخط المستقيم Ἰωάννου Ν. فالاسم الاول كامل، وهو في حال الاضافة، والاسم الثاني ناقص وهو اول حرف من كلمة Νίνος نشيد واذا ما جمعنا الكلمتين بان لنا ما معناه Ἰωάννου Νίνος نشيد يوحنا.

فهذا الابتكار الفني يظهر لنا صحة نسبة الاكطوئخوس الصغير للقديس

1) راجع كتاب المزي او الاكطوئخوس الكبير، طبعة روما ١٨٨٥،
Παρακλητικὴ Ἤτοι Ὀκτωήχος ἡ μεγάλη.

يوحنا الدمشقي الذي كتب اسمه في صلب الكتاب ووزّع حروفه على مبنى الغاية الالحان التي نسقها ونظمها ، وتركها للكنيسة كتراث ثمين . ولعل الغد القريب يؤتينا بالاكتشافات الجديدة الكبيرة عن مؤلفات هذا القديس والشاعر الكبير ، والملفان المفوّه الذي عدّه لاون الثالث عشر ملفان الكنيسة الجامعة ، وهو يضيف اليوم مجداً الى مجد باقة شاعر الكنيسة الاوحد الذي نظم العذارى والرهبان اجواقاً اجواقاً ولقنهم الحاناً يسبحون ويرنمون للرب مدى الدهر .

والتوزيع اليوناني عني في موضوعاته . فهو إما ان يكون جملة او شعاراً ، او اسم علم ، او حكمة فلسفية او روحية ، او بيتاً من الشعر الايمبيكي Iambique ، او ابياتاً عديدة ، كما في قصائد الدمشقي لاعياد الميلاد والظهور والعنصرة .

والدمشقي المتلاعب في مباني القصائد لا يقف عند استعمال توزيع بسيط ، بل يتلاعب بفنه ومهارته بالتوزيع الشعري فيؤلف توزيعاً من التوزيع نفسه كما في قصيدة عيد العنصرة .

واليك عنوان القصيدة بالتوزيع :

Ἡσυχίας λόγε, πνευματοφόρων πάλιν ἄθλον
Ἐκ μεγαλουργίων τῆς ἐπιφανείας,
Θεὸς πυρὸς φλόγωσιν φέρων θεόπτας ἀθλοῦν.
Σὺν τῇδε φύσιν, καλλίχορον ὑμνοῦσιν.

فالشاعر يوحنا لم يكتف بتوزيع بسيط واحد بل ألف توزيعاً شعرياً مركباً من اربعة ابيات . وكل حرف من هذه الاربعة الابيات وزّع على بيت من القصيدة الى آخر حرف . ثم لاحظ ان الشاعر صنع توزيعاً في التوزيع نفسه فكان توزيع الاربعة ابيات كلمة : الله Θεός وانا لنتعجب من براعة يوحنا الدمشقي[1] ، وشغل فكره في مباني القصائد التي كانت معرضاً لبنات افكاره ودليلاً الى الحقائق الازلية اللاهوتية التي تغنى بها وعلمها للكنيسة ، حتى يراجعها ابناؤها ويتعلموا الحقائق اللاهوتية بسهولة ووضوح ، في قالب بديع من الشعر العالي المدرسي .

1) cf. Krumbacher , *Geschichte der Byzantinischen Literatur*, 2e édition Munich, 1897, p. 674

وهنا نبدي ملاحظة ونقول : ان يوحنا الدمشقي وحده ، بين الشعراء الدينيين ، نظم الشعر المدرسي في اناشيد خالدة ضمّت بين تقاطيعها قواعد الشعر الحديث الذي نظم عليه كل الشعراء اليونان الدينيين مثل رومانس المرنّم ، واندراوس الاقريطشي ، وقزما اسقف مايوما ، ويوسف كاتب التسابيح ، وتاودورس ناظم التريودي ، وغيرهم كثيرون .

التوزيع عند العرب

وادرك العرب هذا النوع من البديع الشعري ، فراحوا يستخدمونه في القصائد والابيات والمقالات النثرية في اوائلها واواسطها واواخرها كما في مربعة ابن دريد وهذه مقاطعها الاولى[1] .

ا

أ أبقيتَ لي سقماً يمازج عبرتي من ذا يلذُّ مع السقام بقاءَ أ
أ أشمتَّ بي الاعداءَ حين هجرتني حاشاك مما يُشمت الاعداءَ أ
أ أبكيتني حتى ظننتُ بانني سيصير عمري ما حييتُ بكاءَ أ
أ أخفي وأعلنُ باضطرار إنني لا استطيع لما أجنّ خفاءَ أ

ب

ب بقلبي لذعٌ من هواك مبرّحٌ نعم دام ذاك اللذع ما عشتُ للقلب ب
ب بك استحسنت نفسي الصبابة والصبى وقد كنت قبل اليوم ازري على الصبّ ب
ب بذلتُ له الدمع الذي كنت صائناً لادناه الا في الجليل من الخطب ب
ب بُليتُ ببعض الحب والبعض موعدي مجاورةً بعد المنية في القرب ب

ت

ت تمنّيتُ المنيّة يوم قالوا غداً نجموع شملكم شتيتُ ت
ت تعيش صبابتي ويموت صبري ونفسي لا تعيش ولا تموتُ ت
ت ترآءى لي الأسى فصددت عنه فقال اليك انك لا تفوتُ ت
ت تكلم ماء عيني عن فؤادي وقلبي من سجيّته السكوتُ ت

وفي الخزانة الظاهريـة في دمشق ، ضمن المجموع رقم ٥ ، من الابيات قصائد من نظم ابي الحسن علي بن محمد الاندلسي البزري نسج فيها على منوال

١) مجلة الضياء ٥ [١٩٠٣] ٢٧٧

ابن دريد في مربعته . غير انه جعلها عشرة عشرة بدلاً من اربعة ولذلك تعرف بالقصائد المعشرة .

وقد رأينا في خزانة المخطوطات للاستاذ العلّامة عيسى اسكندر المعلوف كتاباً عنوانه: «هذا مجموع غرائب صناعات الاشعار» وهذا الكتاب مخطوط بخط جميل وقديم بالحبرين الاسود والاحمر. وهو يقع في مجموعة من الشعر القديم في اكثر من ٥١٦ صفحة بقطع الربع وعلى هوامشه اشعار وابيات كثيرة. رأينا فيه بدائع من فنون الشعر منها التوزيع ، وما نظم على حروف المعجم او نثر، وفيه دوائر غريبة فنية ومربعات ومثمنات ومشجرات واشباهها فيخرج منها اشعار بديعة .

ولم يذكر فيها اسم جامعها او مؤلفها ولكن يستدلّ من خطوطها وورقها وتجليدها انها قديمة نادرة الوجود لان صاحب المكتبة المذكورة بحث طويلاً في قوائم وخزائن المكاتب الاوربية والشرقية فلم يعثر على نظير لها .

وفيها غير المنظومات الفصحى بعض موالياً وازجال، وكلها تحتوي على هذه الفنون البديعية النادرة . ومن اغرب ما فيها اشعار ليس فيها حرف متصل واخرى ليس فيها حرف منفصل .

فانتخبنا من تلك الفنون العديدة بعض ما جاء عن «التوزيع» . فمنها ما هو موزّع على اوائل الحروف واخراها من حروف الهجاء اولها الف وآخرها الف ؛ ومنها ما هو موزّع بالكلمات والحروف . والكلمات الموزعة بالنسخة الخطية مكتوبة بالحبر الاحمر ونحن وضعناها بين هلالين لتطلع القراء عليها والكلمات الموزعة توجد باوائل الصدر والشطر .

توزيع بالكلمات :

«ان» الحبيب اتى «كاني» زائرًا «فجل» الظلام الصد حين اتاني
«تجد» الهوان من الهوى يا عازلي «من لا» رأى حالي فلا يلحاني
«عيبًا» على الصبّ المحب سلوّهُ «عيب» الذي جرى وليس يُعاني

« فـد » الفؤاد فمذبي لا ثوى « فيـه » وشوقي نحوه اراني
« الجلّ لا » يرتي لنظم بليّتي « وعليّ » تبكي رحمة اخواني

فالكلمات الموزّعة هي بيت من الشعر :

ان نجد عيباً فـدّ الجلالَ جلَّ من لا عيب فيه وعلا

وربما تكون الكلمات الموزّعة في اثناء الابيات كما في قصيدة نثقل بعض ابياتها :

« القلب » من عبدك المسكين مقتبل والدمع من عينه في الخدّ يهملُ
راعت « كالملك » الفظ الغليظ اذا شكا اليك فلا ترثي ولا تصلُ
فجسم عبدك بال « والجوارح » من فرط الغرام شعار الشوق تشتعلُ
والوجد في « جنده » وقف على كبدي فها انا ابدًا بالضرّ مشتملُ

فيكون ما وزّعه الشاعر هذه العبارة :

« القلب كالملك والجوارح جنده . » وفي هذا المعنى اشياء كثيرة نكتفي منها بما مرّ .

ومن التوزيع ان يوزّع كل حرف على كل كلمة بالاطراد مثل الرسالة السينية للامام الحريري صاحب المقامات :

« بدم القدوس استفتح وباسماده استنجح سيرة سيدنا السيد النفيس سيد الرؤساء سيف السلاطين . . . واستشارت نفسه وبسق غرسه واتسق انسه . »

وقد وزع الكاتب الناثر حرفاً من الهجاء ، حرف السين ، في كل كلمة من الرسالة وهذا التوزيع نادر جدًّا مما لم يُنسج على منواله .

ومن التوزيع الغريب ما جاء في كتاب « شحذ القريحة في المقطعات البليغة الفصيحة » تأليف عيسى اسكندر المعلوف وهذا الكتاب مخطوط في نحو الفي صفحة في جزءين الاول في الشعر والشاعر والفنون الشعرية والثاني في معاني الاشعار منها قصيدة نادرة سماها ناظمها المجهول « الموصلات » وهي لا تقرأ حتى تصل اول كل كلمة بالتي بعدها على التوالي من اولها الى آخرها وهذا مثال قليل منها :

انا لشوق قلبي طما الما ورث جدي زعا
أيد لاشجان يسقني أقسم لحب مثلي نما
أر حشاي وى أقدها ـلا رلا جودي دعا

فقراءة هذه الابيات هكذا :

انا الشوق لقلبي قطعا طالما اورث وحدي جزعا
زائد الاشجاني لا يسقني يانع الحب لمثلي منما
نار احشائي حوى واقدها ألما لولا وجودي جدعا

وهذا النوع من التوزيع هو من نوادر القصائد والصناعة البديعية في الشعر .

ومن فنون الشعر في عصر الانحطاط قصائد « محبوكات الطرفين » وهي ان توزع الحروف في كلمات اذا قرأتها على التوالي في اوائل الابيات تخرج منها ابيات شعر وهي مشهورة بالقصائد التاريخية .

واول هذه القصائد قصيدة شاكر النحلاوي الدمشقي في مدح الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي . ومن فنونها يبتدئ الشاعر ببيتين او اكثر من الشعر في كل شطر منها تاريخ بحروف المعجم للسنة التي نظمها ثم يوزع البيتين كل حرف منهما على بيت من الشعر وذلك البيت يشتمل على تاريخين ايضاً ، في الصدر تاريخ ، وفي الشطر تاريخ الى نهاية القصيدة .

وقد جاء بعد شاكر النحلاوي كثيرون ونظموا على هذا المثال قصائدهم التاريخية منها قصيدتا الشيخ ناصيف اليازجي . الاولى في ابراهيم باشا المصري لما فتح سوريا سنة ١٢٤٨ هجرية (١٨٣١) ، وهذه السنة موجودة في كل شطر من البيتين وفي القصيدة . وقد وزع الشاعر حروف البيتين على اوائل الابيات في القصيدة وهذان البيتان هما :

انت المثيل وفي الاطلال برد لظى اطلال عكا ورفض الرعب والحذر
١٢٤٨ ١٢٤٨ ١٢٤٨ ١٢٤٨

كن بالفا اوج سعد ما به ضرر او غالباً لم يزلْ في اول الظفر (١)

(١) راجع ديوان الشيخ ناصيف اليازجي « النبذة الاولى » المطبعة الشرقية سنة ١٩٠٤ ص ٢٢ .

واليك الان توزيع اول كلمة مثال على ذلك انت الخليل :

أ الزهر تبسم نورًا عن اقاحيها اذا بكى من سحاب الفجر باكيها
ن نور الاقاحي الذي ما بالحياء به من صحة وصفاء عزّ منشيها
ت تلك الربوع لليلى ابن مربعها عن قصده وسيوف الرب تحميها
أ ادماء تجني على الاكباد مصلية تبارك الله ما احلى تجنّيها
ل ليلى ولي شوقُ قيس في محبتها فشعره فجنون شابهُ فيها
خ خال لها عمهُ وَرْدٌ بداحرمًا في رجنةٍ حميت عمن يدانيها
ي يقول قومي رويدًا قد سئمت هوًى فقلت مهلًا شفاءي من نواحيتها
ل لعل صافي نسيم من خمائلها اتى يهبُّ على روحي فيشفيها

والثانية في السلطان عبد العزيز العثماني سنة ١٢٨٣ هجرية ضمن كل شطر منها تاريخًا لسنة ١٢٨٣ وافتتح صدورها بحروف يجتمع منها بيتان في كل منهما اربعة تواريخ للسنة المذكورة وهما هذان :

قلبُ الخليفة . يقظان يجرّدهُ عما يخاف الرضى . من واجب النظرِ
مظفرٌ نائبٌ في ارض واقفةٍ مبارز غالب دنياه بالظفرِ(١)

واما القصيدة فهذه ابياتها الاولى :

ق قف بالمطايا على انجادِ ذي سَلَم وقُل سلام على من دام في العلمِ
ل ليلاء محجوبة عن مرسل بصرًا دامت على حجبها حتى على النسمِ
ب بارحتها نوازيل الشوق في كبدي أقسام يحرقُ دمعًا رش كالمنمِ
ا اشكو الى الله ما ساربت في زمني في حبها من جيوش الفتك والسقمِ
ل لقيت في العشق هولًا لا ألام به فذاك الصب قيد بحكم اللزمِ
خ خودٌ من العرب فيها النحب طاب لنا كما يطيب لحيّ الطيبُ النعمِ
ل لعزّها الذلُّ صفوَ العز نحسبه والسُّم من يدها خير من الدَّسمِ
ي يحلو الضنى في هواها السحب فلي فيه الشفا كالشفا واللوم كالنعمِ
ف فتّانة بجمالٍ طيبٌ مورده ما زال يحمي لعيد لاذ بالحرمِ
ت تبارك الله منشيها على مُلَحٍ تحلو وتحمي قلوب الناس كلهمِ . . .

وكذلك قصيدة ولده العلامة الشيخ ابراهيم اليازجي في اسماعيل باشا

(١) راجع ديوان ناصيف اليازجي « النبذة الثالثة » سنة ١٩٠٣ ، ص ٢٢ .

خديوي مصر وهي على هذا الاسلوب. ومن بعد اليازجيين نظم ملحم الشيل، وشاكر شقير، والشيخ خليل اليازجي وغيرهم قصائد على هذا الاسلوب وهي من غرائب التوزيعات المقيدة بالتاريخ.

ومن اغرب القصائد الجامعة بين التوزيع والتاريخ قصيدة الشيخ محمد قبادو التونسي مدح بها السلطان عبد المجيد العثماني سنة ١٢٧٦ هجرية ومما جاء في مطلعها قوله :

خير حام « محمد » خير « العبيد » « حاط خيرًا محمد » عبد المجيد
« حاطه » من عثار « حمد » برحف « منتج » حمد « عرف رشد » عهود

فقراءة هذين البيتين ما خرج عن نطاق الهلالين

خير حام خير عبد المجيد من عثار برحف حمد عهود

ويخرج من هذه القصيدة الفنية مولدة فيها آلاف من التواريخ.
واليك الآن توزيعاً غريباً تاريخياً :

هو تاريخ بقلم شاكر شقير اللبناني يهنئ بزفاف خديجة هاشم شقيقة عباس باشا خديوي مصر الى الامير عباس حليم باشا في مصر وذلك سنة ١٣١٢ هجرية وسنة ١٨٩٥ مسيحية

وقد وزع الشاعر في كل شطر اسم عباس حليم وخديجة توفيق على الكلمات التي يستدر منها تاريخ في كل شطر يوازي :

ع ب ا س ح ل ي م
عادات باهرة الحاسد سيد حرًا انصرخا يحوز مكرمًا
١٣١٢ ١٣١٢

خ د ي ج ه ت و ف ي ق
خط دعاك بعيد جدك هانئًا قدأ وقدرك في يبارك قد
١٣١٢ ١٣١٢

وهكذا وزّع شاكر شقير أحرف عباس حليم وأحرف خديجة توفيق على اوائل كلمات البيتين.

ثم ان الاب يوحنا طنوس الشاعر الملهم نظم في هذا الاسلوب قصيدة عصماء وزّع عليها احرف كلمات «السلام لك يا مريم»[1] وجعل القصيدة خمسين بيتاً :

ا اعدوا السلام وحيّوا ربة النعم صفوَ الملائق امَّ الله والأمم
ل لاحت بمائنا بالنور طالعة كنجمة الصبح لاحت في دجى الظلم
س سمّ الخطيئة لم يسترب طهارتها فهي البريئة من اوزار إثمهم
ل لم يلحظ الله فيها شائبة او خال بانسة او ريبة التهم
ا الآبُ كلاها والابن جملها والروح كلاها في اعظم العظم
م من قبل ما ولدت كانت مقدسة من فور تصويرها في حيز العدم
ل لما تبدت بنور الطهر ساطعة نادى الملائك من هذه بهم
ك كالصبح مشرقة كالبدر مشرقة كالشمس مختارة تخفي ضيا النجم

ومن هذا النوع قصيدة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف نظمها في يوبيل البابا لاون الثالث عشر . ولله قصائد عديدة على طريقة التوزيع الحرفي وفي الكلمات ايضاً . والتوزيع الغريب الفني هو الذي نظمه في تتويج نقولا الثاني امبراطور روسية قال :

(قيصر) موسكو (توجويما) بالهنا لذا (حرى) حقارة ما وصفنا
(دولة) عز (بديعة) المنا فاليسن (بالرابع) عشر قدرنا
بمجد (روسيا) تباهت (بموسكو) و(عشر) سرات تباهى الملك
جاد (نقولا) للبلاد (الظافره) (من شهر) سعد باهيات الفاخره
فالقيصر (الثاني) بدوتم (فيها) ما هلّ (ايار) يميس تيها

طريقة استخراجها

فاقرأ عمودياً كلاهما جرى بين هلالين غدا مختصرا
ثم اعتبره بحساب الجمّل تجد بياناً في مصوغ الجمل
ثلاثة من التواريخ تزى اسلوجا في بابه مبتكرا
يوم الثلاثاء حريّ التتويج لذاك تاريخي له تدبيج
عام ثاني مئة وألف وستة التسعين ختم الوصف.

---

١) راجع المشرق (٧ [١٩٠٤] ٤٤١ – ٤٤٣)

والفقرات التاريخية المستخرجة من بين الهلالين عمودياً هي ثلاثة اشارة الى يوم الثلاثاء وهو يوم التتويج :

١ : قيصر دولة روسيا نقولا الثاني
٤٠٠ ٤٤٠ ٢٧٧ ١٨٧ ٥٤٢ = ١٨٩٦

٢ : توجوه بمدينة موسكو العامرة فيها
٤٢٠ ٢ ٥ ١٢٢ ٧٤٢ ٩٦ = ١٨٩٦

٣ : جرى بالرابع عشر من شهر ايار
٢١٢ ٦ ٢ ٥٧٠ ٩٠ ٥ ٥ ٢١٢ = ١٨٩٦

ونكتفي بهذه الامثال الدالة على جهد وصبر ولا يخفى ان التوريع كثيراً ما يوقف سياق العواطف فيقوم سداً لوضوح الافكار ووضوح المباني

تحفة القادم

لابي عبدالله بن الأبّار

(مقتضب)

نشرها

الفريد البستاني

استاذ الادب العربي في معهد الدروس المغربية (تطوان)

(تتمة)

٥٤ — أبو عبدالله محمد بن ابراهيم الجُمَيِّي

من أهل بلنسية. ويعرف بابن الشوّاش. لم اقف على تاريخ وفاته، واراها قبل هذه المائة السابعة، قال: انشدني ابو بكر محمد بن الحاج ابي عامر محمد ابن حسن الفهري قال: انشدني خالي لنفسه وكان يقول انه شهر بالنسبة الى خاله ابن الشوّاش المشهور ببراعة الخط:

وَرْدُ خدّيك قد ذبل ... بعذار بـه اشتمل
خالـه الحسن ارقّاً ... جاء ينويه فاحتمل
بلغ الحاسد المنى ... وأرى الشامت الأمل

وله بديهةً في باكورة ورد ، بالانشاد ايضاً :

تمّ السرور بورد زان مجلسنا ـ فناب عن خدّ من اهوى ونفحتهِ
فاشربْ شبيهته وانعم بمشتبه لعلّ زورة ذا يُشرى بزورتهِ

٥٥ — أبو القاسم احمد بن ابراهيم بن نصَير

من أهل شوْذر ، عمل جيان ، وسكن قرطبة . وتوفي بالقة رابع المحرم سنة اثنتين وستمائة . وكان من رجالات الاندلس ، له :

ايا هضْبَتَيْ مجدٍ ويا كوكبَي سعد ويا رافدَيْ رِفد ويا صارِمَي حَدّ
عباثاً فقد أوْدى الحطيم ومكنت من الدهر في حوماتهِ يد ذي حقدِ
وكيف واني وهو يسند منكما الى منعة تربي على الابلق الفردِ
فان يدْعُ ياعثمان افرخ روعه وان يدْعُ عبد الحق ايقن بالعضدِ
ينام رخيّ البال ملء جفونه ولوبات من بين الاساودِ والأسد

٥٦ — أبو الفضل عبد المُنعِم بن عمر الغسّانيّ

يعرف بالجلياني . وجليانة من عمل وادي آش . رَحل من الاندلس الى المشرق ومدح الملك صلاح الدين ابا المظفر يوسف بن ايوب ، ومن قوله :

فأبخسُ شيء حكمة عند جاهل وأهونُ شخص فاضلٌ عند ظالم
فلوزفت الحسناء للذيب لم يكن يرى قُربها الا لقضم المعاصم

وله :

أؤمّل لقياكم وان شطّت النوى وازجر قرباً في سرور السوانح
ويذكي اشتياقي زند تذكار عهدكم وما الشوق الا بعض نار الجوانح

٥٧ – أبو علي حسن بن محمد بن علي الانصاري

من أهل مالقة . ويعرف بابن كسرى . وتوفي سنة ثلاث او اربع وستمائة ، ومن قوله :

إلاهي انت الله ركني وملجئي ... وما لي الى خلق سواك ركونُ
رأيتُ بني الايام عقبى سكونهم ... حراك ، ومن بعد الحراك سكونُ
رضى بالذي قدرت تسليم عالم ... فان الذي لا بدَّ منه يكونُ

قال : وانشدنا ابو الحسين بن السراج : انشدنا ابو علي بن كسرى لنفسه ارتجالاً في راقصة تسمى نزهة وتعرف بخط الشوق :

تخطّ يخطُّ الشوق في القلب شخصها ... ففي كلّ ما تأتيه حسنٌ وتحسينُ
وليست تطيق الشين في حال نطقها ... فمن اجل بعد الشين باعدها الشينُ
اذا رقصت ابصرتَ كلَّ بديعة ... ترى الفاً حيناً وحيناً هي النونُ
فيا نزهة الابصار سميت نزهة ... لكي يوضح المعنى بيانٌ وتبيينُ

٥٨ – أبو عمران موسى بن حسين بن عمران الزاهر

يعرف بالميرتلي واصله من تغر ميرتلة . وسكن اشبيلية . وتوفي سنة اربع وستمائة قال : انشدني ابو سليمان بن حوطالله قال : انشدني لنفسه من ابيات :

الى كمْ اقول ولا افعلُ ... وكمْ ذا أحوم ولا انزلُ
وازجر نفسي فلا ترعوي ... وأنصحُ نفسي فلا تقبلُ
وكم ذا اؤمل طول البقا ... واغفل والموت لا يغفلُ

٥٩ – أبو المعالي ماجد بن محفوظ بن مَرعى الشريف

من أهل بلنسية. ومن ولد طلحة بن عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ومن قوله :

ردِ المجرّة نهرًا ان ظمئت ولا تقنع ببرض من الآمال او ثَمَدِ
ولا تقل ليس لي ذات اسود فانّ هـذا قيـاسٌ غـير مُطردِ
هذا الفلانيُّ مُستقضًى بشاطبة وليس من حظه الاحكام في صدَدِ
لا غروَ ان يسمو الرذلُ الخيارَ كما يسمو على الماء ما يطفو من الزَبدِ
لا يرتضي خطة نيطت به احـدٌ والصقر ليس بصيّاد مع الصَرَدِ
ما ضرّه وهو قاضٍ ان يلام وان ليسَ القضاء بمحبوب الى احدِ
حطّوه عن رتبة قدّمتموه لهـا من الحضيض وردّوا العَير للوتدِ

٦٠ – أبو عمر محمد بن عبد ربه الكاتب

سكن مالقة . وكتب لواليها المعروف بالمنذر . ثم ولي عمالة جيّان سنة اربع وستمائة ، وكتاه ابو بكر بن صقلاب في بعض ما خطب به ابا عبدالله وهو القائل :

تقضّى زماني بين عَتْبٍ واعتـابِ وجفّت دموعي بين سحٍّ وتسكابِ
وطال بعيني ان ترى غير غـادرٍ فأوّلى لعيني ان تكفّ واولى بي
الا ليت شعري هل أرى مثل فتية ذوي همم في المعلوات واحسابِ
اذا شئت ان تلقى فتى ليس دونهم فيمّم ابا بكر يزيد بن صقلابِ

وله ، ويروى لبعض الامراء :

بين الرياض وبين الجوّ مُعترَكٌ بيضٌ من البرق او سمر من السمرِ
إن أوترت قوسها كفّ السماء رمت نبلًا من المزن في صافٍ من الغدرِ

فاعجب لحرب سجال لم تُثِر ضررًا نفعُ المحارب منها غايةُ الظفرِ
فتح الشقائق جرحاهـا ومنتهبا وشيُ الربيع وقتلاها من الشمرِ
لاجل هـذا اذا هبّت طلائعهـا تدرّع النهر واهتزّت قنا الشجرِ

٦١ – أبو جعفر احمد بن عبد الرحمن المعروف بابن شطرية

من أهل قرطبة واحد تلامذة الاستاذ ابي جعفر بن يحيى . وتوفي في حياته محتضرًا بمرسى قرطبة عند وصوله اليها من مراكش ، قاله لي ابو العباس احمد ابن علي القرطبي القاضي صاحبنا ، وانشدني له :

لقـد ظلّمت يوم الوداع ظلومُ امـا علمت ان الفراق اليمُ
وغادرت المشتاق لهفان سجود صحيحٌ ولكنّ العزاء سقيمُ

وله :

هـلال سماء او غزال سمادةٍ الى خلدي يسمو وفيه يسيمُ

٦٢ – أبو عبدالله محمد بن طالب الكاتب

من أهل مالقة . وكتب لواليها ابي عامر بن حَشُّون، وصادف جمعًا من العرب في بعض متوجهاته ، فقتلوه ، رحمه الله . له من قصيدة يرثي ابا القاسم بن نُصَيْر :

أنصيرُ أم عن سماح وجودْ نصير الى عدم من وجودْ
لقد عـدل الموت بين الورَى فـاودى بسيدهم والمسودْ
فقيمَ العويـل وعمّ السلوّ وما للهديل ومـا للنشيـدْ
وأين القواني وأين الصريع وما شأن صخر وبنت الشريدْ
وكيف يسيغ لذيذ الورود مَن الموت منه كحبل الوريدْ

٦٣ – أبو العباس احمد بن يعيش بن شكيل الصوفي

من أهل شريش . واحد شعرائها الفحول مع نزاهة ومروءة . وله ديوان

شعر . توفي مستطاً سنة خمس وستانة . له في مقتل ابي قصبة الخارج بجزولة سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ، من قصيدة اولها :

الله اطفأ ما اذكى ابو قَصَبَهْ ... من حربه وأزال السحر بالغلبهْ
أمر الخليفة وافاه على عَجَلٍ ... يدعوه للحقّ حتى ابتزّه كذِبَهْ
فمن اراد سؤالاً عن قضيّته ... فجملة الأمر ان الحقّ قد غلبهْ
لقد شفى النفس ان وافى بهامته ... صدر القناة مكان الصدر والرقبهْ
لما استمرّ جماحاً في ضلالته ... عادت عليه لجاماً تلكم القصبهْ

وله :

الناس في السلم والمشّاق بينهمُ ... في اعظم الحرب من اخبار من عشقوا
كم موقف للوغى صعب سلمتُ به ... حتى شهدت وَغىً انصارها الحدقُ

٦٤ – أبو الحسن مُطرّف بن مُطرّف

من أهل غرناطة . له :

وكم مجنّة هام الفؤاد بها ... قِدماً وصورتها من احسن الصورِ
كانما البدر في تدويرها فاذا ... شُقّت على النصف كانت شقة القمر

وله :

وصَفوا سَهْلاً فقالوا ... حاطب والليل ليل .
إنما العلم الثريا ... والفتى سهل سُهَيْل

وبلغ ذلك سهلاً فقال :

حسدوا سهلاً فقلنا ... إي لعمري حسدوهْ
صغّروا الاسمَ افتراءً ... وكبيراً وجدوهْ

وردّ عليه ابن مرج الكحل :

ان دعوني بسهيل فانا حقاً سُهَيْل
قد دهاكم من طلوعي يا بني الزنا وَيْل

ولابن مطرف وهي من غُرره :

سُنة سنّها قديماً جميلُ وأتى المحدثون مثلي فزادوا

٦٥ – أبو القاسم عبد الرحمن بن عمر بن عُذره الانصاريُّ القاضي

من أهل الجزيرة الخضراء . صدر في نباهتها . وكان خطيباً مفوّهاً . توفي سنة ست وثمانة ، قال : حدثني ابن اخيه ابو القاسم عبد الرحمن بن ابي الحكم الكاتب انه وقف على قبر ابيه ابي حَفص ومعه اخواه ابو بكر محمد وابو الحكم عبد الرحيم فقال ابو القاسم :

يا أيها الواقف استغفرْ لمودعهِ ربّ العباد وربّ الجود والكرم

وقال ابو بكر :

واحذر هجوم المنايا واستعدَّ لها وعُدَّ نفسك إحدى هذه الرمم

وقال ابو الحكم :

ولا تغرّنك الدنيا وزينتها فكم ابادَت وكم افنت من الأمم

قال : وهي طويلة ومنها :

واعلم بانك مسئولٌ ومرتهنٌ بما عَملتَ فخف من موقف النَّدم

٦٦ – أبو عبدالله محمد بن سَفَر الأديب

منسوب الى جدّه ، واصحابنا يكتبونه بالصاد ، وكان باشبيلية وهو من ناحية . له في المدّ والجزر بوادي اشبيلية ، وابدع فيما اخترع :

شقّ النسيم عليه جيب قميصه فانساب من شبّابه يطلب ثارَهُ
وتضاحكت وُرْقُ الحمام بأيكها هُزُؤاً فضمّ من الحياء ازارَهُ

٦٧ — ابو زيد عبد الرحمن المعروف بالنجاري

له :

قد صرت ارجو الله من بعد ما قد كنت ارجوك مع الله
يا لاهياً يلهو بكل الورى ما يغفل الله عن اللاهي

قال : وانشدني ابو الحجاج بن ابراهيم بتونس ، قال : وانشدني ابو زيد هذا وحكى انه خرج مع ابي بحر صفوان برسية يطوفان على ضفة نهرها فوقفا على الدولاب الملاصق للقصر فقال النجاري :

وباكيةٍ تبكي فيُسْلي بكاؤها وما كل من يبكي اذا ما بكى يسلي

فقال ابو بحر :

كأنّ بكاها من سرورٍ فدمعُها يثير سروراً من جوانح ذي خبلِ

فقال النجاري :

فياعجباً ينهلّ والكفُّ دمعها سريعاً وان كانت تدور على رِسْلِ

فقال ابو بحر :

كذاك السحاب الغرّ ترسل دمعها سريعاً وتمشي في السماء على مَهْلِ

فقال النجاري :

تسلسل منها الماء من كل جانب فخيلتها من عبرة الصَّبِ تستملي

فقال ابو بحر :

كأنّ السحاب الغرّ القت بسرها اليها فلم تكتم وضاقت على الحَمْلِ

٦٨ — أبو محمد عبد الله بن محمد بن عمار البكريُّ

من أهل اشبيلية . ومن اقارب ابو عُبَيْد البكري . وقدم على شرق الاندلس في اول هذه المائة السابعة ، وسمع منه سلفية بعض شعره شيخنا القاضي ابو الخطاب بن واجب ثم عاد الى بلده ، وبها توفي .

له يصف اشبيلية من قصيدة :

أجِلْ فديتك طرفاً في محاسنها ... تبصرْ وحقك منها آيةً عجبا
قطرٌ تكنفه من جانبيه معـا ... مصانعٌ تخجل الانداء والسُّحبا
زهر الوجود كانّ البدر جرّ على ... حيطانها البيض من انواره عذَبا
والنهر كالجوّ راقَ العين بهجته ... تهزّ منه الصَّبا هنديةً قُضُبا
تراه من فضّة حيناً ذان طاعَت ... عليه شمسُ الضُّحى ابصرته ذهبا
صفا وراقَ فلولا انه نهرٌ ... اضحى سماء يرينا في الدُّجى شهبا
كانما الجوّ مرآة به صقلت ... زرقاء تحسب فيها زهرها حببا
ما روضةُ الحزنِ حلّى القطر لبتها ... ومدّت الشمس في حافاتها طنبا
يوماً بابهج مَرأى منه اذ رقصت ... قضب الحدائق في ارجائه طربا

وكان بينه وبين الخطيب ابي الربيع ابيات ، ووجه اليه الكتاب مخاطبة ومراجعة في استدعاء كتاب البلاذري . فجاوبه ابو الربيع بابيات ووجه اليه الكتاب . ومن ابيات ابي الربيع :

تبغي الحديث عن الألى درَجت على ... سنن العُلى آحادها وثُناها
طَوَت المنونُ حياتها لكنما ... حسن المساعي في الورى احياها
لبّيك داعي خلة مستدعياً ... سيرَ الكرام وقد سبقت مداها
لم يعدك التوفيق فيما رمته ... بل وافقتْ بك رميةٌ مرماها
سِيَر الاوائل خير ما استنطقته ... عن سنّة المجد التي تَرَعاها

نعم الجليس على نفار دفترٌ تعتام منه قبلةً ترضاها
لا مفشياً سرَّ الصديق ولو جفا ومتى يعاينْ خلّةً اخفاها
يدنو اذا ادنيته ومتى تشا اقصاءه قني الحيا وتناها
خذ كلما احببت علق مضنَّة حسب الامانى حسنه وكفاها

قال الشيخ أبو الربيع : وكان ابو محمد قد كتب المضنَّة في ابياته بظاء ثم تذكر ذلك بعد انفرادها فكتب اليَّ :

قل للفقيه ابي الربيع وقد جرى قلمي فاصبح بالصواب ضنينا
ابشر بفضلك ظاء كل مضنَّة شالته كفّي فاستحال ظنينا

فكتبتُ اليه :

حسّن باخوان الصفاء ظنونا ليس الصديق على الصديق ظنينا
ما دار في خلدي سوى غلط جرى حاشاك تلقي بالصواب ضنينا
ولقد بشرت مثال ظاء مضنَّة لما أتى بشرت... الثُّونا

قال الفقيه ابو عبدالله : وانشدني ابو محمد عبدالله بن عبد الرحمن الازدي بتونس قال : انشدني ابو محمد بن عمّار بترية في لابس ثوب اصفر :

نارٌ لقلبي نورٌ لعيني كلاهما قادني لحيني
البس للحسن ثوب تبرٍ يزين مرآه ايّ زينِ
لا تنكروه فغير بدع قميص تبر على لجينِ

وله في صديق كان يداجيه :

ومُستبطنٍ حقداً وفي حركاته تصنّع مظلوم تدل بظالمِ
تصدّى لاياسي بحيلة فاتك ولاحظني خوفاً بطرف مسالمِ
تستّر من كشف العداوة جاهداً كما كنت في الروض دهم الأراقم

٦٩ – أبو الحسن علي بن احمد بن أبي قوة الازديُ

من أهل دانية . سكن مراكش وبها توفي سنة ثمان وستمائة ، له من قصيدة يرثي ابا القاسم بن حُبَيْش :

لله نعشك يوم حُمّل انـه ... لجميع اشتات العلوم ضمينُ
فكأنه موسى يناجي ربّـه ... وثناءه من بعده هـارونُ
هذي المنابر باكيات بعـده ... فلهـا عليه زفرة وانينُ
ولطال ما طربت به حتى ترى ... عيدانها قد عُدْنَ وهيَ غصونُ

٧٠ – أبو القاسم عبد الملك بن عبدالله بن بَدْرون الحضرميُ

من أهل شلب . ويكنى ايضاً ابا الحسين . مؤلف « كمامة الزهر وصدفة الدرر » في شرح قصيدة ابي محمد بن عبدون اليافر الذي يرثي بها المتوكل وله :

ليَهْن الاعادي منك انَّ سروجهم ... وان انعموا دون اللحود لحودُ
فان وضعوا كفّاً فسيفك ساعدٌ ... وان رفعوا راساً فرمحك جِيدُ

٧١ – أبو اسحق ابراهيم بن محمد الذكواني الكاتبيُ

قال : وزادني عبدالله الصفّار انه سُلَيميٌ ذكوانيٌ من قرية من قرى السودان بكانم تسمّى بَلْمة . وكانم بلدٌ مما يلي صعيد مصر . وكان لونه غربيباً وامره غريباً . قدم على المغرب قبل الستمائة ، وسكن مراكش ، واقرأ بها الآداب . قال : وبلغني انه دخل الاندلس ، وتوفي سنة ثمان او تسع وستمائة ومن قوله :

كم سائلٍ لِمَ لا تهجو فقلت له ... لانني لا أرى مَن خاف من هاجي
لا يكره الذمّ الّا كلُّ ذي انف ... وليس لؤمُ لئـام الخلق منهاجي

وله يتعصب لبعض الالوان :

لا تشهدنَّ لغربيبٍ ولا يققٍ ... حتى تشاهد فضلاً غير مردودِ
بكلّ لون ينال الحرّ سُودَدَه ... مهما تجرَّد من اخلاقه السُّودِ
والناس لفظ كلفظ العود مشترك ... لكن يرجح بين العود والعودِ
اما ترى المسك حقّ العاج يخبؤه ... والجصُّ مطّرح فوق القراميدِ
ولم ينل ابن عمران بأدمته ... حين اصطفاه كليماً خير معبودِ

وأنشدني ابو القاسم بن عليم قال : انشدني ابو زيد الغازازيّ لابي اسحاق هذا ، اثر خروجه من عنده قد اتاه زائرًا :

أفي الموت شكٌّ يا أخي وهو برهانْ ... وفيمَ هجوع الخلق والموتُ يقظانْ
أنتلو سلوَّ الطير تلقط حبَّها ... وفي الارض أشراكٌ وفي الجوّ عقبانْ

٧٢ – أبو بكر محمد بن ثعلبة الكاتب

من أهل غرناطة . له ، قال : ونقلته من خطه :

حامت طيور رجائي وهي ظامئةٌ ... على شريعة قرب منك ترويها
فابدا لها العَذْب من لقياك انَّ لها ... سجعاً بذكرك ما زال يغريها
ورشّ لها من جناح الفضل قادمةً ... يابنَ الكرام فقد هيضت خوافيها
راحت اليك ابا العباس مأربتي ... ترجو النجاحَ فلا تقطع ترجّيها
ولم تؤمّ سوى كفّيك من صنع ... هي القنيُّ وانت اليوم باريها
وفي التداني الى نجواك ايّ منى ... فان منحت فليس المطل يعروها
سوّف بها أمل المشتاق منك رضًى ... فان جود العُلى بالوصل يرضيها
هذا ولا رغبة في نيل طائلة ... الّا بدايع من يمناك تهديها
أجلْ بنانيَ في مَجْنى ازاهرها ... فطال ما بتّ بالافكار أجنيها

وقد وجدتُ لمعنى العيش لفظ على فأيقنت بغيتي ان سوف تخويهـا
لا زلت تحيي لها من رَوْمها املاً أوْدَى ، وتبني عُلا هدّت مبانيها

٧٣ – أبو عبدالله محمد بن محمد بن سليمان الانصاريُّ الاستاذ

من أهل بلنسية . ويعرف بابن ابي البقاء . وأصله من سرقسطة . وتعلم كبيرًا ، فبرع في العربية . وعلم بها ، واعتنى بتقييد الآثار . وكان شاعرًا مجوّدًا مقطعاً ومقصّدًا ، وتوفي في سنة عشر وستمائة ومن قوله :

غير خافٍ على بصير الغرام ان يومَ الفراق يوم حِمام
عبرات تصدُّ عن نظراتٍ وتشيحُ يحول دون كلام
ودماءٌ تراق باسم دموع ونفوس تودي بوسْم سلام
شربت بعدك الليالي حياتي غير اوشال لوْعتي وسقام

وله . قال انشدنيها صهره ابو الحسن علي بن احمد المكناسي ، قال : انشدني لنفسه : قال لي ابو عبدالله حضر ابي مجر ليلة ببرسية وبها جماعة من الطلبة ووجوه الناس ومعهم طالب بلنسي ، فتباسطوا الى ان عرضوا عليه ان ينشدهم فانشد هذه القصيدة ، فقال ابو مجر : ما قلتم من كلام مُهيار ، فقال له البلنسيُّ : ولا بدَّ هذا كلام مهيار ، فقال : هذا نفسه وهذا مذهبه ، فقال له : هي للاستاذ ابن ابي البقاء . قال فخزي ابو مجر . . .

غِبتمْ عن ليـالٍ حلف السـير وطويتمْ غيرَ مـا في مضمر
ودعـا البين بجنح . . . دعوة البين سوى مستطير
ليت شعري [هل] وجدتم بعدنا ما وجـدنا من اليم الـذكر
لوعـةٌ نجديـة تطرقنـا وغرامٌ بابـليٌّ يعـتري
وهوى هيّج مـا هيّجـه من جوًى اضرم نار الـفكر
كلما ابصرتْ شيئـاً حسناً بعـدكمْ اعملت غضَّ البصر

فعلى م اطرحت مودة لم تشنها وصمة من كدر
كان من حق الوفا ان تصرفوا قولة الواشي بحسن النظر
لا وجدي وغرامي في الهوى وخضوعي فهو احدى الكبر
ما نسينا سورة من عهدكم كيف تنسى محكمات السور
هل الى عودة خزوى سبب أو الى يانع ذاك السمر
وبودي لو وجدنا سبباً لارتجاع الفائتات الاخر
قد ذوت ريحانة العيش وهل يرجع النضرة ذاوي العمر
ونسيم كلما علّلنا صدّ عنا ... يوم السمر
ما على ظبي سقاني بمنى لو اراني مثلها في اقر
[ينقضي] العام ولا نلقاكم يا لقومي للضنين الموسر
وعلى هذا فلا عتب على ما جنيتم فهو حكم القدر

وله :

سلوا فتيات الحي عني فربما عصيت التصافي او اضمت التكرما
تقول يشوق الحي بان خليطه ويهتاج ان غنى الحمام ورنما
ويسري الى الذلفاء والليل لابس من النجم والظلماء ثوباً موشما
أيشغلني عن وابل البرق وعده وابتاع بالبرهان ظناً مرجما
ايا سائلي عن جل همي وهمتي ألم ترني بالمكرمات متيما
اذا لم ارشح للفضائل يافعاً فهل ادرك العلياء الا توهما
وهل يتعاطى ان يكون اخا العلى ووالدها من لا يكون لها ابنما
وما المجد الا كف النفس عن هوى يلذ وان سوغت ثلباً وعلقما
ورميك جون الليل بالعيس انه اذا ناب خطب فارض بالعيس اسهما

وذي رونق كالبرق لكنّ وعده صدوقٌ ووَعدُ البرق كذب وربّما
عفون ... كل عاسر وقلتُ له كن للمكارم سُلّما
وساء الاعادي اذ بكت شفراته وسرّ ولاة الود حين تبسّما

٧٤ – أبو محمد عبد البر بن فرسان الغسانيّ الكاتب

من أهل وادي آش . واخذ بالمَنَة عن ابي القاسم السهيلي . ثم لحق بافريقية فكتب ليحيى بن اسحق بن غانية ، وحضر معه حروبه . وكان من رجالات وقته براعةً وشجاعة ، واصابته في بعض الوقائع جراحة انتقضت به ، فهلك منها سنة احدى عشرة وستمائة قبل وفاة مخدومه بأزيد من عشرين سنة ، فلم يسدّ عنده احد سدّه بعد ذلك .

ومن قوله :

ندًى مخضلّا ذاك الجناح المتمّما وسقياً وان لم تشكُ يا ساجماً ظما
اعِدْهنّ الحاناً على سمع معرب يطارح مرتاحاً على القضب مُعجما
فطر غير مقصوص الجناح مُرفّهاً مسوغ اشتات الحبوب منعّما
مخلّا وافراخاً بوكرك نوّما الا ليت افراخي معي كنّ نوّما

وقال :

اما يا ليل دمعك مستهلّ ووجهك كاشفٌ وحشاك خافقْ
أفارقك الانيسُ فراق إلف معاهده فقد يبكي المفارق
لطلت على مسهّدك المعنّى وبعض الطول للعادات خارقْ
وغابت انجمٌ لك زاهراتٌ وقد ظهرت مشيباً في المفارقْ
فيا ركب الدجى حثحثْ قليلاً لعلّ الفجر تطلعه المشارقْ

وقال :

بيض من مفرق عدوي لحوض هول وخرق دوّ
وصير الليل منه صبحاً طلوع شمسي بكل جوّ

وقال :

كفى حزناً ان الزجاج صقيلة وانّ الشبا وهن الصدا بدمايه
وانّ بياذيق الجوانب فرزنت ولم يعدُ رُخّ الدست بيت بنايه

وقال : قال انشدنيه الاستاذ ابو عبدالله محمد بن عبد الجبار قال : انشدنا لنفسه :

بين الحجاز وبين الغرب قاطعة من الموائق سدّت دونها الطّرقُ
عوفٌ وزُغب ودبّاب وسالمها والهيبُون وروم البحر والغرَقُ

وله في صدر رسالة يخاطب بها عليلاً :

من لم يزُرْ بخطاه زارَ بقلبهِ مستنصراً لك في الُملمّ بربّهِ
يدعو وقد يجدي الدعاء بجهزّا في حرب انصار الخلوص وركْبهِ
ياغائباً تاقت اليه محافلٌ كانت تألّم من زيارة غبّهِ
لادامَ هذا البعد بَعد ولا اعتدى دهر عليك بموجع من خَطْبهِ
وَتبا حسام ضنّ عزاك وملّتْ بيد الشفاء قواطع من غربهِ

٧٥ – أبو الحسين عُبَيْد الله بن محمد بن جعفر السكونيّ

من أهل اشبيلية . وهو ابن عم الهيثم بن احمد الشاعر الاشبيلي له وقد دخل عليه بعض اصحابه بطبق ياسمين واخبره انه بعث في محبوبه فلم يصل اليه ووجّه ذلك الطبق مكانه فقال :

اشارَ الى اليأس من وصاله وقد صحّ في خاطري منذ حين

ولو شاء ارسلها وردةً فدلّت على الورد للعاشقينْ
على انّ هذا وهذا معاً يدلّ على خدّه والجبينْ

وله في معذر تناول من يده اشعار الستة فلما نظر فيها ووقعت عينه على قصيدة امرىء القيس التي اولها « قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ وعرفان » قال يدفه مذيلاً باعجاز ابيات منها :

وذي صَلَف خطّ العذار بخدّه كخطّ زبورٍ في عسيب يمانِ
فقلتُ له مستفهماً كُنه حاله لمن طلل أبصرته فشجاني
فقال ولم يملك عزاء لنفسه تمتّع من الدنيا فانّك فانِ
فما كان الّا برهة ورأيته كتيس ظباء الحلب العدوانِ

قال ، وهذا من مليح التضمين ونبيل التذييل . وقد كان عند ابي بحر منه ما استحسن قال : وقد كان شيخنا ابو الربيع بن سالم كثيرًا ما ينشد مستملحاً قول ابي محمد بن عبدون ويقول : انشدنا القاضي ابو عبدالله بن زرقون عنه وكان صاحب انزال الدور ببطليوس قد عين له دارًا واهية البناء فكتب الى المتوكل ابي محمد بن الافطس :

أيا سامياً من جانبيه الى العُلى سموّ حَبَاب الماء حالًا على حالِ
لعبدك دارٌ حَلّ فيها كانها ديار لسَلْمَى عافيَات بذي خالِ
يقول لها لما رأى من دثورها الا عِمْ صباحاً ايها الطلل البالِ
فمُر صاحب الانزال فيها بفاصل فان الفتى مهدى وليس بفعّالِ

وله من ابيات :

فانت يا ولد الفخار انت كما تدعى ولكن سبق الراء للالف

٧٦ — أبو عمرو يزيد بن عبدالله بن أبي خالد اللخميُّ الكاتب

من أهل اشبيلية وصدر نبهائها وادبائها . والى سلفه يُنسب المقل

المعروف «بحجر ابن ابي خالد» . وتوفي بها سنة اثنتي عشرة وستمائة .
من قوله من قصيدة يهنئ بفتح ميورقة هي باجادة، نادرة :

وغربان يمّ قابلته فوارساً فأدبر لا يرجو له متيمّما
فكلّ كميّ في اللقاء مرجّح اذا كلح اليومُ العباسُ تبسّما
سحائب جون أرعدت بعصلياها وابدت بروق البيض كالوشي معلما
ويا حسن ما تبدو خلال دُرُوعها أسنّتها تحكي السماء وانجما
وقد عانقت سمر الذوابل سمرها كماضمّ روض الحزن غصنا وارقما
ويا للجوار المنشئات وحسنها طوائر بين الماء والجو عوّما
اذا نشرت في الجوّ اجنحة لها رأيتَ به روضاً ونوراً مُكمَّما
وان لم تهجهُ الريح جاء مصافحاً فجدّت له كفاً خضيباً ومعصَما
مجاديف كالحيّات مدّت رؤوسها على وجل في الماء كي تروي الظّما
كما اسرعت عدّاً أناملُ حاسب بقبض وبسط يسبق العين والفما
هي الهدبُ في أجفان أكحل أوطف فهل صُيغت من عندم او بكت دما

قال ، واجاد ما اراد في هذا الوصف ، وان نظر الى قول ابي عبدالله بن الحداد يصف اسطول المعتصم بن صمادح :

سامَ صرف الردى بهام الاعادي ان سمت نحوهم لها اجيادُ
وتراءت بشرعها كميون دابها مثل نايفيها سهادُ
ذات هُدب من المجاديف حادٍ هُدب بادٍ لدمعه اسعادُ
حُمَمٌ فوقها من البيض نارٌ كل من ارسلت عليه رمادُ
ومن الخط في يدي كل ذِمر الفاً خطّها على البحر صادُ

قال : وما احسن قول شيخنا أبي الحسن بن حريق في هذا المعنى من قصيدة انشدنيه :

وكأنها سكن الأراقم جوفها من عهد نوحٍ خشية الطوفانِ
فاذا رأينا الماء يطفحُ نضنضت من كل خرت حيّة بلسانِ

قال ولم يسبقهم بالاحسان ، وان كان سبقهم بالزمان ، علي بن محمد الاياديّ التونسيُّ في قوله :

شرعوا جوانبها مجادف أتعبت شأوَ الرياح لها ولما تتعبِ
تنصاح من كتب كما نفر القَطَا طوراً وتجتمع اجتماع الرَّبربِ
والبحر يجمع بينها فكأنه ليل يقربُ عقرباً من عقربِ

وله من هذه القصيدة الفريدة في ذكر الشراع :

ولها جَناحٌ يستعار يُطيرها طوع الرياح وراحةَ المتطربِ
يعلو بها حدب العباب مطاره في كل لجٍّ زاخرٍ مغلولبِ
يتنزل الملاحُ منه ذوابة لو رامَ يركبها القَطَا لم يركبِ
وكأنما رام استراقة مقعدٍ للسمع الا انه لم يسهبِ

وقال ابو عمر القسطليُّ :

وجال الموج دون بغي سبيل يطير بهم الى القول ابن ماء
اغرُّ له جناحٌ من صباحٍ يرفرف فوق جنح من مساء

اخذه ابو اسحق بن خفاجة فقال :

وجارية ركبت بها ظلاماً يطير من الصباح بها جناحُ

وللمؤلف في ذلك المعنى :

ياحبّذا من بنات الماء سابحة تَطفُو لما شبَّ أهل النار تُطفئه
تطيرها الريح غرباناً باجنحة حمائم البيض للاشراك ترزؤه
من كلّ ادهم لا يلفى به جرب فما لراكبه بالنار يهنؤه
يدعى عرابا وللاعجام سرعته وهو ابن ماء وللشاهين جُوْجُوْه

٧٧ – أبو القاسم محمد بن محمد بن نوح الغافقيّ

من أهل بلنسية ودار سلفه سرقسطة ، وتوفي مسروقاً بمراكش سنة اربع عشرة وستمائة . كتب اليه ابو بكر بن صقلاب وهو اذ ذاك يتولّى قضاء المرية انشدنيها اخوه ابو الحسن:

يا ابا القاسم بن نوح بقلبي لدى ود رطبُ المكاسر لَدْنُ
واذا اعرض الحب فاقبل واذا ما تنازح الخِلُّ فادنُ
لقد احتازت المرية زُلْفاً غَبَطَتْها عليه تاسٌ ومدنُ
مشرفاً مشرفاً على كل فضلٍ ليَ منه وللسيادة رُكْنُ
قلت اذ ساقها اليّ هبات لم يطق حملها بوازل بُدْنُ
انا والله في جوار يزيد موردي كوثر وداريَ عدنُ

وانشدنا ايضاً اخوه ابو الحسن قال انشدنا لنفسه :

لا تغبطن كل موفود الثنى مشتملاً ملابس العظمه
يلمز لا بسبب الا بما يحويه من اكياسه المفعمه
فالله قد اخبر عن امثاله وقال في آياته المحكمه
يحسب ان ماله اخلده كلا لينبذن في الحطمه

٧٨ – أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز اللخميّ الكاتب

من أهل اشبيلية . يعرف بابن المرخي وكان ابوه ابو الحكم كاتباً ، واماً جده ابو بكر وباسمه سمي وبكنيته كُنّي فنظير . . . ل عبد الله بن ابي الخصال في بلاغته وبيانه ، وبيتهم عريق في النباهة والكتابة قال : ولم ادرك ابا بكر المتأخر هذا وتوفي في سنة خمس عشرة وستمائة .

ومن قوله في قصيدة يخاطب بها استاذه ابا العباس سيّد المعروف بالقبص مماتباً . اولها .

سأهجر العلمَ لا بغضاً ولا كَلا حتى يقال ارعوى عن حبّه وسَلا
ولا امرُؤ ببيت فيه مسكنه كي لا يَمَلّ شوقي حيثما مَثَلا
اذا ظمئت وكان العذب ممتنعاً فلست عن غير ذاك العذب معتزلا
اذا طردت قصياً عن حياضكم فان نفسي مما تكرهُ النَّهلا
قد كان عندي زعيمُ القوم عالمهم فاليوم عندي زعيم القوم مَن جَهلا
ما ان رأيت الذي يزداد معرفة الا يزيد انتقاصاً كلما كملا
وآية الصدق في قولي وتجربتي ان الجوادَ على الدلات ما وألا

وجاوبه ابو العباس بقصيدة على غير الرويّ مماثلاً ، فجاوبه عنها أبو الحسن ابن يزيد بمثلها ، اذ امسك ابو بكر عن المجاوبة .

٧٩ – أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن اللخميّ الكاتب

من أهل قرطبة . ويعرف بالربضي لسكناه بالربض الشرقي منها ، كتب للولاة ثم قعد عن الخدمة ، والتزم عمارة أرضه متعيشاً من غلاتها الى ان توفي اول شوال سنة عشرة وستمائة وله في صباه ، وقد عوتب على شرب الخمر :

واتاني المدامة ما اريد بشربها صَافِ الرقيع ولا انهماكُ الكاهي
لم يبقَ من عصر الشباب وطيبه شيءٌ كنهد لم تحل الا هي
ان كنت اشربها لغير وفائها فتركتها للناس لا لله

٨٠ – أبو بكر يزيد بن محمد بن صِقلاب الكاتب

من اهل ألمرية . وعاملها بعد ابيه ابي عبد الله . وكان غزلاً ماجناً صاحب ابداع في قوافي واسجاع ، توفي سنة تسع عشرة وستمائة . له :

كَلِفَ القَصي لقد طالت شكاوته ولا طبيب بقرب الدار يشكيه
قد طارحته حمامُ الايك نغمتها حرفاً بحرف فيحكيها وتحكيه

وسالت عبرات السحب عبرته اذا تفيض فتبكيها وتبكيه

وله :

اذا عقدت كفٌ على ذي مروءة فانت الذي تثنى عليه الخناصرُ
وان اثنت الاعصار يوماً على امرئ فانت الذي تثني عليه الاعاصرُ

وله في طريقة التجنيس :

واخي فتنة اذار علينا من يديه ومقلتيه رحيقا
عابثته عيوننا فصبغنا درّ خديه بالعيون عقيقا
جعل الثقل لثمنا من شفيه فانتقلنا على المدامة ريقا
عتقت هذه وهذا عتيقٌ فشربنا على العتيق عتيقا
اسكر الثقل والشراب جميعاً وابى الكأس واللمى ان افيقا
كلما قلت قد صحوت قليلاً عُدت في حيرة الخمار غريقا
لم اكن شائع الطريقة لكن مذ تعشقته ركبت الطريقا
حكمتنا يدُ الهوى في القوافي فعزلنا من الرقيق رقيقا

قال وهذه القطعة انشدنيها قديماً بعض اصحابنا عنه .

٨١ – أبو عمرو محمد بن عُبيدالله بن غيّاث

من أهل شريش شاعر مطبوع ، توفي اول سنة تسع عشرة وستمائة . له :

نهنهْ دُموعك انّ البين قد ازفا واندُب ديارً اعليها الشوق قد عكفا
فارق حبيباً وان ساءتْك فرقته فما سما الدرُّ حتّى فارق الصَّدَفا

وله :

هذي الجفون لاي شيء تذرفُ ولعلّها دار الاحبّة تعرفُ
من اين تعرفها وقد عميت اسىً أقميصه القى عليها يوسفُ

٨٢ – ابو الحجاج يوسف بن طملوس

من أهل جزيرة شُقر ، من عمل بلنسية ، واحد اعلامها الاماثل واحد المحققين بعلوم الاوائل . توفي سنة عشرين وستمائة . ومن قوله :

لعمرك ما تلقى من الناس واحداً ... غدا قلبه مما ابتلينا به خلوا
كأنّ الهوى حتمٌ علينا مقدّرٌ ... فلا بُهجةٌ ألا تذوب له شَجْوا
ألا صاحبٌ يُلحى على الغيّ صاحباً ... لقد عدِم العُذّال مذ عمّت الشكوى

٨٣ – أبو الربيع سليمان بن احمد بن علي بن ابي غالب العَبْدَري الكاتب

من أهل دانية . سكن مراكش بعد تجوله ببلاد الاندلس . وكان جده علي وابوه احمد واخواه محمد ويحيى شعراء ، ولبيتهم نباهة . وولي ابو العباس منهم قضاء مالقة فامتحن في قصة الجزيري وقد خبب .... وقيل انه اطلق اخاه من السجن بمالقة بالف دينار رشوة فاسلم الى صاحب الشرطة ليضربه الف سوط فهلك قبل استيفائها وامر به فصلب بازاء جذع الجزيري سنة ست وثلاثين وخمسمائة . فمن قوله في شكوى الزمن :

اخي كُوفيت والبَلوَى ضروب ... تعمّ وتارةً تأتي اختصاصا
تعالَ فخذ بحظّك من همومي ... ودع اطلال هندٍ والعِراصا
وبالكِ اخاك دنيا قد توَلّت ... ودهرًا ينهك العمر انتقاصا
وما انهيتُ نفسي في المعالي ... ولا ادركتُ من ثاري قصاصا
فليت العيش اذ لم يقض محضاً ... رُزقت اذا انقضى منه الخلاصا

وله يصف نارًا

ولقد نعمت بنار فحمٍ اصبحت ... تختالُ بين معصفرٍ ومورّدِ
الّا بقايا كالدُّجى مسودّة ... او مثل اصداغ الجواري الخُرّدِ
فكأنما يبدو لعيني منهما ... حبرٌ أريقَ على سبائك عسجَدِ

٨٤ – أبو اسحاق ابراهيم بن عيسى بن اصبغ الأزديُّ

من أهل قرطبة. ومن بيوتاتها الاصيلة. ويعرفون ببني المناصف ، وَوَلي ابو اسحاق هذا قضاء دانية ، وصُرف عنها اول الفتنة المنبثة بالاندلس صدر سنة إحدى وعشرين وستمائة ، واسكن بلنسية اشهرًا ثم انتقل عنها. وولي بعد ذلك قضاء سجلماسة ، الى ان توفي بها سنة سبع وعشرين وستمائة ، قال في ترتيب حروف كتاب العين للخليل ، وهو احسن ما قيل فيه على كثرته :

عذَّبني حلو هوىً خضته غوايةً قائدة كرْبي
جالبة شوق ضلوعي صمت ساحرة زاجرة طبّي
دَوْسيّة تيمني ظبيها ذوب ثناياه رضى لبّي
ناولني فاه بلا مانعٍ ووجنة احسانها يُربي

٨٥ – أبو زيد عبد الرحمن بن يَخْلَفْتَن بن احمد الفازازيُّ

ولد بقرطبة. ونشأ بها وتجول في بلاد الاندلس والعدوة. وكتب هو واخوه لامراء المغرب ، ونالا الرتبة العالية. وكانا من مفاخر وقتهما . وابو عبد الله مقل من الشعر. وتوفي بقرطبة قاضياً سنة احدى وعشرين وستمائة. واما ابو زيد فمكث كثيرًا ، وشعره مدوَّنٌ . وكانت وفاته بمراكش سنة اربع وعشرين وستمائة . قال : ومما عزي لي انه من شعره في الحضّ على الحجّ والزيارة .

الناس قد رحلوا وانت مقيمُ ودُعوا وانت محجَّبٌ محرومُ
صدقوا العزيمة فاستقلّت عيسهم وهواك في نيل المنى مقسومُ
غطّتك من آذيّ ذنبك موجةٌ فيها الهلاك وما اراك تعومُ
وتلام في ترك الحجاز فتنثني من غير معذرة وانت ملومُ
حسن فقد فارقت كل اساءةٍ مهلًا فانت بعلمه معلومُ
لا انت في السفر الذين تقدموا نحو النبيّ ولا اراك تقومُ

واذا بدا لـكَ درهم في جلّق بادرت تقعـد نحوه وتقومُ
واذا اراد الله تبليـغ امرىء فالمرب خادعـة لـه والرومُ
ما النـاس الا الراحلون لربهم والآخرون بلابـل وهمومُ
لا خلقَ الأمُ من محاذر عيلة في قصد رب الناس وهو كريمُ

وذكر له :

يانائم الطّرف عن سهدي وعن ارقي وفارغ القلب من وجدي ومن حُرَقي

بكمالها وهي من جيد كلامه في النسيب.

٨٦ — أبو عبدالله محمد بن علي بن حمادو الصنهاجيّ

من أهل قلعة حماد . وكان بشرق الاندلس في اول هذه المائة السابعة . ثم ولي قضاء الجزيرة الخضراء وقضاء سَلا بعد ذلك ، وتوفي سنة ثمان وعشرين وستمائة. ذكر له من شعره بعض رثائه لمعاهد القلعة التي ضمنها تاريخه.

٨٧ — ابو تمّام غالب بن محمد بن اسماعيل الانصاري

من أهل بلنسية . ومعدود من ادبائها . وكان يحترف بالتجارة واحياناً بالوراقة . صحب ابا الحسن بن جُبَيْر وغيره من الادباء. وسمع الحديث وكتبَ كثيراً. وروى عنه ابو الربيع بعض شعر ابن جُبَيْر . وتوفي في المحرم سنة تسع وعشرين وستمائة . قال : انشدني من شعره ، قال : وكان يناظر علي ابي محمد بن باديس في المستضفى وكان هو يحضره ، فغاب عنه يوماً فكتب اليه ابن باديس :

يا واحـدًا في المعالي بـه العلى تستبـدُّ
ان القراءة نادت مولاي مـا منك بدُّ

فراجعه ابو تمام بابيات منها :

لبيـك لبيك يا من عـلاؤه لا يحـدُّ
ومن اذا حلّ شكا فقولـه لا يردُّ

٨٨ – ابو بكر محمد بن محمد بن جَهْوَر الازديّ

من أهل مرسية ، واحد نبهائها وادبائها . فمن قوله ، وقد مرّ بجزيرة شُقر بارض حمراء لابن مرج الكُحل غير صالحة للعمارة ، يداعبه :

يا مرج كحل ومن هذي المروج له ما كان احوج هذي الارض للكحلِ
ما حُمرة الارض عن طيب وعن كرمٍ فلا تكن طمعاً في رزقها العجلِ
لكنّ شيمتها اخلاق صاحبها فما تُفارقها كيفيّة الخجلِ

فجاوبه :

يا قائلاً ، اذ رأى مرجي وحُمرته ما كان احوج هذي الارض للكحل
تلك الدّماء التي للروم قد سفكت في الفتح بيضُ ظبا اجدادي الاول
احببتها اذ حكت من قد كلفتُ به في الخد او اخلافه أملي

٨٩ – ابو عمرو ابراهيم بن ادريس التجيبيّ القاضي

من أهل مرسيه . وهو اخو ابي بحر صفوان بن ادريس . ولي قضاء بلده والخطبة بجامعه ، وتوفي في اول سنة ثلاثين وستمائة . له من قصيدة يمدح فيها :

شِيمُ الصوارم ان تُقرّب ما نأى لكن على من عزمه كظباتها
اخلصتَ للرحمن نيّة عالمٍ انّ النفوس له على نيّاتها
وجعلت تقوى الله شكتك التي تركت قلوب الروم رهن شكاتها

ومنها :

اوطأت ارض المشركين كتائباً كادت تصير الارض من وطآتها
كالبحر يطفح موجها جرياً اذا هبت رياح النصر في راياتها
جاءت تروم الشهب في ابراجها وتهابه الآساد في اجماتها

ومنها :

قد كان غرّ الروم صفحك قادرًا حتى وضعت السيف في صفحاتها
ظنوك لا تستطيع دفع كماتها اذ لم تطق بالجود ردّ عفاتها
ترهى بك الايام وهي جديرة مثل الجياد زهت بحسن شياتها
فاسلم على مرّ الليالي انها لتحوط عقدًا منك في لبّاتها

٩٠ — ابو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعيّ الخطيب

من أهل بلنسية . علم الاعلام ، واللعوب في جدّه باطراف الكلام ، الذي فاز بالجنة يوم فاد ، وأفادَ علوم السنة فيما افاد ، استشهد رحمه الله مقبلًا غير مُدبر في وقعة انيشة على بعد ثلاثة فراسخ من بلنسية ، ضحى يوم الخميس الموفي عشرين لذي الحجة سنة اربع وثلاثين وستمائة . انشدني الفقيه ابو عبد الله من قوله يرثي ابا بحر في كلمة :

اما وابي بحر لقد راع خاطري مصاب القوافي والعلى بابي بحر
ليبكِ عليه المجد ملءُ جفونه ويبكِ عليه رائق النظم والنثر
ويا روح روض كان زهر كمامه عزاؤك في الروض الانيق من الزهر
وياسك عن روح من الطيب بعده سوى ماتؤدّي الريح عنه من الذكر

ومنها :

احقًّا ابا بحر تجهزت غاديًا الى غاية ناء مداها على السفر
فان قصر المقدار عمرك إنّ في نفائس ما خلّدت عمرًا الى عُمر

وله :

ولما تجلّى خدّه بعذاره تسلوا وقولوا ذنبه غير مغفور
وهل تنكر العين اللجين مُنيلًا او المسك مذرورًا على صحن كافور
وحسبي منه لو تغير خدّه تمايل غُصن والتفاتة يعفور

وله :

قالوا اكتست بالذار وجنته هل في الذي قلتموه من باسِ
أكلف بالورد وهو منفرد فكيف اسلو اذاما شيبَ بالآسِ

وله :

قالوا التحى واشتكى عينيه قلت لهم نعم قاتم وهل في ذاك من عارِ
بنفسج عيض من ورد وزجسة تحوّلت وردة زينت باشفارِ
ما مرّ في حسنه شيءٌ بلا عِوَض حسنٌ بحسنٍ وازهارٌ بازهارِ

وقال :

رياضٌ كالعروس اذا تجلت وقلٌ لها مشابهة العروسِ
فمن زهر ضحوك السنّ طلق لجهم من سحائبه عبوسِ
وقضب تحسب الرواح شتّت معاطفها سلافة خندريسِ
ونهر مثل هنديّ صقيل تجرّد فوق موشي نفيسِ
تولت نسجه السحبُ الغوادي وحاكت وشيه ايدي الشموسِ

وقال :

يا غزالًا غزو ارض الروم يبغي ويدومُ
ما يفي اجرك الغزو بقتلي يا ظلومُ

وقال :

اوصيكمُ بالقلب خيرًا فانه أبى يرم بنتم ان يصاحب جثماني
فقلت له اين المقام فقال لي بكفي ابيّ ذي حفاظ واحسانِ
أيحسن في شرح الصبابة تركُ من تكنفني احسانه منذ ازمانِ
ايا حسن اصغى لداعية النوى اذن فرماني الله منه بهجرانِ

فقلت له اكرمتَ يا قلب فارتبط ولو انّ لي امري لكنتُ لدى الثاني

وله في طريقة ابي الفتح البُستي :

تعجبوا لفؤاد الشهم ان آسا ما لي وقد جدّ حد العمر لا آسا
لو لم تعظني نفسي لاتعظت بان ارى مآل نعيم الدهر ابتاسا
هاتيك اربعُ صحبي بعد ساكنها لم تبقِ فيها النوى نوياً ولا آسا
فارجع الى الله يا قلباً عتا صلفا فذو الندى في الورى .....
ولا يروقك توريد الخدود فما تبقي لياليك وردًا لا ولا آسا
تجرّع الصاب في الدنيا عساك ترى معوّضاً منه في دار الرضا آسا

وله وسم على مشط فضة :

تهوي محلي النجومُ يا بعد ما قد تروم
كم امّة لكعاب بها النفوس تهيم
سريت فيها شهاباً حواه ليل بهيم
ما صاغني من لجين الا ظريف كريم
مشط الحِسَان بعظم ظلمٌ لعمري عظيم

قال الفقيه ابو عبد الله : وكتبت اليه معمياً باسماء الطير وكان يعنى بذلك :

ان شئت يا دهر حارب او شئت يا دهر سالمْ
فصارمي ومجني ابو الربيع بن سالمْ

فراجعني بعد ان فكّها بقوله :

نعم فحارب وسالمْ وصل مصانا وصارمْ
انا المجنّ الذي لا تحيك فيه الصوارمْ

انا الحسام الذي لا يزال للضيم حاسم
فاحكم بما شئت اني بعضد صحبي حاكم

وذكر ما جرى بينه وبينه في ذلك من المراجعات على ذلك النحو جملة حسنة .

٩١ — أبو بكر محمد بن محمد بن مُحرز الزهريّ القاضي

من أهل بلنسية . من اهل الطلب البارع والنباهة في بلده . فمن قوله من قصيدة يصف الاغارة على شنتبرية، وفتح حصن شِرالّة . وذلك بعد غدر النصارى واغارتهم على فحص المِيل من نواحي بلنسية :

كذا فليُغَر او فليغر طالب الوتر وينهض ... الحبر المسهد بالكَسْر
خرجت وللاسلام انّة موجع تذوب لها الصُّمّ القواسي من الصَّخْر
املت لها اذناً تصيخ لمثلها على حين صمّت كل اذنٍ من الوقر
نفرت لها كالليث يطرق غيله ذياب بها من طفرة ندب العقر
فسرت على اسم الله تحدوك عزمةٌ لو استكفيت ثابت عن العسكر المجر
عليك ابتهاج الظافرين كانما تسير على اعتافه فيضة البحر

وله في هذه القصيدة محاسن رائقة فيها ما اراد . وكتب الى ابي الربيع ابن سالم شيخنا رحمه الله :

ابلغ سلامي يضوع رندهِ يا طرس ابلغت ما تودّه
الى اخٍ طال منه كفي بصارم لا يحدّ حدّه
شرفت منه بشرفي افرد عن حسبه فرندّه
ابود من شوقه بقلبي فهل انا اليوم منه جدّه

وقال :

سقى الله المعرّس اذ سهرنا به والحادثات بحال غُمْض

قطعنا ليله والحال رفعٌ يقرّ العينَ منها عيش خفضِ
نضاجع من بنات الماء ومن نبات الماء فيها كلّ غَضِ
يروقك ... منه فاعجب سيوف بعضها اغماد بعضِ

ومن قصيدة لابي عبد الله بن ابي الفضاء وقد سمع ارجوزتي ابي بكر في ذلك في شكل خباء الماء.

تحاك اعاليه واسفله وما يقوم عليه او به من سَدَى النهرِ
وان حاولوا تطنيبه فباربع يزّق من اردان اثوابه الوقرِ

قال: وانشدني الاديب ابو عبد الله محمد بن احمد الحضرمي صاحبنا لنفسه، وسئل وصف مثله «والريحُ تبذِره» فقال واحسن ما اراد:

ومطنّب للماء ما اوتاده الا نتائج فكر طبّ حاذقِ
عبثت به ايدي الصَّبا فكأنّها ايدي الصبابة بالفؤاد العاشقِ

وله في بكر من كلمة:

ان لله مطلقين اسارى طلبوا القرب مهتدين حَيارى
عثروا اذ تحيروا فرآهم فجزاهم بان اقال العثارا
قبلت منهم الصلاة وهم لا يقربون الصلاة الأسكارى

٩٢ – أبو المُطَرِّف احمد بن عبد الله بن عَميرة المخزوميُّ القاضي

من أهل جزيرة شُقر، وسكن بلنسية فمن نسيبه قصيدة مدح بها قوله:

يا والياً امر الجمال بسيرة قلّ الحديث بمثلها عَن وَالِ
حتى متى قلبي عليك متيّمٌ واذا سألت يقال قلبك سَالِ
ارضى رضاك عن الوشاة وانت لا ترضيك موجدتي على العذالِ
وبيان حبك لم أؤخره وفي جَدواه عندك غاية الاجمالِ

قد حرت في حالٍ لديك ولست من اهل الكلام احارُ في الاقوال
واجلت فكري في وشاحك فانثنى شوقاً اليك يحول في جوّالِ

وقال من قصيدة انشدنيها باشبلية اثر نزهة جمعتنا بخارجها صدر سنة سبع عشرة وستمائة قال : وانا اقترحت وصفها عليه ، وهو لها :

لو غير طرفك موهناً يأتيني ما كان في عقب الصبى يُصبيني
واقٍ وقد هجع الخليط فبات في ثوب الدُّجى أدنيه او يدنيني

ومنها في الوصف المقترح :

يا حمص انك في البلاد فريدةٌ بديع حسن جلّ عن تحسينِ
احبب بنهرك حين يزخر مده فيروق منه تحرّك كسكونِ
ويعودُه الجزر الذي يبقى على شطيه حجرًا دونه للطينِ
مثل الجزيرة ان تقلّص ثوبها خجلت لشين تحته مدفونِ
فكأنما هو عاشق ذو زفرة تعتاده في الحين بعد الحينِ
او مثل تململ الجوانح والحشا غيظاً طواه الحلم بالتسكينِ
وتخال ما نثرت به ايدي الصبى حلق المضاعف نسجه الموضونِ
تجري به اسراب طيرٍ آثروا فيها المجاز فسميت بسفينِ
يا حسنها من ذات اجنحةٍ لها عمل يبزّ جناحي الشاهينِ
تثني الجموع فلا يريم مكانه منها وترجع سوط كل حرونِ
من كل دهماء الاديم ترى به منها بنفسجة على نسرينِ
عُطفت وارهف جسمها فكانها قمرٌ اذا ما عاد كالمرجونِ
جُلنا بها في النهر ترتع للمنى ما بين اصنافٍ لها وفنونِ
ولربَّ ما رعنا بنيه بغارة تركت مصون حماه غير مصونِ

تحكي اذا ما بزرت حركاتها فعل التريف ينوء دونَ معينِ
قد قوّستها ميتةٌ لا كبرة فانظر الى الفي تعودُ كنونِ
حتى بلغنا سنتبوس ويا له من مشهد بهوى النفوس قمينِ
حيث القصور البيض يرمق حسنها ... قيد نواظرِ وعيـــــونِ
بهرت جمالاً في الدُّجى حتى ترى معها عمود الصبح غير مبينِ
فهي النجوم بل البدور لأنها تزدادُ حسناً في الليالي الجونِ
قد الفت اجزاؤها فتساندت كتساند النغمات في التلحينِ
طاب الزمان بها فما تيسانها اندى صباً من آب أو كانونِ
فسقى الغروس مع الخليج خياله صوب بريّ ربوعها يرضيني
فلقد مضت لي ثمّ ساعةُ لذة عن ذكر لذّاتي الاولى تسليني
وجنيت من ثمر المنى ما شئته واخذت منه فوق ما يكفيني
في فتية ظفرت يداي بقربهم بأجلّ علق في الزمان ثمينِ
ما منهم الا صريح مودّة أصفيه منها مثل ما يصفيني
اخذوا باطراف الحديث فشمشعوا منها كؤوساً حثُّها يحييني
وتذاكروا اخبارَ سيدنا فقل جلبوا فتيق المسك من دارينِ

وقال يصف مثلها بنهر جزيرة شُقر وانشدنيه :

خذ في حديثك ان وصفك يطربُ عن يوم انس ذكره مُستَعذبُ
واطلب احاديثاً من الايام ان سَمَحَت بذا وأظنُّ ذلك يصعبُ
يوم ارانا الحسن في النهر الذي قد طاب منه موردٌ او مشربُ
يمشي وتزجي موجه فكأنهُ لما انتهينا ما يُوَاري مقضبُ
وقد امتطينا زورقاً فيه فقل صبحٌ تمشّى في سناه غيهبُ
تراه طوراً طائراً ولربما ضمّت جناحاه اليه فيجنبُ

ولنا شباك قد تجاذب غزلها خدّان يطفو ذا وهذا يرسب
نسجت كنسج الدرع لكنّ الردى لم يعد لابسها اذا ما يطلب
تبدي لنا سمكاً ارادت ان تُرى حسنٌ بها فلأجله تتقلّب
فكأنها من جمرة الماء الذي حصباؤه من صفوه لا يحجب
يا نهر شقرٍ فيك ادركتُ المنى فلأنت من نهرٍ اليّ محبّب
يهنيك اذ حزت المحاسن كلها اني ساشعر في حلاك وأخطب

وله مما يكتب على قوس:

تحنو الضلوع على القلوب وانني ضلع قوافيها باعضل داء

وله واهدى وردًا:

خذها اليك ايا عبد الاله فقد جاءتك مثل خدودٍ زانها الخفر
اتتك تحكي سجايا منك قد عذُبتْ لكن تغيّر هذي دونها الغيرُ
ان شمت منها بُروق الغيث لامعة فسوف يأتيك من ماء لها مطرُ

وله يخاطب العراقي وقد بعث اليه في جزء من كتاب الجدل يقتديه اثر ما ولي شغل الخزانة بتراكش:

تقلدت من شغل الخزانة خطة تقد لها بالفضل والعلم لائق
وارسلت عن جزء كحرفٍ بمهرق وقد جمعت في راحتيك المهارق
فيا من له تسع وتسعون نعجة اني سئلة عجفاء أنت تضايق

ومن قصيدة ايضاً في تغلب الروم على بلنسية:

اما بلنسية بثوى كافر حفّت بـه في غفرها كفّارهُ
زرعٌ من المكروه جلّ حصاده بيد العدوّ غداة لجّ حصارهُ
وعزيمة للشرك جعجع بالهدى انصارها اذ خانه انصارهُ
قل كيف يثبت بعد تزيق العدى آثارهُ أو كيف يُدرك ثارهُ

ما كان ذاك المصر الا جنة للحسن تجري تحتها انهاره
طافت بطيب نهاره آصاله وتعطرت بنسيمه اسحاره
وتألفت اوقاته وتفتحت ارجاؤه وتفتحت انواره
اما السرار فقد عداه وهل سوى قمر السماء يزول عنه سراره
قد كان يشرق بالهداية ليلة فالآن اظلم بالظلام نهاره
ودجى به ليل الخطوب فصبحه اعيا على ابصارنا إسفاره

وقال:

نكب عن الدنيا ولا تلقها الا بودٍ مثلها زائل
اذا تحلّيت بما زخرفت فانت في التحقيق كالعاطل
حلّت لمن أملها برهة لكنه لم يحل بالطائل
مَنْ منصفي من زمن جائرٍ يغلب فيه الحق بالباطل
لو كان سحبان به مفصحاً لم يأمن الانسكات من باقل
حسبك ان الوغد يحتاجه من ارتدى بالخُلق الفاضل
يفتقرُ الصدُّ الى صدّه مثل افتقار الفعل للفاعل

ومن رسالة له كتبَ بها معزياً الى بطليوس:

ولم أرَ مثل الحق اما طريقه فامنٌ واما جاره فعزيزُ
اذا ما امرؤٌ آوى اليه فحصنه حصينٌ ومأواهُ المباحُ حريزُ
فكن معه تظفرْ بما شئت من منى معارفها بالصالحات يفوزُ
ومن خير ما حاز الفتى الصبر انه اداة لموفور الثواب تحوزُ
رأينا التقى كنزاً يدوم الغنى به اذا فنيت للموسرين كنوزُ
وكائن رأينا من حوادث اقبلت فللخلق تصريحٌ بها ورموزُ
تقابل بالتسليم لله وحده فتمضي ولم يشعر بها وتجوزُ

٩٣ – أبو الحسن علي بن لبّ بن شلبون المعافري

من أهل بلنسية . وكتب لولاتها ، ثمّ وزر لمحمد بن يوسف بن هود اول ثورته سنة خمس وعشرين وستماية وكان من الادباء النجباء . وتوفي بمراكش اول سنة تسع وثلاثين وستمائة . وله قصيدة يمدح ويعتذر عند قدومه مع وفد بلنسية سنة اثنتين وعشرين وستمائة الى اشبيلية :

حنانيك قد ثبت اليك وقد ثبنا ... فحرّر لنا الرحمى واكد لنا الأمنا
هو القدر الجاري على الناس حكمه ... فلا غروَ ان جاؤوا سراعاً وابطأنا
اذا لم تكن بالمرتبين عنايـة ... سهاوية عـادت حرامتهم أفنـا
ملكنا فصرّفنا تصاريف تجتني ... بهـا مرةً ربحاً وآونـة غبنـا
واما واغضاء الخليفـة شامـل ... فبشر بما قلنا به الامن والامنـا

وله من قصيدة يمدح ايضاً ، أولها :

أوجهه والالحاظُ والقدُّ والردفُ ... ام البدر واليعفور والغصن والحقفُ
ورياك سدّ الخافقين اريجهـا ... ام المسك من دارين ثمّ له عرفُ

والقصيدة طويلة . وله من قصيدة يرثي شيخنا ابا الربيع :

خطب الخطوب دهى العلاء مصابه ... فابدأ بدمعك ان يقل مصابـه
واسكب له حمر الدموع يمدّها ... قلبٌ يسيل على الجفون مذابـه

ومنها :

اودى سليمان فشرع محمد ... ثكلان باديـة بـه اوصابـه
فجعت به سير الرسول مصنفاً ... كتباً ينظمُ شدوها إطنابـه
واصيب منـه حديثه بامامـه ... وحفيظه من حادث بتنابـه
العالم العالي بـه متسلّلا ... قمم الكواكب علمه ونصابه
فمن المجلي عن طريق صحيحه ... وسقيمـه مهما يشبـه تشابـه

وبمن يعرج طالب العلم الذي ... ما اعمات الا اليه ركابه
او من لذروة منبر ترهى به ... اعواده ويهزها اسرابه
ام من لصدر المحفل المشهود ان ... كثر الكلام به وقلّ صوابه

ومنها :

الروض آداباً تأرّج زهره ... والبحر ادراكاً يعبّ عبابه
ولد الزمان وما اتى بنظيره ... ليس الزمان بوائم اتجابه
غار الجمال فما يتاح طلوعه ... غاب الكمال فما يباح ايابه
خطّت رماح الخط فيه اسطراً ... بيمينه منها يكون كتابه

٩٤ – أبو جعفر احمد بن ابراهيم بن غالب الحميري

من اهل مرسية . ويعرف بالغزّال وبالحامي ، وكان مجدداً مكثراً ولم يوقع من شعره الا القليل ، وتوفي ببلاده سنة احدى وثلاثين وست مائة . في رؤيا ابي بحر :

له الله ما اهوادُ في كل مشكل ... يمنى وكل القوم في دجيه عُمْيُ
فما هو الا بالبلاغة مرسلٌ ... وآيته الرؤيا اذا انقطع الوحيُ

قال ظاهر : هذا يقتضي ان ابا بحر رآها . والذي صحّ ان المنصور رأى اباه في النوم يقول له : ببابك رجل يعرف بابن ادريس فاقض حاجته ، او ما هذا معناه ، فلما اصبح وذلك في الثاني عشر لذي الحجة عام تسعين وخمس مائة اخبر بالرؤيا . فوجه فيه قاضي الجماعة ابو القاسم بن بقي والكاتب ابو الفضل بن محشوة ، وسألاه عن مطالبه ، فقضيت ، وزوّد اربع مائة دينار . وذكر ابو المطرف ان انساناً حدّثه ان المنصور لما سمع مدح ابي بحر ورثاه للحسين اراد الاحسان بالرؤيا لئلا يكثر عليه الشعراء . وادعى محمد بن ادريس المعروف بابن مرج اليكحل انه ذلك لتحاقق اسمي ابويهما ، فقال ابو بحر يخاطبه :

يا سارقاً جاء في دعواه بالعجب ... سامحته في قريضي فادّعى نسبي

ينمى الى العرب العرباء مدّعياً كذاك دعوته للشعر والأدبِ
يا ايها المرج دع ... لؤلؤه فالدرّ للبحر ذي الامواج والحدبِ
هب ان شعرك شعري حين تسرقه انّى انا أنتَ او انّى ابوكَ ابي

قال المؤلف : هذا النوع من الهجاء لا يسمع عند اكثر الادباء ، قال : وتركت لاجل الهجاء من لم اجد له سواء وهم كثيرون ، قال : ومنهم أبو عبد الله بن عبد الرحمن الفرياني ، وأبو بكر محمد بن عبد الله بن سدينة ، وأبو عبد الله محمد الواعظ الكفيف المعروف بالمروري وسكن دانيه ثم بلنسية وكان مشهوراً ، وأبو بكر محمد بن رفاعه الشريشي الطبيب ، وأبو زكرياء يحيى بن خالد الشريشي ، وابو سعد ميمون بن علي المعروف بابن خبأزة . وتوفي برباط الفتح سنة سبع وثلاثين وستمائة . وأبو موسى عيسى بن عبد الله الدجي . ومنهم المسمى عياش بن جوافر ، وابوه من عرب ميورقة ، وبها ولد ونشأ ، قال : ومن القدماء ابن وازع غير مسمّى من أهل بيّاسة وكان يعقد فيها الشروط . ولابي جعفر في مجمر نار :

ومجمر ملئت ساحاته بغضاً والجمر ترمي شراراً وهو يستعرُ
كلفت تشبيهه يوماً فقلت خذوا التشبيه بالخبر لا يشغلكم الخبرُ
فجمر النار صدري والغضا كبدي والجمر قلبي ودمعي ذلك الشررُ

٩٥ — أبو المطرّف الزُّهريّ

من أهل اشبيلية . من قوله في جارية خرجت عليه وعلى جليس له فنفرت :

يا ظبيةً نفرت والقلب مكنسها خوفاً لختلي بل عمداً لتعذيبي
لتأمني فابن عبد الحق الحقنا عدلاً يؤلف بين الظبي والذيبِ

وقال :

مرت بنا كالبدر وانفلتت كالغصن والتفتت كالشادن الخرقِ
تسربلت ببرود الحسن والتحفت بالغنج واشتملت مرطاً من الحدقِ

٩٦ – أبو جعفر احمد بن محمد بن طلحة ، الكاتب الانصاري

من أهل جزيرة شقر ، كتب لابن هود ، وتجوّل ببلاد الاندلس . ثم فارقه ولحق ببجاية فقتل بها سنة اثنتين وثلاثين وستمائة . وله شعر كثير . انشدني ابو الحجاج بن ابراهيم عنه :

عجبي لقوم أمّلوا ان يبلغوا ... من كل مأثرةٍ وفضلٍ مبلغي
من بعض حاصليَ الذي لا ابتغي ... يأسوا ، فمن لهم بما انا ابتغي

٩٧ – أبو علي حسن بن عبد الرحمن الكتاني الاستاد

من أهل مرسية . ويعرف « بالدقا » وكان حلو النادرة وصاحب مقطعات وتذييلات حسان ممتعة . توفي ببلده سنة ثلاث وثلاثين وستمائة له من ابيات في المجنّات :

شغفت بحبّ ابكار حبالى ... ووُدي لو بنيت بها عروسا
اذا لاحت بدورًا في المعالي ... ترامت العيون بها شموسا

والفقيه ابي عبد الله في ذلك وانشدنيها :

بنفسي مثلجات الصدور ... لها سمتان من نار ونور
حوامل وهي ابكار عذارى ... ترقُّ على الاكف مع البكور
بياضُ الطلع ما تنشقُّ عنه ... وفوق اديمها صُهب الخمور
كبرض الطلّ حين تذاقُ طعماً ... وفي احشائها وهج الحرور
لها حالان بين فم وكف ... اذا وافتك رائقة السُّفور
فتغرب كالأهلّة في لهاةٍ ... وتطلع في يمينٍ كالبدور

٩٨ – أبو بكر بن هشام الازديُّ الكاتب

من أهل قرطبة ، ابوه احد حكام قرطبة ، وهو الذي صلّى على ابن بشكوال. توفي بالجزيرة الخضراء سنة خمس وثلاثين وستمائة. له في ليلة انس:

ولما دنا الاصباح قام مودّعي وخلفني في قبضة الوجد هالكا
وكان سواد الليل ابيض ناصعاً فعاد بياضُ الصبح اسود حالكا

٩٩ – ابو محمد عبدالله بن محمد بن مطروح التجيبي القاضي

من أهل بلنسية. توفي والروم يحاصرونها في ذي القعدة سنة خمس وثلاثين وستمائة. سئل تذييل هذا البيت:

واذا ذكرتك لم اجد لك لوعةً اذ لا تفارق قلبيَ المعهودا

فقال:

ما غبت عن قلبي فديتك لحظةً وكفى بقلبك لي لديك شهيدا
لكن حظّ العين منك فقدته . فالشوق مني لا يزال جديدا

وله شعر كثير.

١٠٠ – أبو بكر محمد بن احمد الصدفيُّ الصابوني

من أهل اشبيلية . شاعر عصره ، وخصّت الأندلس شعراءها به ، توفي في طريقه من الاسكندرية الى مصر سنة اربع وثلاثين وستمائة . فمن قوله في معذر:

وعذّبني خدّ به المسك باقلُ كأني في وصفيه للعجز باقلُ
اما وعذارٍ فوق خدّك انه لانكأ فعلي مقلتيك لفاعلُ
وما خيلت نفسي اليّ بانه ستفعل افعال السيوف الحمائلُ

١٠٠ — حمدة بنت زياد بن بَقِيّ العوفيّ المؤدّب

من أهل وادي آش واحدى المتأدبات المتصرفات المتفننات . واسند عن طريق جدي عن ابن البرّاق انهـا خرجت متنزهة بالرملة فرأت ذا وجه وسيم اعجبها فقالت :

اباحَ الـدمعُ اسراري بوادٍ	به للحسن آثارٌ بوادي
فمن وادٍ يطوف بكلّ روضٍ	ومن روض يطوف بكل وادِ
ومن بين الظبـاء مهـاة رملٍ	سبت عقلي وقد ملكت فؤادي
لها لحظ ترقده لامرٍ	وذاك الامر يمنعني رقـادي
اذا سدلت ذوائبهـا عليهـا	كمثل البدر في الظلم السّادي
تخـال الصبح مات له خليلٌ	فمن حزن تسربـل بالحـدادِ

وذكر لها :

ولما ابى الواشون الّا فراقنـا	وقد قلّ اشياعي لديك وانصاري
غزوتهم من مقلتيـه وادمعي	ومن نفسي بالسيف والسيل والنار

قال: وحدثني بعض الناس ان هذه الابيات لمهجة بنت ابن عبد الرزاق من نواحي غرناطة .

١٠٠ — نزهون بنت القليعي

قال : وعاصرتْ حمدة هذه او قاربتْ عصرها نزهون بنت القليعي وكانت واحدة صنعها في ادبها . كتب اليها ابو بكر بن سعيد اخو ابي مروان كاتب ابي زكريا بن غانية :

يا من لهـا الفُ شخص	من عـاشق وعشيقِ
اراك خلّيت للناس	سدّ ذاك الطريقِ

فاجابته برسالة فيها :

حللت ابا بكر محلًّا منعته ... سواك وهل غير الحبيب له صدري
وان كان لي كم من حبيب فاتنا ... يقدم اهل الحقّ فضل ابي بكرِ

وفيها في قبيح الصورة عرض لخطبتها :

عذيريَ من انوك اصلع ... سفيه الاشارة والمنزعِ
يروم الوصال بما لو اتى ... يروم به الصفع لم يصفعِ
برأس فقير الى كيّة ... ووجه فقير الى برقعِ

ولها :

لله درّ ليال ما احيسنها ... وما احيسنَ منها ليلة الاحدِ
لو كنت حاضرنا فيها وقد غفلت ... عينُ الرقيب فلم تنظر الى احدِ
ابصرت شمس الضحى في عاتقي قمرٍ ... وريمَ مجهاة في ساعدي اسدِ

وقال فيها المخزومي استاذنا :

على وجه زهون من الحسن مسحة ... وان كان قد اضحى من الصون عاريا
قواصد زهون توارك غيرها ... ومن قصد البحر استقل السواقيا

فقالت ترد عليه مستطردة له :

ان كان ما قلت حقاً ... من نقص عبد كريمِ
فصار ذكري ذميماً ... يعزى الى كل لومِ
وصرت اقبح شيء ... في صورة المخزومي

١٠٠ — خادم ابي محمد بن مسلمة الشاطبيّ الكاتب

حكى لي ابو محمد ابن ابي بكر الداني الطبيب ان الوزير ابا عامر بن بقي كتب اليها من مجلس انس ليستدعيها :

يا هند هل لك في زيارة فتية نبذوا المحارم غير شرب السلسل
سمعوا البلابل قد شدت فتذكروا نغمات عودك في الثقيل الاول

فكتبت اليه في ظهر الرقعة :

يا سيداً حاز العلى عن سادة شمّ الانوف من الطراز الاول
حسبي من الاسراع نحوك انني كنت الجواب مع الرسول المقبل

١٠٠ — حفصة بنت الحاج الركوني

واما حفصة بنت الحاج الركوني من اهل رندلة واسمها بقيت بعد حمدة وهي القائلة ابياتها المشهورة :

يا سيد الناس يا من يؤمل الناس رفده
امنن عليّ بصدّ يكون الدهر عدّه
خطت يمينك فيه والحمد لله وحده

✦

انتهى ما قيده أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن ابراهيم البلفيقي من كتاب « تحفة القادم » لابي عبد الله بن الأبّار حسبما اختار ، ومن المنقول نقلته ، وعمل بحمد الله تعالى وحسن عونه والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا ومولانا رسول الله وعلى آله واصحابه الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً .

وكان الفراغ من نسخه لخزانة السلطان مولانا امير المؤمنين ناصر الدين الباسل الشرغام المرتضي لايالة الاسلام ابي العبّاس المنصور الشريف الحسني أيّد الله امره واعلامه واسعد لياله وايامه ، في ثالث عشر جمادى الاولى عام تسعين وتسعمائة بالحضرة البيضاء فاس حرسها الله وخلّد للاسلام ذكرها

✦

مخطوط أُنف

كتاب الفتح الربّاني والفيض الرحماني

تأليف

الشيخ الامام والحبر الهمام العالم العلّامة

الشيخ عبد الغني النابلسي

قدس الله سرّهُ العزيز امين

تعريف له

بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني

وجدنا في مكتبة كرسي بطريركية الروم الكاثوليك ، في عين تراز (لبنان) هذا الكتاب الخطّي من تأليف الشيخ عبد الغني النابلسي الشهير شارح ديوان ابن الفارض ، وصاحب المؤلفات الصوفية العديدة . ولم نعرفه مطبوعاً ، بل لم نرَ له ذكرًا بين آثار المؤلف ، في كتابات من ترجم له من مؤرخي الآداب العربية الّا بروكلمان ، فانه احصى للشيخ عبد الغني ٨٥ اثرًا ذكر فيها تحت الرقم ٦٨ (الجزء الثاني من تاريخه ص ٣٤٨) اسم «الفتح الرّباني والفيض الرحماني » ، مشيرًا الى ان له مخطوطة في مكتبة برلين .

اما المخطوط الذي وقفنا عليه فقد كتب بخط نسخي جميل اسود يشبه حروف المطابع ، وعناوينه بالحبر الاحمر ، يحتوي على ١١٢ صفحة ، بطول ٢١ سنتيمترًا ، بعرض ١٥ سنتيمترًا ، وعرض هامشه ٦ سنتيمترات ، على ورق حجيج ، بدون تجليد ، يشتمل على سبعة ابواب :

١ : في بيان الذنب .
٢ : في التوبة .
٣ : في العقيدة الصحيحة .
٤ : في بيان الكفر .
٥ : في بيان الاسلام .
٦ : في بيان الايمان .
٧ : في بيان الاحسان .

وكانت خاتمة كتابته في ١٤ رجب الفرد سنة ١١٥٤ للهجرة ، بيد اسماعيل بن خليفة الحسني الشامي ، وقد ذكر الناسخ على احد هوامشه : انه بلغ مقابلة على النسخة التي هي بيد المؤلف نفسه . وان الشيخ النابلسي صدّر كل باب من ابواب مؤلفه هذا ببضعة ابيات من الشعر ضمّنها خلاصة ما احتواه كل باب من المعاني والشروح . والصفحة من هذا الكتاب تحتوي على ٣٧ سطرًا وفي كل سطر ١٤ كلمة ، وعلى هامشه بعض شروح لمطالبه . ورأينا تحت اسم المؤلف الذي منه الناسخ بالنعت المذكور اعلاه ، في صفحة عنوان الكتاب الاولى ، هذه الكتابة مذيلة بسبعة ابيات من الشعر وهي بخط مختلف :

« لخادم تعالى مؤلفه ومنسوب صيغة محمد بن محمد الشافعلاني الازهري.

لعمرك هذا الفتح والفيض والهدى ... حباهُ لنا غيث الغنى مع الندى
تسلسل من بحر الغيوب علومه ... فأروت قلوباً شفّهـا وهيجُ الصدا
ونظّم عقد الدرّ منه لغائص ... وفتّح روض الفضل من روضه الندى
ونادى لسان الحال منه أمن صدِ ... اكوثرنا المورود عذباً مبرّدا
مزجنا به البحرين بحر حقيقةٍ ... وشرعٍ فيا طلّاب مدوا لنا يدا
وما مالكٌ الّا كشفنا غويصهُ ... ولا موعرٌ الّا بنا قد تمهّدا
فقل لغويّ [1]فيضه بدا ... فان انت لم تدركه خاتُك ملحدا »

ولا نتعرض لذكر ما يتضمنه كل باب من ابواب هذا المخطوط خوف الاطالة ، لكننا نثبت مقدمته مع الباب السادس منه في الايمان ، ليقف القارئ على سياقه ونهجه ، غير متعرضين للرد على المؤلف في بعض آرائه ومناحيه .

---

١) كلمة غير مقروءة .

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اظهر العالم من كنز الوجود واخرجهُ من محض العدم، ووصف به نفسهُ نفسه في موطن الامكان لتتميّز بذاتها حضرة القِدَم ، واثبت لنوره نورًا قائمًا بنفسه غير متصل به ولا منفصل عنه ، وجعلهُ مرآةً لظهور وجوهه فيه بانواع تجليات الكنه ؛ ثم اخرج من ذلك النور نورًا آخر ليس عين ذلك النور ولا غيره، وكوّن فيه عرشهُ العظيم وكرسيه الذي جمع شرّهُ وخيره . ثم خلق السماوات السبع في جوف ذلك الكرسي واتقن التكوين وأودع العناصر الاربعة في جوف فلك القمر اتركيب المولدات فتبارك الله احسن الخالقين . ثم جعل نشأة آدم آخر مولد في العالم وجعلهُ نسخةً لجميع صور هذا الوجود، وقابل به حضرة صفاته واسمائه وافعاله واحكامه فكان هو المقصود . ثم نسخ منه صحفاً كاملة وكتباً محمولة بالعناية حاملة ، وسكب في قالبه اسرار النبوّة وأودع في نهاره انوار الفتوة واطلع كواكب الازل من سموات صورته المشرقة ولم يزل يتطور في الهياكل الفاضلة حتى طلعت شمس الأحدية على فلك تلك القامة المشرقة صلى الله وسلم عليه وعلى كل من تبختر بحلّته الطاهرة وتمشّى على انهار حديقته الظاهرة ولبس نعليه وثبت على صراط بقدميه خصوصاً غذاء ارواح المحبين وشراب تسنيم المقرّبين ، محمد الكل بجزئه الذي لا يتجزأ ومن الى حقيقته كل حقيقة في الكونين تعزى، المتقدم بالنور المتأخر بالظهور ، محمّد المحمود ، حدقة عين الوجود ، ورضوان الله تعالى عن آله الآتين اليه بالروحانيات وان اختلفوا بالاجسام ، واصحابه الذين هم معه بالاستمداد التام وعن التابعين لهم باحسان في كل زمان ومكان.

اما بعد فان العبد المفتقر الى مولاه والراجي عفو ربه وهداه ، عبد الغني ابن اسماعيل بن عبد الغني بن اسماعيل بن ابرهيم بن احمد النابلسي ، الحنفي

مذهباً ، القادري مشرباً ، الدمشقي وطناً ومولداً ، ادخله الله تعالى في منشور السعداء ، ورحم اسلافه الماضين ، ولطف به وبجميع المسلمين امين ، يقول في اول كلامه على مقتضى حاله ومقامه :

بدر تم لاح في الافق فوق غصن باجمال سقي
وبه الالباب هائمة سكرت منه فلم تفق
عطرت روضي نسائمه حين وافت بالشذا العبق
وفؤادي فيه ذو شغف دائماً والجفن ذو ارق
واصطباري يوم جفوته ما بقي والوجد فيه بقي
هائم صب كثير جوى عنه شذت سائر الطرق
خطفته منه بارقة غيرها في القلب لم يرق
فأدارت كاس خمرته فهو منها اليوم في غرق
وأثارت عرف روضته في الورى طوبى لمنتشق
كيف لا اختال من مرح وملیح القد معتنق
فاسألوا عيني فان بها لمحة في داخل الحدق
تلثها من حسن بهجته من لو بدا للكون لم يطق
ثم ذوقوا ما بقي بفمي من بقايا خمر كل تقي
هذه أذني لقد سمعت طيب ذاك الصوت فاسترق
واسألوا أنفي فقد نفحت فيه ريا نسمة الغلق

يا بني قومي خذوا خبري عن جوى قلبي وعن قلقي
وانظروا نحوي فان خفيت شمس ذاتي فاشهدوا شفقي
كلما تدرون من حجبي لصيد في الورى وشقي
واحذروا في الله ان تقفوا عند شيء لاح في الافق
فالبرايا كلها فتن اي جمع غير مفترق
كلها تمضي بأجمعها ثم يبقى الاثم في العنق
واحذروا ان تعبدوا صنماً نحتته فكرة فبقي

جـلّ ربي في تنزّهه عن وجودات على طاق
فاسرعوا واعوا الحروف بنا عندكم من صفحة الورق
قبل ان يبدو المئون لكم يأخذ البـاقي من الرمق
واسلكوا سبل النجاة على دين طهٍ زاكي الخُلق
ثم كونوا اسر سنّتـه وبها قاسُوا على نسق
وابعثوا في دعوة وسلوا في غدٍ امناً لذي فرق
وصـلاة الله دائمـةٌ مع سلام غير منمحق
للـذي انواره سطعت فأحالت صبغـة الغسق
احمد المختـار سيّدنا من به قلبي مناهُ لقي
مـا بدا الكون منشئهُ خلف ستر ابيض يقق

اعلم ايها الانسان الداخل في حصن حصين من الايمان والمتدثم ان شاء الله تعالى بنسيم الروح والريحان ، ان كتابي هذا ما جمعته إلّا لمن قصر ليله لطول نهاره ووقف في نشأة نفسه الزكية على مراكز اضطراره ، ولم يحتجب بالعين المعجمة عن العين ، ورفع بيد روحانيته حجاب البين من البين ، وربما ينتفع به الاعمى بدلالة البصير ، ويتناول بيده ذيل الكمبة صاحب الباع القصير . فالله الله يا ايها الواقفون مع ما ظهر لهم من لمحةٍ من لمحات انوار الشريعة ، والمتحجّبون بسبب غشاوة دخان الذنوب التي لا يشعرون بها في مطامير الطبيعة . ويا ايها المستسنون ورم الزخارف الدنيوية ، ويا ايها المعرضون بقلوبهم الجاهلة لاعراضها بتحسين ظنهم بهم عن اللذائذ الروحانية الاخروية فاحذروا ان تفهموا شيئاً من كلامي بالفهم المعوج وتخرجوهُ على خلاف هذا الدين فتفتروا عليّ وعلى الله ، فاني لم اقصد الّا بيان ما فُتح عليّ مما يوافق الشرع الشريف وان كانت الالفاظ متشابهة ربما يُفهم منها خلاف ذلك فان لي في ذلك عذرًا واضح ، وكل اناء بالذي فيه ناضح ، وما ذلك العذر الّا ان المعاني التي يتخيّلها الانسان ربّما لا يجد لها لفظاً موافقاً لها تؤدّى به من الفاظ اللسان ، وربما امكن ذلك ولكن اشتغل عنها القلب بما يتراكم عليه من المعارف الحسان وبالله المستعان . وقد عزمتُ على الشروع فيما اردتهُ من هذا الكتاب وجعلتهُ تحفةً مني الى

اولي الالباب ، وهو على سبعة ابواب ، تفاؤلًا ان يكون الثامن هو باب الفتح لجنّة الهداية والاقتراب ، على كل من طالعهُ بالقبول وسلك فيه طريق الآداب ، وقد كنتُ اردتُ ان اطيلهُ اكثر من ذلك ولكن خفت من لحوق السأمة والملل للاخوان والاصحاب . وقد سميتُهُ : الفتح الرباني والفيض الرحماني . واسأل الله تعالى ان ينفع به اهل العناية ، ويرشد بسببهِ ارباب الغواية ، وان يختم لنا ولاخواننا المسلمين بالحسنى لتلتحق النهاية والبداية ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وهو حسبي ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير .

والى القارئ الباب السادس :-

الباب السادس

في الايمان

نور هذا الوجود بالايمانِ ... لا بشمس ولا نجوم دواني
وبهِ الشمس والنجوم جميعاً ... مشرقات من رحمة الرحمان
ولهذا الكون لا يعتريها ... قط الّا عن غفلةٍ وتوان
اي قلب من القلوب تجلّى ... فيه ربي بغير ما ايمان
وعلوم الجميع علوًا وسفلًا ... واردات عن ورده كالزمان
فلك الماء والتراب مضيء ... بضياء الايمان في كل آن
وبه لم يزل يدور ويبدي ... صورًا بابتداعهِ ومعاني
امن الكل من قليٍّ وبادٍ ... عندما امنوا وهم في تدان
ولهم خلقة المهيمن جاءت ... ثم فازوا من سلبها بالامانِ
فتراهم بها يميلون زهوًا ... بين نيل المراد والحرمانِ
وعلى كل حالةٍ هو اولى ... بالذي جاء منهُ للاكوان
وهي ايمانه بهم فلهذا ... مؤمنٌ جاء عنهُ في القرآنِ
والمواليد معدنٌ ونباتٌ ... ثم حيوانها مع الانسان
وكذاك الاباء مع امهاتٍ ... كلهم في غدٍ من الحيوانِ

مؤمنات جميعها باله واحد ما له كما قال ثاني
ولهذا تأتي غدًا شاهدات مثل ما جاء في حديث الاذان
وشروط الشهادة الآن فيها ثبتت بالدليل والبرهان
حيث عنها الاله اخبر بالتسبيح والنطق والغنا في العيان
فتحقق بكل ما قلت وافهم تلو اب الكمال والايقان

اعلم ان الايمان من اشرف الصفات واعلاها وافخر الخصال واغلاها ، وهو من صفات الله تعالى كما ورد في القرآن العظيم ، ان من اوصافه تعالى المؤمن ومعناهُ المصدّق بان جميع ما يظهرهُ من العدم الى الوجود من مخلوقاته موجود عندهُ في حضرة العلم لا ينقص من ذلك شيء ولا يزداد ولهذا نقول: انه تعالى علم نفسه فعلم العالم وحقيقة ايمان سبحانه وتعالى ح علمه بعلمه فالايمان قديم ح باعتبار انهُ صفة لله تعالى كالعلم القديم . واما ايمان الانسان والملك وبقية العالم فهو صفة حادثة من غير اشكال حدثت بحدوث المؤمنين لا يتصور ان تكون قديمة ويكون المتصف بها حادثاً ، فان الاصل اذا كان حادثاً يكون الفرع حادثاً بالاولى ، اذ لا يتصور ان يتصف الحادث بقديم كما لا يتصور ان يتصف القديم بحادث ، فمن سأل عن الايمان ح هل هو قديم او حادث يُقال لهُ هذا اللفظ ينطلق على معنيين مختلفين لا يشبه احدهما الآخر ولا بوجهٍ من الوجوه . المعنى الاول تصديق الله تعالى بذاته وصفاته وافعاله وبفضلاته ، وهذا المعنى قديم لا يتصور ان يكون حادثاً البتة . والمعنى الثاني تصديق المخلوقات بذاته تعالى وبصفاته وبافعاله وبفضلاته ، وهذا المعنى حادث باحداث الله تعالى ذلك في المخلوقات ، لا يتصور ان يكون قديماً البتة . فايما اردت في سؤالك عن الايمان اجبناك به ولا نطلق لك الجواب فنقول قديم او حادث لان في موضع التفصيل خطأ ، وايمان الله تعالى بجميع ما امن به من الاشياء في الازل ايمان سمع ورويّة واحاطة على السواء . واما ايماننا بجميع ذلك فهو ايمانٌ بالغيب ، حتى ان شهودنا لتجلياته تعالى ايمان بها بالغيب ، باعتبار انها تمثل لعقولنا بضربٍ من التجليات ايضاً ، فشهودنا للتجلّي تجلّي آخر ، لا عين التجلّي الاول ، ولا مماثل التجلّي الاول ، وذلك لان الله تعالى ما تجلّى لشيئين في آنٍ واحد مرتين

ولا لشيء واحد مرّة في آنين ، بل بكل آن له تجلٍّ خاص في كل شيء خاص ، وايماننا بالاشياء المحسوسة والمعقولة بضرب من التمثيل ايضاً فانها لولا ان الله تعالى يمثّلها لعقولنا عند مماطاة اسبابها لما ادركناها ، فالبصر مثلاً وارادته نحو الشيء سبب لتمثيل الله تعالى ذلك الشيء في عقولنا حتى ندركهُ ، وكذلك السمع وانصاتهُ سببٌ لتصوير الله تعالى صورة ذلك الصوت مع معناه في العقل حتى ندركهُ ، وهكذا جميع المحسوسات وكذلك جميع المعقولات ، لولا ان الله تعالى يصوّر صورة ذلك الشيء في عقلنا عند جولان القوّة المفكرة في مقدّم الدماغ ثم يخلق لنا ادراكهُ كما ادركناهُ البتّة ، فحقائق ذوات المحسوسات والمعقولات كلها ح انما ادركنا امثالها المخلوقة فينا فلم يتجاوز ادراكنا لانفسنا على ادراكنا للاشياء بواسطة امثالها التي صوّرها الله تعالى في عقولنا فادركنا الشيء بمثلهِ ، ولهذا لم ندرك ذاتهُ تعالى ولا صفة من صفاته لانه لا مثلَ لهُ ولا مثل لصفةٍ من صفاتهِ جلَّ وعلا ، وهذه حكمة عدم ادراكنا لله تعالى وعدم ادراكنا لصفةٍ من صفاتهِ ، فايماننا بجميع المحسوسات والمعقولات في الحقيقة ايمانٌ بالغيب بواسطة امثالها التي صوّرها الله تعالى لنا في عقولنا فادركنا الشيء بمثلهِ ، لان كل شيء لهُ مثلٌ إلّا الله تعالى وصفاتهُ ، لانه لا مثل لهُ ولا مثل لصفة من صفاتهِ ، لانّا لا ندرك الشيء إلّا بالمثل الذي يصورهُ الله تعالى فينا ، فبالضرورة ان ما لا مثل لهُ لا يُدرك ابدًا

واعلم ان الايمان لهُ حقيقة ولهُ صورة ولهُ احوال ولهُ مقامات ولهُ منازل ولهُ اقسام ولهُ ثمرات ، لا بدَّ من بيان ذلك كلهِ فاقول بمعونة الفتّاح العليم : أمّا حقيقة الايمان فهي التصديق وضدّهُ الجحود والتكذيب ، يقال صدّق بالخبر اذا نسب قائلهُ الى الصدق ، وهو مطابقة الخبر للواقع ، فمن صدّق بجميع ما اخبر بهِ محمد صلّى الله عليه وسلّم فقد نسب اخبارهُ الى الصدق ، يعني الى كونها مطابقة لما هو في حقيقة الامر ، وضدّهُ التكذيب وهو نسبة الخبر الى الكذب وهو عدم المطابقة للواقع ، فعلى هذا الايمان والكفر انما يقالان في مقابلة الخبر . يُقال آمن بكذا او كفر بهِ اذا كان خبر الانشاء ، ويكون الايمان بجميع الانشاءات الالهية التي هي الاوامر والنواهي راجعاً الى الايمان

بالله تعالى ونواهيه قطعاً من غير شبهة، لان مضموناتها ليست اخباراً حتى يتصور الايمان بها بل من انشاءات تطلب بها افعال مخصوصة يعود نفعها على المكلف بها. ولهذا نقول: ان من ترك امتثال الاوامر والنواهي جميعها مع تصديقه بانها اوامر الله تعالى ونواهيه، ليس بكافر بل هو عاصٍ، فان كذب بشيء منها فقد كفر البتة، على ان الايمان بالله هو التصديق، وعلى معنى التصديق انه نسبة الخبر الى الصدق لا انه التصور مع الحكم، لان بعض ما يجب الايمان به لا يمكن تصورهُ بوجهٍ من الوجوه البتة لذات الله تعالى وصفاته العليا، وليس المراد بالتصديق حيث فسرنا بهِ الايمان التصور مع الحكم، لان بعض ما يجب الايمان بهِ لا يمكن تصورهُ بوجهٍ من الوجوه البتّة كذات الله تعالى وصفاتهِ، فيلزم ان لا يمكن التصديق بهِ، لان الحكم فرع التصور بل المراد ما ذكرنا، ان التصديق نسبة الخبر الى الصدق. فالتصديق بالله تعالى نسبة الخبر الثابت عند العقل بوجود الله تعالى المنزّه الى الصدق، وكذلك التصديق بصفاتهِ وبانبيائهِ وبجميع ما أخبرَ به عن ذاته تعالى سواء عَقلنا مثلهُ او لم نعقل، فتصور الشيء ح ليس بشرط الايمان بهِ اي التصديق بمعنى نسبة مخبرهِ الى الصدق.

واما صورة الايمان فهي على قسمين. صورة باطنية وهي الاذعان لذلك الشيء الذي صدّق به والاستسلام والانقياد بقلبهِ. وصورة ظاهرية وهي العلم بموجب ذلك بالجوارح، وهاتان الصورتان هما صورتا تلك الحقيقة الايمانية حتى لا تكون ثابتة بدونهما عند من جعل العمل من الايمان، والصواب ان الصورة الباطنية كافية في ثبوت حقيقة الايمان، فاذا زالت زالت حقيقة الايمان، اذ كل حقيقة لا بدَّ لها من صورة، والتصديق بغير اذعان لا يكون البتة، بخلاف الصورة الظاهرة فانها لا تتوقف عليها تلك الحقيقة بل توجد بدونها. قال الله تعالى: فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يرهُ ومن يعمل مثقال ذرّة شراً يرهُ، فالايمان خير والمعصية شرّ، فلا بدّ من رؤية كلّ منهما، فلو كان العمل شرطاً في ثبوت حقيقة الايمان لكانت المعصية تنافيه فلا يرى خيره وليس الامر كذلك.

وصل

في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ونحو ذلك من الاخبار الدالة على ان امتثال الامر واجتناب النهي من الايمان .

اعلم ان اسم الايمان ينطلق على معنيين : ايمان توقيف وايمان توفيق . وايمان التوقيف قسمان ، توقيف الجنس كايمان المقلدين الجازمين المطابقين ، وتوقيف غير الجنس كايمان اهل النظر الذين اخذوا ايمانهم من الادلة والبراهين العقلية ، وهذان القسمان ايمانهم ايمان العامة . غير ان القسم الاول مختلف فيه ، والقسمان تقليد محض في حقيقة الامر لمن لا يصلح تقليده من غير معصوم من نظر عقل يمكن عليه الخطأ وناظر مشغوف بمعارات الافكار . واما ايمان التوفيق ، فهو ايمان اهل الكشف والعيان المتلقين ذلك من حضرة الرحمان استتاجاً من الاعمال الصالحة المرضية الخالية من البدع . وهذا الايمان هو المراد بقول النبي صلى الله عليه وسلم : لا يزني الزاني ، وهو مؤمن ايمان كشف وعيان بل ينحجب في وقت المعصية فيمتنع عليه الشهود ويقع في الغفلة ، حتى اذا انقضت المعصية رُدّ عليه كشفه وعيانه فرجع اليه ايمانهُ فيرى قبح الذنب فيندم ويستغفر . وهكذا كلما وقع في معصية . وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم كما لا ينفع مع الشرك شيء كذلك لا يضرُّ مع الايمان شيء . خرّجهُ الاسيوطي رحمه الله تعالى ، في الجامع الصغير . والمراد بالايمان الكامل الحقيقي كما ذكرنا .

وصل

ليس من شرط صاحب الايمان الكامل الحقيقي اجتناب الذنوب والمعاصي والا لثبتت العصمة لهُ ، والعصمة ليست ثابتة الا للنبي او مَلَك واصحاب الايمان الكامل محفوظون لا معصومون ومعنى الحفظ ان لا يضرّهم ذنب ابداً ، لا معنى الحفظ ان لا يصدر منهم ذنب ، فان ذلك معنى العصمة لا الحفظ . ارأيتَ قوله تعالى : ان الله يحب التوابين ، والتوّابُ الكثير التوبة ، والكثير التوبة كثير الذنوب فاوجب كثرة الذنب محبة الله تعالى على حسب ما ذكرنا في اهل الشهود ، فانهم اذا رجعوا الى شهودهم بعد غفلتهم وانحجابهم في

المعصية لا بدّ ان يندموا ويستغفروا قطعاً من غير شبهة فيحفظهم الله تعالى بذلك من شؤم المعصية ، فهم محفوظون لا معصومون بخلاف اهل الغفلة من العامة كملا. الافكار وتحوهم ، فانهم اذا وقعوا في المعصية ازداد حجابهم وكثرة غفلتهم وليس لهم حال شهود يرجعون اليه ليروا فيه قبح الذنب ، فربما يوفقون للتوبة بعد حين وربما لا يوفقون فيأخذون بذنوبهم وتوبتهم سيآتهم . ومما يؤيد ما ذكرناهُ قولهُ عليه الصلاة والسلام : خياركم كل مفتن توّاب ، كما خرّجه الاسيوطي رحمه الله تعالى ، في جامعه الصغير .

ولا شك ان اصحاب الايمان الكامل الحقيقي هم خيارنا من غير شبهة ، فلا يشترط فيهم الحفظ من اتيان الذنوب ، وانما يحفظون من شؤمها وضررها . وقد ذكر قدوة اهل التحقيق الشيخ محيي الدين ابن العربي ، في كتاب المحكم المربوط فيما يلزم اهل طريق الله من الشروط قال : ويجب على المريد ان يعتقد في شيخه انه عالم بالله ، ناصحٌ لخلق الله ، ولا ينبغي لهُ ان يعتقد في شيخه العصمة في احواله ، وكيف ينبغي ان يعتقد ذلك وقد سمع الله يقول : وعصى آدم ربّهُ فغوى . وقد قال بعض السادة : وقيل لهُ أيعصي العارف . فقال : وكان قدر الله قدراً مقدوراً . وصحب تلميذٌ شيخاً فرآه يوماً قد زنى بامرأة فلم يتغيّر في خدمته ولا اختل في شيء من مرسومات شيخه ، ولا ظهر منهُ نقص في احترامه . وقد عرف الشيخ انه رآه . فقال له يوماً : يا بني عرفتُ انك رأيتني حين فعلتُ بتلك المرأة ، وكنتُ انتظر نفارك عني من اجل ذلك . فقال له التلميذ : يا سيدي ، الانسان متعرّض لمجاري اقدار الله عليه ، واني من الوقت الذي دخلتُ الى خدمتك ما خدمتُك على انك معصوم ، وانما خدمتُك على انك عارف بطريق الله ، عارف بكيفية السلوك عليه الذي هو طلبي ، وكونك تعصي شيء بينك وبين الله تعالى ، لا يرجع علي من ذلك شيء . فما وقع يا سيدي منك شيء يوجب نفاري وزوالي منك ، وهذا هو عقدي . فقال لهُ الشيخ : وفّقت وسعدتَ ، وهكذا هكذا والا فلا لا . ويرع ذلك التلميذ بعد ذلك وجا منه ما تقرُّ العين به من حسن الحال وعلوّ المقام . انتهى .

واما ما يحتج به بعض اهل الرسوم من قول ابي يزيد البسطامي رضي الله عنه : اذا نظرتم الى احد تربع في الهوى فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدون هذا الامر والنهي. فليس معناه حتى تجدوه معصوماً ، او حتى تجدوه محفوظاً من الوقوع في المعاصي والذنوب ، وانما معناه حتى تجدوه يترك الامر ويفعل النهي مصراً على ذلك من غير توبة . والاصرار امرٌ خفيٌ لا يحكم به بمجرد المداومة على فعل المعصية ما لم يطلع على النيّة والقصد ، فقد يفعل الانسان المعصية في اليوم الواحد الف مرّة ويتوب منها في كل مرّة ، فلا يكون مصراً عليها وقد يفعلها في السنة مرّة وهو مصرٌ عليها . ومن العجائب ان الذي يحتج بقول ابي يزيد هذا بحسب غرضه في انكار احوال معاصريه من اهل الله تعالى ، يعرضُ عن قول ابي يزيد ايضاً : ما في الجبة الا الله ، ونحو ذلك من مقالاته التي ينكرها هذا القائل ويعترض فيها على ابي يزيد من جهله بكلام اهل طريق الله تعالى . وقد ثبت ذلك عن ابي يزيد ولهُ معنى صحيح يذوقهُ اهل الله تعالى في ساعة غيبتهم عن الاكوان ، وربما يقال وهو الاقرب ، ان معنى قول ابي يزيد ذلك : انكم اذا رأيتم رجلاً تربع في الهوى فلا تغتروا به ، وقولوا لو كان ولياً لله تعالى كما يزعم لما كان جاهلاً بشيء من امره ونهيه ، لما كان جاهلاً بمعاني صفات ربه واعيانه ، لما كان جاهلاً بمعاني التجليات الالهية ، لما كان جاهلاً باطوار الولاية والنبوّة والرسالة ، لما كان جاهلاً بحقائق الكائنات الملكية والملكوتية اذا ظهر لكم جهله بشيء من ذلك ، وقولوا لو كان ولياً لله تعالى لما كان منكراً شريعة نبي من الانبياء عليهم السلام ، لما كان كافراً بربه جاحداً لشيء مما يجب الايمان به ، لما كان مجسماً في اعتقاده بربه ، لما كان مشبهاً لله تعالى ، لما كان يعتقد في الله تعالى مكاناً او جهةً او كل مكان او كل جهة او حلولاً او انحلالاً او اتحاداً ، اذا ثبت شيء من ذلك عندكم انه يعتقده وليس لهُ تأويل البتة ولو الى سبعين وجهاً فحينئذ لا تغتروا به ، وستروا ما رأيتم منهُ استدراجاً كما يصدر من بعض الرهبان الكافرين بالله تعالى ، المنكرين نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم ، المكذبين بالقرآن العظيم من الامور الخارقة للعادة كالطيران في

الهواء بسبب كثرة الرياضة والدخول في عالم الصفاء الذي هو اكشف حجاب عن الله تعالى من عالم الكدر من ذلكَ اهل طريق الله تعالى ، ولا تقولوا لمن رأيتموهُ يعصي الله تعالى بفعل كبيرة او صغيرة مع ثبوت التصديق في قلبه بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وبجميع ما جاء بهِ عن الله تعالى معترفاً ذلك بلسانه ، لو كان هذا ولياً لله تعالى لما عصى ربه كيف وقد سمعتم الله يقول : وعصى ادم ربه فغوى ، فاتقوا الله في اهل طريقه ولا تحاربوا لهُ ولياً ، فانه ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، عن الله تعالى : من عادى لي ولياً فقد اذنته بالحرب ، اي اعلمته اني محارب له ، ومن حاربه الله تعالى فهو هالك في الدنيا والآخرة ، وهذا مقدار ما يجب علي في نصيحتكم ، واعملوا على ذلك ترشدوا ان شاء الله تعالى .

وأما احوال الايمان فالاشتياق الى الله تعالى ومحبة لقائهِ ومحبة كلامه القديم ومحبة انبيائهِ عليهم السلام ومحبة المحافظة على اوامر الشريعة ونواهيها والحزن عند انتهاك حرمة من حرمات الله تعالى ، والخوف من الله تعالى والرجاء منهُ ورؤية التقصير من نفسهِ في اداء حقوق مولاه وان اتى بعمل الثقلين لما يشاهد من عظمة المعبود واليأس من تأثير غير الله تعالى في نفع او ضرر ومدافعة الله تعالى عنهُ ونصرة الله لهُ ، الى غير ذلك . فأمَّا الاشتياق الى الله تعالى فهو أمرٌ يجيدهُ المومن في قلبه احياناً فتهمّ روحهُ بالخروج فيمنعها هذا الجسم الذي هو سجنها في عالم التكليف لاخراج ما في خزانتها من الاعمال المودعة لله تعالى من خير وشرّ حتى يفرغ ما فيها ، ولهذا كان بعض الصوفية اذا اخذهُ هذا الحال ، يعني حال الشوق الشديد المزعج المنبعث من مقام التنزيه التام يصرخ ويدور في الحلقة ويتواجد ولا يكاد يضبط نفسه من زيادة الحنين الروحاني الى حضرة المستوى الرحماني . وقد روي عن مالك ابن انس رضي الله عنه انه سُئل عن هؤلاء المتواجدين فقال دعهم يفرحوا بربهم ، وكذلك نقول في اهل التواجد الصحيح . وأما ما يفعله الجهلة بالله تعالى وبصفاتهِ وبرسله وبانبيائهِ وبشرائعهِ ممن ينتسب الى الصوفية وهم بعد لم يصحّ ايمانهم فلو فتشتهم وجدتهم يعتقدون في الله تجسيماً او تشبيهاً او جهةً او مكاناً وربما يصرّحون

بذلك اعتقاداً منهم ان ذلك محض الايمان لكمال جهلهم بالله تعالى ، فانهم يفعلون من الرقص والتواجد شيء ممنوع منه شرعاً لعدم صحته لهم في معرفة الله تعالى واصحاب الحال الصحيح لا يقومون للتواجد الا عن ضرورة وغلبة حال فيُعذرون في ذلك ويقرُّون على ذلك ان فعلوهُ في الزوايا او في البيوت او في المساجد او في اي مكان كان ، لان ذلك عبادة الارواح عند وصولها الى حضرات التجلي اندهاشاً وتحيراً مما ترى ، وهذا لا يعتري في الغالب إلّا اصحاب البداية وأما الراسخون في العلم فهم اهل تمكين لا تلوين فلا يعتريهم شيء من ذلك ، وأمّا محبة لقاء الله تعالى فهو حال يعتري المؤمن احياناً ولا يلزم ان يدوم له ، فان بعض الانبياء كره الموت . قال الشاعر :

وخوف الردى آوى الى الكهف اهلهُ وعلّم نوحاً وابنهُ عملَ السفن
وما استعذبتهُ روح موسى وآدم وقد وعدا من بعده جنتي عدن

ومتى اعترى مؤمناً هذه الحال كان دليلاً على ان الله تعالى أحبَّ لقاءهُ كما ورد في الحديث : ان من أحبَّ لقاء الله تعالى أحبَّ اللهُ لقاءهُ ، فكان ذلك من الله تعالى نظير اشتياق العبد الى ربه ، فان المحبة يتبعها الشوق من الجانبين . قال تعالى : يحبهم ويحبونهُ ولهذا قال تعالى في حق الكفار : ولتجدنهم احرص الناس على حياة ، وذلك لان الله تعالى لا يحبُّ لقاءهم فلهذا لا يحبّون لقاءهُ . وقد بيّن الله تعالى لنا سبب ذلك منهم بقوله : ولن يتمنوهُ ابداً بما قدّمت ايديهم ، فعلمنا ان سبب عدم محبتهم لقاء الله تعالى ، كثرة ما يعلمون من مخالفة الله تعالى في عصيان رسله عليهم السلام والتكذيب بهم . وأمّا المؤمنون اذا كرهوا الموت في بعض احوالهم فان ذلك طمع منهم في ارشاد الناس الى الله تعالى وفي اطالة خدمته تعالى في الارض ، لا بسبب ما يقترفون من الذنوب ، لان التوبة تصحبهم في جميع شؤونهم واعمال الخير المكفرات للذنوب . فقل ان يباتوا مصرّين على شيء من الذنوب عملاً بقوله تعالى : وتوبوا الى الله جميعاً ايها المؤمنون لعلكم تفلحون .

وأمّا محبة كلامه القديم فهي حال تعتري المؤمن في بعض اطواره اذا انفتحت بصيرته لشيء من لطائف معانيه فيكاد يأكل اوراق المصحف من

شدّة الشوق والانزعاج ، ويكاد يختطف الفاظ التالي من حرصه على المعاني القرآنية . واما البكاء عند التلاوة والسماع فهو اقلّ حال من احوال المؤمنين ، والمعتبر في ذلك بكاء المحبة والشوق والهيبة والخشوع لا بكاء الخوف والرجاء فان ذلك من حظوظ النفس . قال تعالى : الم يأن الذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق . وهذه الآية صريحة في صحة احوال المؤمنين التي هي خارجة عن بقايا الانفس .

واما محبة انبيائه عليهم السلام ، فهي الحالة الصحيحة الدالة على قوة الايمان كما ورد في الحديث . قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : لن يكمل ايمان احدكم حتى اكون أحبّ اليه من نفسه وولده والناس اجمعين . والمراد بهذه المحبة وجدانها في القلب حتى تكون دليلًا على كمال حال الايمان ، لا التكليف لها بحمل القلب عليها ، ومن منّة الله تعالى على كل مؤمن ان تحدثه نفسه انه لو كان حيًّا في زمان النبيّ صلى الله عليه وسلم لفداه من كل ما يؤذيه بروحه وبدنه وماله وولده والناس اجمعين محبةً فيه صلى الله عليه وسلم ومن محبته صلى الله عليه وسلم يتوصل المؤمن الى محبة جميع الانبياء الماضين لانه صلى الله عليه وسلم جاءنا بشرح احوالهم كما كانوا عليها من غير زيادة ولا نقص ، فيجد المؤمن محبتهم في قلبه من غير تكلف المحبة التامة . قال الشاعر :

سمعتُ اوصافك الحسنى فهمتُ بها والأذن تعشق قبل العين احيانا

والسرّ في ذلك انهم كانوا عليهم السلام ، مظاهر امر الله تعالى في عالمنا هذا من التجلي الجمالي فهم محبوبون لكل مؤمن أحب الله تعالى ، ويلزم من محبتهم محبة الصالحين من امتهم الذين صدقوا في جميع ما جاءوا به من عند الله تعالى . قال الشاعر :

أمرّ على الديار ديار ليلى أُقبّلُ ذا الجدارا وذا الجدارا
وما حبّ الديار أهاج شوقي ولكن حبّ من سكن الديارا

ومن احوال المؤمنين ايضاً في مقابلة ذلك بغض الكافرين بالله تعالى والمدّعين للالوهية كفرعون ونمرود واتباعهم ، وكذلك كل كافر الى يوم القيامة لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حاد الله ورسوله الآية .

وهـذا البغض على مقدار محبة الانبياء والصالحين ، فـان كانت هذه المحبة كثيرة كان ذلك البغض كثيراً وان قلّت قلّ هذا البغض طرداً وعكساً . والسرُّ في ذلك ان هؤلاء الكفار المكذبين بانبياء الله تعالى مظاهر الله تعالى ايضاً في عالمنا هذا لكن من التجلي الجلالي فهم مبغوضون لله تعالى ، كما ان اصحاب التجلي الجمالي محبوبون لله تعالى ، ولا يكمل العارف حتى تتمّ فيـه الصورة الالهية فيحبّ من أحبّ الله ويبغض من ابغضه الله وجداناً روحانياً لا تكلُّف فيه ، كما قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : قل ما اسألكم عليه من أجر وما انا من المتكلفين . وكل من احبّ كافراً فان ذلك لنقصٌ في ايمانه اذا فتّش نفسه وانصف حاله وجد ذلك بغير شبهة .

وأما محبة المحافظة على اوامر الشريعـة ونواهيها فهيَ من احوال المؤمن اللازمة له سواء وفّقه الله تعالى للعمل بموجب تلك الاوامر واجتناب النواهي او لم يوفّق لذلك ، أو وفق للبعض دون البعض فلا يزال يحب حالة الموافقة التامة ويُقبل عليها حتى يصادفها ان شاء الله تعالى .

وأمّا الحزن عند انتهاك حرمة من حرمات الله تعالى فهو امرٌ وجداني يجده المؤمن في نفسه لعظم شأن الدين المحمدي عنده . قال تعالى ذلك ومن يعظّم شعائر الله فانها من تقوى القلوب ، وهي جميع شعيرة بمعنى مشعرة من الشعور وهي العلم ، اي معالم الله التي تدلُّ عليه وتعلمنا به ، وهي احكامهُ من الامر والنهي ، فترى المؤمن يحزن عند صدور المخالفة ولو صدرت منه ويداخله الغمّ الشديد من اجلها بغضاً فيما يبغضه الله تعالى .

وأمّا الخوف من الله تعالى فهو خوف الاجلال والعظمة والهيبة . قال تعالى: وخافوني ان كنتم مؤمنين . ولم يرد عن الله تعالى انه امر بالخوف من النار، وانما امرنا بالخوف منه لا من النار ، ولكن قال تعالى : فـاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة ، وتقوى الشيء التحرّز منه بجانبة اسبابه . ومن قال لا اخاف النار ولكن اخاف الله فهو من المحققين في مقـام التوحيد ، وذلك لان النار لا أثر لها في ايلام احدٍ من اهلها ولكن التأثير لله تعالى عنـد النار لا بها ، والمؤلِم في الحقيقة هو الله تعالى بعد تجلّيه في صورة النار، فالنار صورة

والتألم بها صورة مثلها ؛ وكذلك الألم صورة ثالثة . والمقصود بهذه الصور الثلاث واحد لا تقيده هذه الصور الثلاث لانه لا صورة له في ذاتـه ، وان كانت الصور كلها له عندنا ، فافهم الاسرار تكن من اولي الابصار .

وأمّا الرجاء منهُ تعالى فمن احوال المؤمن لتحققه بنهاية فقره واحتياجه في كل جزء لا يتجزّى من الزمان الى من يحفظ عليه وجودهُ وايمانـه وعقله وحواسه وصحته وانفـاسه وتدبيره في شؤونه كلها في اطواره كلها في عوالمه كلها ، وليس ذلك الّا الله تعالى ، وكلما كثر اطلاعه على احتياجه اليه كثر رجاؤهُ فيه وطمعهُ فيما لديه . وأمّا رزية التقصير من نفسه على كل حال فلمـا يشاهدهُ من عظمة الله تعالى وجلال شأنه . قال تعالى : وما قدروا الله حق قدره . وهذا المشهد اذا أقيم في العبد صغرت في عينه ملوك الارض بل جميع العوالم حتى يصير لا يعظم ما وجب عليه تعظيمه واحـترامه من العوالم الا امتثالاً لامر هذا العظيم الذي اوجب عليه ذلك ، ولولا انه اوجب ذلك عليه ما عظّم ولا احترم شيئاً من ذلك لتحققه بانـه رابح الجميع تحت سطوة قهر سلطانه تعالى ، حتى لا يكاد يكون لشيء من الاشياء وجود البتّة مع هيبة جلاله تعالى . ومن اعترض على الشاعر في قوله :

أيّ عظيم أتقي ايّ مكان ارتقي
وكلُّ مـا قد خلق الله ومـا لم يخلق
محتقرٌ في همـتي كشعرة في مفرقي

فقال عنهُ قد اساء الادب باحتقاره من وجب تعظيمـه من الانبياء والملائكة عليهم السلام ، نقولُ له : ولو اراد لقال كل من ، ولم يقل كل ما ، لان من لمن يعقل ، وما لمن لا يعقل . ومما يُحكى عن ابي الحسن الدينوري رحمه الله تعالى ، انه وقف ليلةً كاملة بعد احرامه بالصلاة على رؤوس اصابعه فسأله من حضرهُ عن سبب ذلك فقال : طافت روحي السماوات والارضين والجنة والنار . وقيل لي هل اعجبك شيء . فقلتُ : لا . فقال لي ح انت عبدي حقاً . ثمّ ان صاحب هذه الشهود على مقدار معرفته بعظمة الله تعالى من حيث تجلّيـه تعالى في جميع الاشياء تصغر عنـه الاشياء كلها من حيث هي اشياء لا من

حيث هي مظاهر الحق ومجاليه عنده فتراه يعظم الشيء من حيثية ويحتقره من حيثية اخرى ، فالاشياء مجالي الحق تعالى عند اصحاب البصائر فهي معظمة مبجلة وهي بعينها حجبه عند العوام فهي محتقرة مستنقصة وهي عندهم اغيار وعند اصحاب البصائر اعيان ، والاغيار بمنزلة الثياب عليها تنتزع عنها في وقت الشهود . وصاحب الحال انما يحتقر جميع الاشياء بعد لبسها تلك الثياب فاذا نزعتها عظمها واحترمها ، واما صاحب المقام فهو يحترمها دائماً اذ الثياب في عينه تشف عما تحتها ، وأما العامة فهم يعظمونها دائماً اذ نظرهم الى الثياب الظاهرة فقط .

وصل

قال تعالى : وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين ، والولاية هي تنفيذ القول على الغير شاء او أبى،ولهذا الظالمون بعضهم اولياء بعض،لان بعضهم تنفذ فيه اقوال بعضهم ويأمر بعضهم بعضاً وينهى بعضهم بعضاً اذ لا يعرفون الذي يأمر وينهى منهم من حيثية ان له الولاية عليهم ينفذ قوله فيهم، وانما يعرفونه من حيثية ظهور الامر والنهي منه وصدورهما عنه وأما المتقون الذين جعلوا الله وقاية من نسبة الامر والنهي الى غيره فتوقوا به عن غيره فلا غير عندهم في بصائرهم فان الله وليهم ولهذا قال الله : ولي الذين آمنوا .يعني بانه هو لا غيره يخرجهم من الظلمات يعني ظلمات الاغيار وهي كثيرة كما قال ظلمات بعضها فوق بعض الى النور وهو واحد وهو النور الحقيقي الذي هو نور السماوات والارض . الآية .

وأما اليأس من تأثير غير الله تعالى في نفع او ضرر والمراد من حيث انه غير . واما من حيث انه عين والغيرية ثوبه فهو المؤثر في العوالم في تلك الحضرات التي يقتضيها ذلك الثوب كالسكين مثلاً فان تأثيرها من حيث انها سكين محال ، لان السكينة غير ، وأما من حيث انها بيد الله تعالى داخلة تحت تصريف قدرته في حضرة القطع التي اقامها الله تعالى فيها فهي عينُ المؤثر الواحد والغيرية كالثوب الساتر لما وراءهُ . وعلى هذا جميع الاسباب الظاهرة والباطنة . قال الله تعالى : والله من ورائهم محيط.

وأما مدافعة الله تعالى عن المؤمن فهو من جملة احواله . قال تعالى : ان الله يدافع عن الذين آمنوا . وذلك لان الايمان هو شفوف ثوب عريته فلم يدافع الله تعالى الا عن نفسه ، بخلاف الكافرين فان الله تعالى لا يدافع عنهم ، لان الكفر هو الستر وقد ستروه عنهم بثوب غيريتهم فلم يشف ثوبهم عما وراءه فجهلوه في عين معرفتهم له ، وهذا من اعجب العجائب .

واما نصرة الله تعالى المؤمن فقد قال تعالى : انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويقوم يقوم الاشهاد الآية . فقد اثبت النصرة للمؤمنين في كلا العالمين ، عالم الدنيا وعالم الآخرة . والمراد النصرة على جميع الاعداء من النفس والهوى والشيطان والكافرين والملحدين والجاحدين والحاسدين والمبغضين ، وهذا في الدنيا . واما في الآخرة فالنصرة على الذنوب والآثام والحقوق والتبعات حتى انه تعالى يرضي عنهم خصامهم يوم القيامة ايضاً ويدخلون الجنة ببركة هذا الايمان فينصرهم على جميع ذلك حتى يلحقهم بانبيائهم في مقام الايمان ، وان فاتتهم الانبياء عليهم السلام بمقام النبوة ولهذا عطفهم عليهم في الآية . فكما ان الانبياء عليهم السلام ، لا يضرهم ذنب في الدنيا ولا في الآخرة فكذلك اصحاب هذا الايمان الكامل الحقيقي لا يضرهم ذنب في الدنيا ولا في الآخرة كما قدمنا . وهذا معنى الحفظ الذي نظيره العصمة في الانبياء والملائكة عليهم السلام .

وأما مقامات الايمان فهي كثيرة . منها مقام التوحيد ، ومقام الصبر ، ومقام التوكل ، ومقام الزهد ، ومقام الرضا ، ومقام الخشية ، ومقام الانابة ، ومقام الاعتصام ، ومقام الحياء ، ومقام المحبة ، ومقام الذل والافتقاد ، ومقام المناجاة في الاسحار ، وربما نبين ذلك في بعض مصنفاتنا ان شاء الله تعالى . فان هذا المختصر لا يسعه .

واما منازل الايمان فهي جميع جوارح العبد الظاهرة والباطنة واصلها القلب واول ما ينزل الايمان فيه ثم يتفرق منه في بقية الاعضاء ، وله في كل صورة جارحة مخصوصة لائقة بتلك الجارحة فيسمى فيها باسم خاص لا يسمى به في الجارحة الاخرى ، فهو في القلب تصديق ، وفي العقل اذعان وتسليم ، وفي

النفس طمأنينة وانقياد ، وفي العين نظرٌ الى بدائع صنع الله تعالى ، وفي الاذن سماع كلام الله تعالى وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم وكلام الصالحين من الأُمة ، وفي اليد تناول ما فيه من طاعة الله تعالى ، وفي الرجل المشي في مرضاة الله تعالى ، الى غير ذلك من الشعب الكثيرة المتشعبة من الاصل الذي في القلب . فمن اعتبر هذا أدخل العمل في مسمّى الايمان لانه صور الايمان اختلف باختلاف الاعضاء والجوارح . ومن نظر الى الاصل ولم يعتبر الصور الظاهرة لهذا الشيء الواحد وانما اعتبر ذلك الشيء الواحد فقط كابي حنيفة النعمان رحمه الله تعالى ومن تابعه لم يدخل العمل في مسمّى الايمان بناء على ان صور الشيء اذا زالت لا يلزم ان يزول الشيء بنفسه ، لان الصور عَرَض في الذات والذات ثابتة والصور تُخلع وتُلبس . ارأيت ان المكلف في غير اوقات العبادات اذا زالت عنه صور الايمان الظاهرة او في حالة النوم او الغفلة لا يزول عنه مسمّى الايمان ، بل ولو زالت عنه الصور الباطنة في حالة النوم والاغماء مثلاً فان حكم الايمان باقٍ ما لم تتبدّل صورة التصديق بالتكذيب وصورة الاذعان والتسليم بالعناد والمكابرة وصورة الطمأنينة بالزيغ والحيرة والشك فحينئذٍ يزول عنه الايمان ويوجد فيه الكفر والعياذ بالله .

وأمّا اقسام الايمان فثلاثة : كامل وناقص وما هو في حكم ذلك . أمّا الايمان الكامل فهو نورٌ يقع في القلب ويظهر شعاعه في العقل والحواس بحيث اذا عقل شيئاً أو احس بشيء باحد حواسه الخمسة ادرك حقيقة ذلك الشيء من حيث ملكوته ولم تحجبه صورته من حيث ملكه فهو مع الاشياء كلها من حيث هو عينٌ واحدة والاشياء كلها معه من حيث هي عيون كثيرة . قال تعالى : ومن يؤمن بالله يهتدِ قلبه ، يعني الى الحق في كل شيء ، وهذا الوعد من الله تعالى لا شبهة فيه فعلم ان من لم يهتدِ قلبه الى الحق في كل شيء بحيث لا يرى شيئاً ويرى الحق مع ذلك الشيء فهو دليل على انه لم يؤمن بالله بل امن بشيء آخر غير الله صوّره له عقله وخياله . فان الله تعالى لا يتعقل ولا يُتخيّل بل هو اعظم من ان يحيط به العقل والخيال .

وصل

في خبر السوداء والجواب عنه ، روى ابو حنيفة رضي الله عنه باسناده ، عن عطا ابن ابي رباح : ان رجالًا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثوه ان عبدالله ابن رواحة كانت له راعية تتعاهد غنمه وان امرها بتعاهد شاة من بين الغنم فتعاهدتها حتى سمنت الشاة واشتغلت الراعية ببعض الغنم فجاء الذئب فاختلس الشاة وقتلها ، فجاء عبدالله ابن رواحة وفقد الشاة فاخبرته الراعية بامرها فلطمها ثم ندم على ذلك ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم النبيّ ذلك وقال . ضربت مؤمنة . فقال : انها سوداء لا علم لها فارسل اليها صلى الله عليه وسلم فسألها اين الله . فقالت : في السماء قال : من انا قالت : رسول الله . قال : انها مؤمنة فاعتقها . انتهى . فهذا دليل من النبي صلى الله عليه وسلم ، انه لا بدّ من اعتقاد التنزيه في حق الله تعالى عن المكان حيث سألها بقوله اين الله مع علمه ان الله تعالى منزّه عن الاينية ليختبرها في ايمانها بالله تعالى هل ايمانها به صحيح موافق لما هو في حقيقة الامر ام غير صحيح ، بل هو مجرّد تشبيه وتجسيم كما يعتقده كثير من الناس . وكان يعلم النبيّ صلى الله عليه وسلم منها الايمان الصحيح قبل ذلك ، ولذلك عظم لطمها الذي لطمها مولاها وقال عنها قبل ان يراها انها مومنة ، ثم اراد النبيّ صلى الله عليه وسلم ان يري ذلك مولاها فارسل اليها وسألها كما يسأل الجنس عن الجنس مع علمه بكمال تنزيه الاله الزاماً لمولاها فيما قال عنها انها لا علم لها . وكان جوابها انها قالت في جواب قوله اين الله ، انه في السماء ، تريد انه في العلو والسمو والارتفاع عن ان تُدرك له أينية . فان الله تعالى خلق عالم الاجسام وخلق فيه سماء وارضاً ، كما خلق عالم الارواح وخلق فيه سماء وهي العقل وأرضاً وهي النفس . فلفظ السماء في الاصل اسم لسماء الارواح ، لان الارواح مخلوقة قبل الاجسام بألفي عام كما ورد في الحديث ، ثمّ انطلق لفظ السماء على هذه السماء المحسوسة سماء الاجسام ، لان عالم الاجسام خُلق مثالًا لعالم الارواح والمقصود ذلك العالم ، ولكن انما يفهم بهذا العالم . فالله تعالى فوق سماء الارواح ، يعني فوق العقول قال تعالى : أأمنتم من في السماء ان

يخسف بكم الارض . والمراد من في سماء العقول ، يعني فوقها ، كما قال في الآية الاخرى : يخافون ربهم من فوقهم . وهذه اينية الله تعالى انه فوق جميع ما تتخيله العقول . ولم يرد ان هذه السوداء اشارت بيدها او بشيء منها الى هذه السماء حتى تقول انها ارادت السماء المحسوسة لا سماء العقل .

وأما الايمان الناقص فهو التصديق المستند الى البراهين العقلية والحجج القطعية فهو تابعٌ لها بحيث لو طعن فيها طاعن دخل الطعن في ذلك التصديق المستند اليها ، وهو ايمان اهل النظر من اكابر علماء الرسوم ، كما يُحكى عن الامام فخر الدين الرازي : انه دخل عليه بعض تلامذته فوجده يبكي فسأله عن سبب ذلك . فقال : مسئلة اعتقد فيها من مدة كذا كذا سنة ظهر لي الآن فساد دليلها ، وانا اخاف ان تكون مسائلي كلها من هذا القبيل . فانظر انصافه رحمه الله تعالى مع غزارة علمه ، وتأمل اهمال علماء الرسوم شأنهم في تحصيل مقام الايمان الكامل مع انه كسبيٌ يحصل بمعاطاة اسبابه وازالة موانعه ، واسبابه الاعمال الصالحة لانه نتيجتها ، وموانعه الاخلاق الرديئة التي في النفوس كالرياء والسمعة والعُجب ونحو ذلك . ومما يعين على تحصيله صحبة اهله وخدمتهم واحترامهم والاخلاص في اعتقادهم والقطع بانهم آثار الالهية لا تأثير لهم البتة . قال تعالى : وجعلَ لكم مما خلق ظلالاً . وانما هم خزان الله تعالى في ارضه اودع فيهم اسراره ، وهو الذي يفتح ابوابهم بمفاتيح عنايته لمن شاء ويغلق ابوابهم عمن يشاء . ومما يعين على ذلك تعظيم مصنفات المشايخ ارباب السلوك ، كمصنفات قدوتنا العارف محيي الدين ابن العربي وامثاله من علماء الحقائق والاعتناء بها ومطالعتها بعد التأدب بالاحكام الشرعية ومعرفة ما لا بدَّ منها ، واستعمال الآداب الشرعية في فهم معاني تلك المصنفات ولا يعترض على شيء لم يفهمه منها ، ولكن ينسب التقصير اليه في عدم الاستعداد ويُحسن ظنه واعتقاده في المشايخ الائمة اصحاب الحقائق من المتقدمين والمتأخرين ، فان الله تعالى لا يخلي منهم زماناً من الازمنة الى يوم القيامة ، لانهم قائمون بعلم النبوّة المحمدية ، كما ان علماء الشريعة قائمون بعلم الرسالة المحمدية ولا يجوز لاحد ان يقول ان الارض تخلو

في زمن من الازمان من علماء الشريعة ، فكذلك لا يجوز ان يقول انها تخلو في زمن من الازمان من علماء الحقيقة ، لان كلا العلمين ورد عن محمد صلى الله عليه وسلم . ولا يلزم من عدم اطلاع الجهال على ذلك فقدُ ذلك من الارض، فان العالم بالشريعة ربما يكون بين الجهلة سنين ولا يلتفتون اليه ولا يعلمون به لانهماكهم فيما هم بصدده من اللهو والغرور وزخارف الدنيا ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . وقد كتبتُ في هذا المبحث رسالةً سميتها : « التنبيه من النوم في حكم واجبد القوم » لا يكمل الانسان الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم إلّا بالايمان بما فيها، كما لا يكمل لاحد الايمان بالله تعالى إلّا بالايمان بما شرحناه من تنزيه الله تعالى في ضمن كتابنا « الردّ المتين على منتقص العارف محيي الدين » . فطالع هذين الكتابين ترشد والله يتولّى هداك .

وأمّا ما هو في حكم ذلك . فهو الايمان الكامل والناقص في حال الغفلة والنوم والموت . أمّا حال الغفلة فصاحب الايمان الكامل فيها لا يُسمّى كافرًا، ولكن يقال كما ورد في الاحاديث ، لا ايمان له نحو قول النبيّ صلى الله عليه وسلم : لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن . كما ذكرنا ، يعني وهو مؤمن ايماناً كاملًا ايمان كشف وشهود تامين . وصاحب الايمان الكامل لا يخلو من الغفلة ولكن منهم مَن يومه وليله سواء ، ومنهم مَن يومه اطول من ليله ، ومنهم مَن ليله أطول من يومه . والويل كل الويل لمن عمره كلُّه ليل . قال الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه :

على نفسه فليبك من ضاع عمرهُ وليس له منها نصيبٌ ولا سهمُ

وليس منهم مَن عمره كله يوم لانه لا يكون في الدنيا . ومرادنا اصحاب الايمان الكامل في الدنيا لا في الآخرة ، فان الآخرة لا ليلَ فيها ، والليل من احكام الدنيا . وهذا النبيُّ صلى الله عليه وسلم يقول وهو اكمل الخلق ايماناً : انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم والليلة مئة مرّة .

وأمّا صاحب الايمان الناقص فهو في غفلة عن الله تعالى دائمًا ، وانما هو مستيقظ في بعض احيان للحجج والبراهين العقلية لا لله تعالى . وهذه يقظته التي هي اعلى احواله فهو في حالة غفلته غير مؤمن ايمان دليل وبرهان بل هو

مقلد في ايمانه لنفسه المستحضرة للدليل والبرهان في بعض الاحيان وايمان المقلد قد اختلف فيه العلماء ، والذي اذهبُ اليه ، صحّة ايمان المقلّد بشرط ان يكون جازماً قطعاً من غير تردُّد مطابقاً باعتقاده اعتقاد اهل السنّة والجماعة من غير تغيُّر . وأمّا اذا فقد الجزم والقطع وكان شاكّاً مترددّاً متحيراً فهو ليس بمؤمن اجماعاً . قال تعالى : ان يتبعون إلّا الظن . وان الظنّ لا يغني من الحق شيئاً ، وكذلك اذا كان اعتقاده الذي تلّد فيه غيره ليس مطابقاً لاعتقاد ذلك الغير . كمن يعتقد في الله تعالى جهةً او مكاناً او تجسيماً او تشبيهاً ويزعم انه يقلد بذلك اهل السنّة والجماعة ويعدّ نفسه من المسلمين الناجين عند الله تعالى ، هيهات هيهات فان النجاة منحصرةٌ في اعتقاد محمد صلى اللهُ عليه وسلم، واعتقاد اتباعه ، وهو لم يعتقد في الله إلّا ما هو متصف به سبحانه وتعالى . والله تعالى خالق الجهات كلها والاماكن كلها والصور كلها والتشابيه كلها والتخيلات كلها . قال تعالى : الله خالق كل شيء . فلو كان متصفاً بشيء منها فانه قبل ان يخلقها اين كان كان ولا شيء وهو الآن على ما عليه كان . وقال تعالى : ليس كمثله شيء وهو السميعُ البصير . فتيقّظ لما ذكرناهُ فانه نافعٌ جداً ، والله الهادي ولا ربّ غيره .

وأمّا في حالة النوم والموت ، فان المؤمن الكامل يبقى مؤمناً في حال نومه وموته ، بل ربما صفا ايمانه في حالة نومه وموته ، لتجرُّد روحانيته عن مقتضيات البشريّة وكدورتها فيعود الى فطرته التي فطرهُ الله تعالى عليها . ولهذا كانت الرؤيا المنامية من اجزاء النبوّة لان فيها صفاء الروحانية وحسبَ الموت كمالاً في ترقية المؤمن قوله عليه السلام : انكم لن تروا ربكم عزّ وجلّ حتى تموتوا . فكيف ينقص الايمان بالنوم والرؤيا فيه جزء من النبوّة ، كما روى البخاري في صحيحه في كتاب التعبير بسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : رؤيا المؤمن جزء من ستّة واربعين جزءاً من النبوّة . او ينقص بالموت ولا يرى المؤمن ربّه إلّا إذا مات ؟ فالنوم والموت على هذا من المكملات للمؤمن لا من المنقصات لايمانه . وكذلك في الايمان الناقص حالة النوم والموت اكمل من اليقظة لظهور سلطان الفطرة الاصلية فيها وخمود الموانع البشريّة .

وأمّا ثمرات الايمان فعلى قسمين : ثمرات تحصل للمؤمن في الدنيا ، وثمرات تحصل له في الآخرة . وأمّا التي تحصل في الدنيا فالطهارة من نجاسة الشرك. قال تعالى : انما المشركون نجس ، والمواظبة مع الله تعالى في المكالمة معه على الكشف والشهود في اهل الايمان الكامل وفي محبة تلاوة كلامه والاقبال على عبادته في اهل الايمان الناقص. قال تعالى : والذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً . ومن ذلك الكرامات والخوارق للعادات التي يكرّم الله تعالى بها من يشاء من عباده المؤمنين الاحياء او الاموات في الدار الدنيا بين يدي اعداء الله تعالى واصدقائه كما يُحكى عن بعضهم من المشي فوق الماء والطيران في الهواء واستحالة بعض الاحجار ذهباً ونحو ذلك. وامثال هذه الثمرات الدنيوية مما لا يُحصى كثرةً .

وأمّا التي تحصل للمؤمن في الآخرة فهي كثيرة ايضاً ، منها النجاة من عذاب النار ومن الخلود فيه بحيث ان حرّ النار يصير على صاحب الايمان الكامل اذا قدّر الله تعالى عليه الدخول فيه كحر الحمام كما ورد في الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انما حرّهم على أمتي كحرّ الحمام ، بل ورد ان عصاة المؤمنين يموتون في النار اذا دخلوا فلا يحسون بالالم حتى يعذّبوا بمقدار ذنوبهم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا أدخل الله الموحدين النار اماتهم فيها اماتةً فاذا اراد ان يخرجهم منها أمتهم ألم العذاب تلك الساعة . والحديثان في الجامع الصغير للسيوطي رحمه الله تعالى . ومنها ما أعدّه الله تعالى للمؤمنين في الجنة من النعيم الدائم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطرَ على قلب بشر . ومنها وهو اعظمها رؤية الله تعالى من الجنة على حسب ما هو عليه سبحانه وتعالى من التنزيه المطلق بلا كيف ولا كيفية ، وليس بينه وبين خلقه قربٌ ولا بعدٌ . الى غير ذلك من الثمرات التي لا تُحصى والفوائد العجيبة التي لا تُستقصى.

* * *

وجاء في آخر باب بيان الاحسان ، وهو الباب السابع والاخير من هذا الكتاب ، ما نصّه بحرفيته :

وقد وقف بنا جواد الفتوح في هذه الساحة التي بابها ان شاء الله تعالى لكل احد مفتوح وتمّ ما قصدناه في هذا المختصر من دهن ثمر التوفيق الذي هو من شجر طوبى معتصر ، والحمد لله على كل حال وصلى الله على سيدنا محمد وعلى جميع اصحابه وكل الآل وسلم تسليماً . قال مؤلفه رضي الله عنه وارضاه وجعل الجنة منقلبه ومثواه استاذنا وقدوتنا الى الله تعالى ، خاتمة المحققين الشيخ عبد الغني ابن النابلسي رحم الله روحه ونوّر ضريحه ، واعاد علينا وعلى المسلمين من بركاته وبركات علومه امين . وقد وافق الفراغ في صبيحة نهار الجمعة اواخر شعبان المبارك من شهور سنة خمس وثمانين والف من الهجرة النبوية على صاحبها الف تحية . وكان الفراغ من كتابة هذه الرسالة المباركة نهار الخميس ، الحادي عشر من شهر رجب الفرد سنة اربع وخمسين ومائة والف ، على يد العبد الفقير اسماعيل ابن خليفه الحموي الشامي ، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين امين امين امين .

شذرات

البويين الثوي للمعهد الفرنساوي في اثينة

احتفل في أثينة من ١٠ الى ١٧ ايلول ١٩٤٧ بمرور مائة سنة على انشاء المعهد الفرنسوي فيها . فكان ذلك شهادة على ما تكنه الامم من احترام للقيم الانسانية الباقية فوق المنافسات وتنازع المصالح والمبادىء التي تتقاسم عالمنا الحاضر . وقد اشتركت اليونان ، حكومةً وشعباً ، في انجاح هذا الاحتفال، على رغم المصاعب السياسية والاقتصادية. ذلك ان المعهد الفرنساوي في اثينة يحتل مركزاً مرموقاً في تاريخ الثقافة اليونانية المعاصرة . ويكفي ان نذكر، من اعماله المجيدة ، انه اخذ على عاتقه كشف الاكروپول الاثيني، ثم قام بالحفريات في مقادس الهيلينيين القدماء ديلوس ودلف ، هيكلا ابولون الشهيران.

ومما يزيد المعهد علوقاً بقلوب اليونانيين ان تاريخه مقترن بتاريخ استقلال بلادهم ، وأن تأسيسه كان من نتائج ذاك الاهتمام الذي كان يدفع بالكثيرين من رجال الادب والسياسة في فرنسة، منذ السنة ١٨٢٠ ، الى مساعدة اليونان في استعادة حريتهم والعمل على نهضتهم الجديدة . على ان قرار الملك لويس ـ فيليب بانشاء المعهد ، ومرسوم الملك أوتون بالموافقة عليه ، لم يصدرا الا في ١١ ايلول و٣ تشرين الثاني من السنة ١٨٤٦ ؛ بعد ان مهّدت لهما مساعٍ عديدة في تبادل النظر وإعداد الرأي العام العلمي . وكان في طليعة الساعين سانت بوف (Sainte - Beuve) ، وغيزو (Guizot) ، ولا سيما البارون پسكاتوري (Piscatory) احد المجاهدين في حرب الاستقلال الاولى سنة ١٨٢٥ ، ووزير فرنسة المفوّض في أثينة ، والكونت دي سالفاندي (de Salvandy) وزير المعارف العامة في باريس ؛ وقد عاونهما في ذلك شخصيّتان من اشهر العاملين على النهضة الهيلينية هما كولتيس (Colettis) الذي كان وزيراً مفوّضاً لليونان في باريس ثم صار رئيس الحكومة في أثينة ، واللغوي الشهير كورَيس (Coraïs) .

وسرعان ما اتخذ المعهد اتجاهه النهائي . فظهر لا مدرسةً تُلقى فيها العلوم على الطلاب ، بل مركزًا للتحريات العلمية والدراسات يقوم بها عدد من « الداخليين » ، حملة الشهادات العالية في الأدب ، او خريجي دار المعلمين العليا ، خائضين في موضوعات الآثار ، والرُّقم ، والتاريخ القديم . وهكذا تتطوّر النفحة الرومانطيقية التي أنشأت المعهد ، فيظهر قرار السنة ١٨٥٠ ، مؤيدًا هذا التطوّر ، معتبرًا المعهد مؤسسة للتحريات الاثرية تعدّ طلابها للتعليم العالي . ومن ثمّ فان حقّ الاشراف على اعماله يعود الى اكاديمية الرقم والآداب ، ويقول راوول - روشيت محدّدًا واجب طلّابه : « حوادث مدروسة حقّ الدرس ، ونصوص مفهومة حسنَ الفهم ، وآثار مراقبة كلّ المراقبة ؛ هو ما ينبغي ان يُطلب من اعضاء هذا المعهد ، أولى من ان نطلب صفحات مهارة تتلاعب فيها المخيّلة في أبجرة الجمالية . »[1]

ولا يسعنا المجال للتبسّط في تحقيق هذا المنهاج ، ولا لذكر ما آتاه من ثمار في تاريخ الهيلينية عامّةً ، ومظاهر مدنيّتها خاصّة . انّما نشير الى ما قام به النحّات ريمون ديلامار (Delamare) في وضعه مدالية التذكار المئوي من تلخيص جامع لأعمال المعهد مدة قرن كامل . فنحت في وجه المدالية صورة أبولون يحيط به صورتا علم الآثار ، وعلم الرّقم ؛ ونقش في الفراغ اسماء اشهر اماكن الحفريّات : دِلوس ، تيجه ، ديلوس ، تاسوس ، دلف ، مالية ، فيليبّس ، بتوبين ، ميرينة ، ماتينه ، غورتيس ، كيره ، كلاروس ، سْتراتوس . ورقم ، في قفا المدالية ، اسماء مديري المعهد منذ تأسيسه . والى مديره الحاضر السيد روبر دوماجيل (Demangel) ، يعود الفضل بالسهر على المعهد ، على حياته واستقلاله ، والمحافظة على مكتبته الغنيّة برغم المصاعب الجمّة في سنوات الشدّة (١٩٤٠—١٩٤٤) ، كما يعود الفضل باعداد هذه الاعياد اليوبيلية الجديرة

---

(١) Raoul - Rochette, *Journal des Savants*, 1850, p. 352 وقد قال الكاتب نفسه موجّهًا دروس الاعضاء هذا الاتجاه الحاسم : « ليُرجِّعْ دائمًا الى مجال المراقبة الدقّي والنقد الصارم ، لدى الاماكن والنصوص ، بالدروس والابحاث التي قد تميل الى التيه في عرض النظريّات وجاذبية الأوهام . » (ص ٣٥٨)

بجلال المؤسسة ووقارها . مما اهاب باعضاء الوفود الرسمية ، وافراد المدعوين ، الى شكر القائمين على تنظيم اليوبيل ، لما لاقوه من حسن الاستقبال ، وتحققوه من دقة الترتيب . وقد اقبل الوفود مئتين عشر أمم ، من أسوج ، وانكلترة ، وبلجيكة ، وتركية ، والدانمرك ، وسويسرة ، وزوج ، وهولاندة ، والولايات المتحدة ، واليونان . واوفدت فرنسة وفداً رسمياً مؤلفاً من السيد جوكس (Joxe) ، مدير العلاقات الثقافية في وزارة الخارجية ، يرافقه السيدان أبراهام ، مدير الدائرة الجامعية في العلاقات الخارجية ، وأوجيه (Auger) مدير التعليم العالي ، وعدد من رؤساء الدواوين في الوزارات ، وممثلي الاكاديمية الفرنسوية ، والمجمع ، ومتحف اللوفر ، والمعاهد العليا ، وكل الجامعات في فرنسة وافريقية الشمالية تقريباً[1] . وشاءت الاوساط العلمية في عالم البحر المتوسط ألا يفوتها الاشتراك بهذه الحفلات ، فجاءت الوفود من مصلحة الآثار في مراكش ، ومن متحفي استانبول وأنكرة ، ومن المعهد الفرنسي في بيروت ، ومن جاره معهد الآداب الشرقية بجامعة القديس يوسف ، ومن المعهد الاميركي في رومة ، ومن المعهد الانكليزي والمعهد الاميركي في اثينة نفسها ، ومن المعهد الفرنسي في القاهرة ، والمعهد الكتابي والآثاري في اورشليم .

اما الحفلات الرسمية فقد افتُتحت صباح ١١ ايلول بتدشين نصب أقيم تذكاراً لخريجي المعهد الذين قضوا في ساحة الشرف والواجب مدة الحربين الاخيرتين ، او في اثناء عملهم مدة وجودهم في اليونان .

وتبع هذه الحفلة المؤثرة افتتاحُ اليوبيل الرسمي برئاسة السيد پيير جوغيه (Jouguet) عميد خريجي المعهد ، ثم مدير المعهد الفرنسي في القاهرة مدةً طويلةً . وقد تشرّف الافتتاح بحضور صاحبي الجلالة الملك والملكة ، وحضور نائب رئيس الوزارة اليونانية ووزير خارجيتها ، السيد تسالداريس ، وسفير فرنسة السيد كارا دي ڤو سان سير (C. Carra de Vaux Saint Cyr) وجمهور غفير من

---

١) وضع السيد راماديه (Ramadier) رئيس الوزارة الفرنسوية ، اذ ذاك ، تحت تصرف الوفد الفرنسوي ، طيارة رئاسة الحكومة الخاصة ، مع طيارة حربية .

الشخصيات الفرنسوية واليونانية والاجنبية من السلك الدبلوماسي ، والاكليروس والاوساط الادبية والفنية . فقام السيد دوماجيل بتحية صاحبي الجلالة وشكر للملك بول عطفه على المعهد ، جرياً على مآثر اسلافه . ثم قام السيد ستيفنس (Stevens) المدير الشرفي للمعهد الاميركي ، فتكلم باسم البعثات الاثرية الاجنبية في أثينة ثم الاستاذ أويكونوموس (Oikonomos) باسم مصلحة الآثار والجمعية الاثرية في أثينة ، فالسيد ميرلن (Merlin) باسم مجمع فرنسة ، فالسيد غريغوار ، الاستاذ في جامعة بروسل باسم الفرع الاجنبي المعهد ، فالاستاذ سيداروبولوس (Sidéropoulos) باسم جامعة أثينة . بعد ذلك تقدم السيد كالليتسوناكيس (Kallitsounakis) رئيس أكاديمية أثينة ، فمنح المعهد باسم الاكاديمية المذكورة ، المدالية الذهبية التي لم تمنح حتى اليوم الا للمؤسسات الوطنية ، شهادة رفيعة على التقدير والاحترام . وعلى اثر إدلاء اعضاء الوفود باسماء الجامعات والمؤسسات العلمية التي يمثلونها ، وقف السيد بيكار (Ch. Picard) مدير المعهد السابق ، فاثنى على اليونان التي ما فتئت تحيط المعهد بحسن ضيافتها وكريم صداقتها منذ تأسيسه . وقبل ان ينصرف صاحب الجلالة ، دشن في باحة المعهد ، منصب اليوبيل التذكاري . وبعد الظهر ، استقبل صاحبا الجلالة ، محاطين بانجالها ، جميع اعضاء الوفود والمدعوين ، في قصرهما الصيفي بتاتوي .

وتوالت الايام مليئة بالحفلات والابحاث حتى لا يسعنا الالمام بها ، فنكتفي بذكر محاضرة السيد دي لاكريتيل (J. de Lacretelle) ، مندوب الاكاديمية الفرنسوية ، وبالاشارة الى الحفلة التي نظمتها ، في قاعة الپرناسوس ، الجمعية الفرنسوية - الهيلينية بالاشتراك مع الاتحاد الفرنسي - الهيليني للشبيبة .

ومن وقائع الحفلات الجديرة بالذكر زيارة قصيرة لديلوس بعد رحلة جميلة في مركبين سريعين وضما تحت تصرف الاعضاء بفضل البحرية اليونانية والبحرية الفرنسوية ؛ ثم زيارة لإپيدور المشهورة بمعبد الاله الشافي اسكولاب . وهناك قامت الجوقة المسرحية للفن القديم التابعة للسوربون بتمثيل رواية « الفرس » للشاعر اليوناني اشيل (Eschyle) . وقد قامت الجوقة نفسها بتمثيل رواية اخرى للشاعر نفسه اسمها أغاممنون في مسرح هيرودس أتيكوس في أثينة .

ولنشر ايضاً الى زيارة حفريات الأغورا باشراف المعهد الاميركي ، وزيارة مختلف المتاحف ، ولا سيما المتحف الوطني وكان لا يزال فارغاً بسبب الحرب . الا انه رُتّب فيه عدد من مكتشفات النقّابين الفرنسويين في دِلف كآثار العاج المنحوتة التي كشفت عنها الحفريات الاخيرة . ولا ننسى الاحتفال البسيط المؤثر بتدشين النصب التذكاري لاعضاء المعهد من الاجانب المتوفين في خدمة بلادهم . وقد تكلم فيه السيد دي مانجيل ، والسيد مايانس ؛ مندوب أثن ، ووزير بلجيكة المفوّض في اثينة .

وما ساد هذه الحفلات جميعها انما هو شعور الاعضاء حيث حلّوا ، وكيفما اتّجهوا ، بعاطفة اليونانيين المشبعة بالصداقة الخالصة . وقد شهدوا مرّةً زحف جمهور كبير من فلّاحي الارغوليد يُقدّر بستة الى سبعة آلاف ، يحتلّون مسرح أبيدور ليستمعوا ، بخشوع وفرح بادئين ، الى تمثيل رواية « الفرس » باللغة الفرنسوية . وفي صباح اليوم نفسه بينما كانت جماعة وافرة من الاعضاء تسير الى الكنيسة الكاثوليكية الصغيرة في نُوبلي لتحضر القدّاس ، كان جمهور من اليونانيين يستقبلونها بقرع الاجراس ، ونثر الاعلام ، ونثر الازهار بين أهازيج الفرح ، بادياً عليهم السرور بتحيّة هؤلاء الفرنسويين الذين سقط آباؤهم الى جنب آباء اليونان ، فحُفظت اسماؤهم محفورة في الكنيسة الصغيرة . هذه المظاهرة اللطيفة ، الى ذاك الاعجاب بالثقافة الفرنسوية والعلم الفرنسوي الذي كان يعبّر عنه خطباء اليونان والاجانب باللغة الفرنسوية احياناً كثيرة ، ملأ افئدة الفرنسويين ثقةً برسالة أمتهم في سبيل الانسانية . جعل الله هذه الاعياد التي جمعت ، في جوّ من الإخلاص والمحبّة ، عدداً كبيراً من الامم والاشخاص ، تحت شعار الثقافة العامة والثقافة الفرنسوية خاصّة ، من مظاهر التفاؤل بعودة السلام الى بلاد اليونان المضيافة ، ذاك السلام الذي يتمنّاه لها جميع ابنائها المخلصين واصدقائها العديدين .

الاب كلود موندزير اليسوعي

وصية فرانس كومون الروحية

في العشرين من شهر آب سنة ١٩٤٧ ، توفي في بروسيل ، في التاسعة والسبعين من سنيه ، عالمٌ كبير وصديق صدوق لبلاد الشرق الادنى بأسرها ؛ هو الاستاذ فرانس كومون (Franz Cumont) .

كان الفقيد الكبير بلجيكي الجنسية . الا انه قضى اكثر ايامه في رومة وباريس حيث ترك الاثر العميق في جيلين من علماء الاثريات وبحّاثي المؤرّخين ، بفضل ما اتصف به من علم صحيح ، وجهد متواصل ، وقبول حسن للمريدين ، مع الرغبة في إفادتهم .

وإن الشرق الادنى لا ينسى تحرياته الدقيقة واتجاهه النفيسة في تاريخه واثرياته . وقد نشر مؤخرًا الاستاذ دي رويت (F. de Ruyt) مقالًا ينوّه فيه بذكر العالم الكبير ملخصاً أعماله في هذا المجال قال فيه[1] ان فضل كومون ظاهر في انه كان اول من تعهد حفريات دورا - اوروبوس ، الواقعة في الصحراء على الفرات الاوسط ، بناء على طلب اكادمية الرقم والآداب البارزية ، التي كان من اعضائها البارزين ؛ وذلك قبل ان تتعهد الصعوبات الناتجة من حرب السنة ١٩١٤ . وكان قد نشر ، قبل ذلك ، في السنة ١٩١٧ ، « اتجاهه السورية » . فاضاف اليها تلك الآثار العديدة الناتجة من حفرياته : معابد وهياكل ، وبقايا أسوار ، واسلحةً ورقاً ؛ قبل ان تظهر تصاوير الكنيس اليهودي والكنيسة المسيحية المكتشفة ، بعد حين ، على يد العلماء الاميركيين الذين قدموا من جامعة ييل فساهموا في تلك الحفريات . وهو معروف ان كنيس دورا نُقلت بقاياه الى دمشق ، ورُمّم هناك فغدا من اروع آثار المتحف الدمشقي . وفي السنة ١٩٢٦ نشر كومون مؤلفه الكبير في « حفريات دُورا » . ثم نال من الانتداب الفرنسي ان يُحفظ حقّ الحفريات في اطلال افامية (قلعة المضيق) لعلماء الآثار من البلجيكيين . وهكذا امكن الاستاذين مايانس ولاكوست ان يُنشيا ، منذ السنة ١٩٢٩ ، متحفي دمشق وبروسيل بالكثير من مكتشفات أفامية . ولنُشر

---

١) في مجلة *L'Antiquité classique*, XVI, 1947,1

الى ان كتاب الفقيد في « الديانات الشرقية في الوثنية الرومانية » — الذي بلغ طبعته الرابعة بالفرنسية ، والثالثة بالالمانية ، وله طبعة اميركية واخرى ايطالية — يُفسح المجال واسعاً للعبادات الخاصة بلبنان وسورية .

ومن فضائل الفقيد العالم ذاك العمل السمح الذي وهب به ، في حياته ، مكتبته الخاصة — النادرة القيمة على قول الخبراء ، والتي انفق اكثر من ستين سنة في جمعها — الى الاكاديمية البلجيكية الناشئة في رومة . فنظمت الاكاديمية حفلة شائقة لتدشينها في ٧ ايار ١٩٤٧ . الا ان الراهب اقعده المرض عن حضور الحفلة . فأرسل الى الاكاديمية رسالة قيل فيها انها تكوّن « وصيته الروحية » . وها اننا نأخذ منها صفحة رسم فيها الراهب قيمة هبته ومرماها العلمي . قال :

« هذه المجموعة من الكتب الداخلة في عهدة الاكاديمية البلجيكية تثير اولاً بعدد لا بأس به من مؤلفات الاقدمين . وفيها الكثير من الكتب التي لا تظهر قراءتها لذّة غير مشوبة . الا ان اساتذتي — وكانوا من ذوي الاختصاص باليونانية واللاتينية — كثيراً ما ردّدوا على مسامعي انه اذا لم يلجأ الانسان دائماً الى المصادر كان عرضةً للضلال ، وان علم الآثار القديمة ، اذا حُرم معونة علم اللغة ، دُفع الى كثير من التخمين والتقدير حتى ان نتائجه لا تصل الا الى درجة الاحتمال وفقاً لمهارة المؤلفين او بلاغة الخطباء . ولا تندر الامثلة المعاصرة على مثل هذا التعسف في الاستنتاج .

« ثم جمعت هذه المكتبة كثيراً من المؤلفات الشرقية ، ولا سيما السريانية . وقد لا يكون فيها رائعة واحدة وقد يكون منها ما انتجته عقول متوسطة . على ان هناك حقيقة فرغت من ايضاحها التحريات الاخيرة ، وهي التشابك الوثيق بين مدنية اوربة ومدنية آسية . وقد مرّ الزمن على الزعم القائل بالمعجزة اليونانية ، المتخيل ان الثقافة الهيلينية نشأت نشأة مولدات المختبرات في الآنية المقفلة . فأصبحنا نتحقق ، يوماً فيوماً ، المؤثرات الآتية من بلاد الشام ، وبلاد الاناضول ، وبابل ، بل من الهند القاصية ، والعاملة على تكوين مدنية لا تحطّ كثيراً من جلالها وعظمتها .

« وان ما يولي مكتبة الاكاديمية البلجيكية قيمة خاصة هو عناها بالمؤلفات

المتعلقة بتاريخ الديانات ولا سيما عبادات الوثنية الرومانية . وليس بعيدًا ذاك الزمن الذي كان يُنظر فيه الى مثل هذه الدروس بشيء من الحذر ، كما لو كان آلةً حربية معدَّة لمهاجمة الكنيسة . على ان الموضوع يفوق مرمى الدروس التي يخصها المؤلف بظواهر المجتمع البشري. والمهمّ في الامر ان نعرف هل ان أحداث العالم منقادة لقوات عمياء أشبه بما كان يسميه القدماء بالقدر ، أم ان هناك عناية الهية توجهها نحو هدف معيّن مقصود ؟ فان كانت ارادةٌ الهية توجه هذا التطوّر ، فقد لزمنا ضرورةً ان نرى في اكتساح العبادات الشرقية لبلاد الغرب تمهيدًا للمسيحية ، وانتقالًا كان من شأنه ان يؤمّن انتشار الايمان الجديد في قسم مهم من الانسانية .

« ويدفعني هذا الاعتبار الى اليقين بان مكتبةً ككتبة الاكاديمية البلجيكية ، لم يكن لها من مكان تقوم فيه افضل من روما ، من هذه المدينة الخالدة ، التي بعد ان نقلت ، في وثنيتها ، الى العالم اللاتيني المدنية الهيلينية ، اخذت تنشر في مسيحيتها ، على اوربة ، هذا الدين الذي هو ديننا »[1] .

الاب ريني موترد اليسوعي

(1) *L'Antiquité classique*, XVI, 1947, pp 24-25

مؤتمران ثقافيان

شهد لبنان في هذا الصيف مؤتمرين ثقافيين عملا ، كلٌ في حدود نظريته ، وبمجال تأثيره على توضيح الكثير من مشاكل التربية والتعليم ؛ واتخذا مقرّرات من شأنها تعريف الفكرة اللبنانية الصحيحة في الاهداف التربوية ، وتحديد مدى التعاون بين لبنان وجيرانه ابناء الدول العربية في مختلف مظاهر الثقافة. وافادا ، على تباين النظرات ، ومعاكسة الغايات احياناً ، ما يفيده كل اجتماع راقٍ يكون رائد المخلصين من اعضائه تبادل الآراء ، وتشارك الفكر في البحث الجدي الرصين ، والتحري العلمي الصحيح عن وسائل التعاون ومعدّات النهضة في مجال الثقافة الحق.

مؤتمر رابطة التعليم الحرّ

اما الأول فهو « المؤتمر الثقافي الثاني لرابطة التعليم الحرّ » المنعقد في بيروت في ٧ و٨ و٩ تموز ١٩٤٧ ، وموضوعه « المدرسة اللبنانية في خدمة الامة. »

ولا يخفى ان رابطة التعليم الحرّ تشمل الاكثرية الساحقة من جماعة المنتسبين الى مؤسسات التربية في لبنان ، اساتذةً وطلّاباً ، فاذا ما تكلمت فانما تتكلم بلسان هذه الاكثرية ، واذا ما قرّرت فانما تقرّر ما يمكن اعتباره لبنانياً صحيحاً. وقد توافد الى مؤتمرها مئات الوفود من مدارس العاصمة والملحقات ، ولا سيما محافظة الجبل . وعلى اثر الابحاث والمناقشات المتتابعة مدة ثلاثة ايام اقرّ المؤتمر في جلسته الختامية العامة ما يلي[1] :

---

١) نشر المؤتمر الثقافي ابحاثه في كتاب ظهر عن المطبعة المخلصية ، دير المخلص ، قرب صيدا ، وتضمن ما يلي :

البيان السنوي ١٩٤٧ : الاب اسبيريدون الرياشي – نظرة الى صندوق الرابطة : الاستاذ بديع هاشم – افتتاح المؤتمر : الاب اغناطيوس مارون – علاقة المدرسة بالحكومة : الاب اغتيموس مكاف – روح الامة اللبنانية : الاب اغناطيوس مارون – لغة التعبير عن الروح اللبنانية : الاستاذ فؤاد افرام البستاني – حيوية الامة اللبنانية في ماضيها وحاضرها :

مقررات المؤتمر الثقافي الثاني لرابطة التعليم الحرّ

اسفرت اجتماعات المؤتمر الثقافي الثاني لرابطة التعليم الحر المنعقد في بيروت في السابع والثامن والتاسع من تموز ١٩٦٧ عن اقرار المبادئ والرغبات الاتية :

اولاً — اعلان المبادئ الانسانية والوطنية التي تقوم عليها نشئة طلاب المدارس اللبنانية .

١ً الانسانية : معرفة الانسان نفسه انه انسان اي فرد ، وانه الانسان اي شخص حي تتمثل فيه الاخلاق والفضائل الذاتية والاجتماعية من عيلية ومهنية ووطنية وانسانية

٢ً الوطنية : يجب ان ينشأ الطالب اللبناني على هذه المبادئ :

ا — الشعور فالايمان فالعقيدة بانه ابن امة لبنانية لها كيانها وطابعها الخاص .

ب — التضامن في الداخل ، والتعاون مع الخارج . والتضامن في الداخل يعني جمع العناصر المختلفة من فكرية ومذهبية ومهنية وما اليها في حيوية الروح اللبنانية الموحدة . والتعاون مع الخارج يبني التبادل الفكري مع كل امة حية ، يبدأ بالجار ، ما دام حسن الجوار ، ويمتد الى جميع شعوب الارض ما تيسرت الاسباب .

ج — حب الوطن وليد الاطلاع على امجاد الجدود والتضحية في سبيل الوطن بالقضاء على الانانية في الطالب ، وبعث الروح الاجتماعية وحماية الوطن من التفرّق والتمزّق الداخلي ومن الابتلاع والذوبان الخارجي ، ومن الاتكماش الجافّ ، والطموح الى الامام بتفهم الرسالة التي يحملها وطنه ويسير بها في تقدم مطرد .

ثانياً — المحافظة على امتياز الثقافة اللبنانية بنهضة ثقافية تتناول اعمالها الحقول التالية :

١ً التربية والتعليم

ا — ايجاد مؤسسة تربوية تعنى بدرس نفسية الولد اللبنانية وامكانياتها ، على ضوء النظريات الحديثة والعلم والاختبار .

ب — الاتصال بالاوساط التربوية العالمية للافادة من احدث نتاج تربوي ، واقتباس الموافق للروح اللبنانية .

ج — وضع منهاج ثقافي يسير عند الاقتضاء في جانب المنهاج الرسمي .

د — عقد اجتماعات يشترك فيها ذوو الاختصاص من الاساتذة للبحث في اساليب التعليم وتوجيهها توجيهاً ثقافياً صحيحاً .

٢ً الكتاب

انشاء دار للتأليف والنقل والنشر تشجيعاً للمؤلف اللبناني ورغبة في التبادل الفكري .

السيدة نظيرة زين الدين عقيلة شفيق بك الحلبي — التعبير عن حيوية لبنان في تدريس التاريخ والجغرافية : الاستاذ رشدي معلوف — مهمة المدرسة في الوطن : عبدالله بك الحاج — المواطن اللبناني في بوتقة المدرسة : الاستاذ جورج فرح

٣ً الفكر

اظهار الميزة اللبنانيـة في الفلسفة والادب والفن والعلوم والاجتماعيات . وتسهيل سبل التعارف والتقارب بين رجال الفكر اللبنانيين في الوطن والمهجر لتتجلّى خصائص الروح اللبنانية .

ثالثاً — ابقاء المدرسة منفصلة عن السياسة للاسباب التالية :

١ً لاختلاف الغاية بين الدولة والمدرسة .

٢ً للمحافظة على المبادئ الثقافية الثابتة وفصلها عن تقلبات السياسة .

٣ً للمحافظة على النشاط الشخصي وفتح المجال امام المواهب الفردية

رابعاً — حرية المدرسة في اختيار اساتذتها واساليبها التربوية وكتبها ، شرط ان لا تمسّ الاخلاق والاديان والروح الوطنية .

مقررات المؤتمر في الناحية الادارية

١ً الاعتراف للحكومة بحق وضع الشروط لمنح المدارس ، على ان لا تتعارض مع مبدأ حرية المدرسة التي يضمنها الدستور في مادته العاشرة . وان ترفع الرابطة الى الحكومة مشروع تعديل المرسوم رقم ٧٠٠٠ نهائياً لهذه الحرية .

٢ً الاعتراف للحكومة بحق وضع شروط لتعيين مديري المدارس الخاصة . اما تعيين الاساتذة فيراعى فيه الشهادة او ما يعادلها من كفاءة وخبرة .

٣ً الاعتراف للحكومة بحق سن قانون للمعلمين مراعاة للتطورات الاجتماعية ، على ان تنظر للمصلحة المشتركة بين المدرسة والاساتذة والاهلين ، كما تقرر في مؤتمر الرابطة في زحلة سنة ١٩٤٦ . وان يكون لاصحاب العلاقة المشتركة حق الاشتراك في وضع هذا القانون .

٤ً المطالبة بتحقيق الاقتراحات التالية في الامتحانات الرسمية :

ا — في الامتحانات الاعدادية ، ان تكون اللجان الفاحصة اما حيادية بحتة واما مؤلفة من ممثلي المدارس الرسمية والخاصة .

ب — في الامتحانات التكميلية والثانوية ان يكون الى جانب اللجنة الفاحصة هيئة اختصاصيين عليا يعينها وزير التربية الوطنية ويكون لها صلاحية كافية للنظر في جميع المشاكل الطارئة مدة الامتحان .

امانة سرّ المؤتمر

ولما كان الاشتراك بالمؤتمر الثقافي العربي الاول المزمع عقده في بيت مري في اوائل ايلول ١٩٤٧ ، من ابحاث الساعة ، رأت رابطة التعليم الحرّ ان تحدّد موقفها بصراحة من المؤتمر المذكور ، ولاسيما بعد ان رأت في ما نُشر عن جدول اعماله ما يمسّ بالكيان اللبناني ، فأوردت مقرّراتها بالتصريح التالي نصّه :

تصريح

عن موقف رابطة التعليم الحرّ من المؤتمر الثقافي العربي

لقد سبق للرابطة انها اعلنت جلياً رغبتها في المساهمة باعمال المؤتمر الثقافي العربي حباً منها للتعاون الى اقصى حدّ في ميدان الثقافة الصحيحة ، وعملاً على اظهار الخصائص الثقافية التي يمتاز بها لبنان ..

ولكن لما كانت ابحاث المؤتمر الثقافي العربي ، كما ظهر تصنيفها في جدول الاعمال الذي عُمِّم على المدعوين الى الاشتراك فيه ، تتنافى ومقررات المؤتمر الثقافي الثاني لرابطة التعليم الحر ؛

ولما كان المؤتمر الثقافي العربي قد نظّم جدول اعماله على نقاط وفرضيّات حملها حقائق مفروغاً منها ، ولم يدع للمؤتمرين الا مجال البحث في كيفية تحقيقها ؛

ولما كانت هذه الفرضيات تعاكس الواقع اللبناني وترمي الى تجاهل الخصائص اللبنانية الثقافية وتمس الكيان اللبناني المعترف به في ميثاق القاهرة ؛

لذلك تأسف رابطة التعليم الحر ان ترى نفسها مضطرة الى التنحي عن المساهمة في ابحاث هذا المؤتمر ،

الا اذا تحققت لها الرغبات التالية :

١ً – ان تجيب وزارة التربية الوطنية جواباً مرضياً واضحاً عن كل سؤال سبق الرابطة ان قدمته اليها في كتابها بتاريخ ٦ حزيران المنصرم .

٢ً – ان يكون للرابطة ممثلون في المؤتمر يراعى في اختيارهم كون الرابطة تضم من المدارس اللبنانية ما يناهز الالف في مختلف درجات التعليم .

٣ً – ان لا يكون لرئيس الوفد اللبناني في المؤتمر المذكور الحق بتصديق المقررات الا اذا نال موافقة الوفد اللبناني باجماع اصواته .

٤ً – ان لا يتقيد بمقررات المؤتمر الا من يوافق عليها من وفود الدول ، كما قرر مثل ذلك في ميثاق القاهرة .

امانة سر المؤتمر

وولي ذلك مقابلات عدة ومباحثات بين وزير التربية الوطنية والفنون الجميلة ولجنة الرابطة المذكورة ، قررت الرابطة على اثرها الاشتراك بالمؤتمر الثقافي العربي .

المؤتمر الثقافي العربي الاول

وهو الذي عُقد في بيت مري من ٢ الى ١١ ايلول ١٩٤٧ ، واشتركت فيه وفود من جميع الدول الداخلة في الجامعة العربية ، مع بعض الممثلين غير الرسميين من فلسطين ، وليبية ، ومراكش ، ومن لجنة المدارس الكاثوليكية السورية ، وجمهور من الاعضاء المشتركين .

افتتح المؤتمر رسمياً صاحب الفخامة الشيخ بشاره الخوري ، رئيس الجمهورية اللبنانية فرفع المؤتمرين الى جوّ رحب وأفق واسع ، سائلاً لهم اوضح السبل الى الثقافة الصحيحة ، قائلاً :

« انكم من اجل توطيد الثقافة ، تعملون في هذا المؤتمر ، الثقافة الحقيقية ، التي ترد الانسان الى مصادر وحيه ، وتقيم السعادة على أسس متينة من الصفاء الروحي الذي لا ينظر الى المادّة الا بمقدار ما تُشيع من الحب والطمأنينة بين البشر . »

ثم القى معالي الاستاذ حميد فرنجيه ، وزير التربية الوطنية والفنون الجميلة ، رئيس المؤتمر ، خطاباً حدّد فيه مهمّة المؤتمر ، متفائلاً بجهود المؤتمرين ، داعياً الى « الانطلاق الفكري » كي نتمكن من « حمل رسالتنا الثقافية الى العالم اجمع » متخطّين « الدائرة الاقليمية الى الدائرة الانسانية . ولا معنى لرسالتنا ان لم يكن ذلك هدفها . فكما ان الحياة لا تتجزأ ، وكما ان الحرية لا تقبل المساومة ، كذلك مقوّمات الحياة والحرية ، والثقافة طليعتها ، لا يمكن عزلها عن غاياتها . »

وتوالى على المنبر رؤساء الوفود الرسمية وبعض الاعضاء . فتتطرّق غير واحد ، من غير المسؤولين دبلوماسياً ، الى مزالق سياسية لم تُراعَ فيها المهمة الثقافية التي اجتمع المؤتمرون من اجلها .

ولم يكد ينصرف الاعضاء ، بعد حفلة الافتتاح الرسمية ، الى اول اجتماع عملي ، حتى ادركوا اي بونٍ يفصل بعضهم عن البعض الآخر ، لا في الشؤون السياسية فحسب ، بل في تفهّم الثقافة نفسها ، وفي تصوّر اساليب نشرها

وتعميمها . ولولا تدخل بعض الاعضاء اللبنانيين لانحرف المؤتمر ، منذ جلسته الاولى ، الى اجتماع سياسي هدفه الاحتجاج على وجود انكلترة في فلسطين ، وفرنسة في افريقية الشمالية ، واسبانية في المغرب . . .

وحينما أعلن توزيع اعضاء الوفود على لجان خمس تناولت « التربية الوطنية » و« الجغرافية » و« التاريخ » و « اللغة والقواعد » و« الادب » ، تحقق الحاضرون ان نمت « الثقافي » كان فضفاضاً بالنسبة الى مشاغل هذا المؤتمر التي لم تتناول مشكلة واحدة من مشاكل الثقافة الانسانية الصحيحة . انما هو اقرب الى مؤتمرات التعليم والتربية . ولم تكن مناقشات الاعضاء الا لتوضح ذاك التباين الذي ظهر في الجلسة الاولى . على ان المشرفين على اعمال اللجان اظهروا من المرونة ، والكياسة ، والتساهل الظاهر ، وسائر المغريات العاطفية ما تلاقى الانشقاق وتدارك الانفصال ؛ وقد اظهروا ، والحق يُقال ، براعة معجبة في تبديل الالفاظ ، وتغيير القوالب التعبيرية للوصول الى ما لا يشتمّ منه شيء من رغبة الاكتساح الغربي ، والافتئات على استقلال كل دولة بسنّ مناهجها ، ووضع برامجها ، وتنظيم اساليب التربية فيها . وكأنّ اللبنانيين كانوا موضوع المداراة العامة ، وكأنّ كلمة السرّ كانت بان لا يظهر شيء ينفّر اللبنانيين او يدعوهم الى الحذر . وكانت آداب الضيافة اللبنانية تدفعهم ، تجاه هذه الكياسة الظاهرة ، الى مقابلة المثل بالمثل . وكثيراً ما قبلوا ببعض المقررات على مضض . على ان المجتمعات الخاصة والعامة لم تسلم من عواصف تجاوز تأثيرهـا جوّ المؤتمر الى الصحافة اليومية .

وها اننا ننشر مقرّرات اللجان التي وافق عليها المؤتمر في جلسة يوم الثلثاء في ٩ ايلول ١٩٤٧ ، ليقدر المطالع البون بينها وبين مقرّرات رابطة التعليم الحرّ ، المنشورة قبيل هذا الكلام .

التربية الوطنية

١ — يرى المؤتمر ان الغرض من التربية الوطنية بثّ الروح الوطني في نفوس النشء وايقاظ الوعي الاجتماعي فيهم ، حتى يشعروا بارتباطهم بوطنهم ، ويدركوا واجباتهم العامة ، ويتعاونوا على القيام بها ، ويقدموا مصلحة الوطن على مصالحهم الخاصة . ويراد ببثّ الروح

الوطني في العبارة السابقة نشأة الافراد على القيام بواجباتهم نحو الوطن المحلي الذي ينتمون اليه اولاً ، ونحو المجتمع العربي الاكبر الذي يضمّ البلدان العربية كافة .

٣ – يرى المؤتمر ان التربية الوطنية عملية تربوية متعدّدة الجوانب لا تقتصر على ما يُعطى من دروس خاصة بها ، بل تتفاعل في سائر موادّ الدراسة من جهة ، كما يستعان على تحقيقها من جهة اخرى بوسائل تدريبية وعملية مختلفة داخل المدرسة وخارجها . ولهذا يرى في تسمية الجانب الدراسي منها باسم التربية الوطنية تضييقاً لدائرتها ومخالفة لمفهومها ، ولهذا يقترح تسمية المادة الدراسية الخاصة بها باسم المعلومات الوطنية في المدارس الابتدائية ، والدراسات الاجتماعية والمدنية في المدارس الثانوية .

٤ – يرى المؤتمر ان يُقتصر في مرحلة التعليم الابتدائي على تدريس مادة المعلومات الوطنية بشكل منظّم في السنة الاخيرة فقط ، مع مراعاة مدارك التلاميذ ومستواهم العقلي في اختيار موضوعاتها وطرق تدريسها . اما في السنوات الدراسية السابقة فلا تخصّص لها حصص مستقلة بل يعنى بموضوعاتها العناية الكافية ضمن مختلف المواد ، وبصفة خاصة دروس التاريخ والجغرافيا والمطالعة والقصص والاناشيد والمحفوظات والدروس الدينية . وهذا بالاضافة الى الوسائل التدريبية والعملية المختلفة التي سنوردها فيما بعد .

٥ – يرى المؤتمر ان يُخصّص للدراسات الاجتماعية والمدنية في المرحلة الاولى من التعليم الثانوي عدد كاف من الحصص ، وان تشمل هذه الدراسات من المسائل الاجتماعية والاقتصادية في الوطن المحلي وفي البلدان العربية ما يقوي الروح القومية ، كما تشمل دراسة الاخلاق ونظم الحكم عامة ونظم الحكم في البلاد العربية بصفة خاصة .

ويوصي المؤتمر بتدريس علم الاجتماع في المرحلة الثانية من التعليم الثانوي ضمن الدراسات الاخرى ، او على انه علم مستقل يعد الطالب لتفهم الظواهر الاجتماعية وادراك حقائقها .

٥ – يرى المؤتمر ان يترك تفاصيل المناهج الدراسية وطرق التدريس الى المختصين في كل دولة ، مكتفياً بوضع الاسس العامة التالية التي يراها ضرورية لضمان القدر المشترك الذي يحقق ما تهدف اليه التربية الوطنية في البلدان العربية :

اولاً : ابراز الاتصال الجغرافي التام بين البلدان العربية في قارتي آسية وافريقية .

ثانياً : العناية باظهار ان هذه البلدان كانت مهدًا لاقدم حضارات العالم ، وانها قدمت للحضارة العالمية اجل الخدمات .

ثالثاً : ابراز الاشتراك التاريخي بين هذه البلدان . ففي العصور القديمة كانت تربطها اوثق الصلات . وكانت بعد ذلك ، خلال حقبة طويلة من الزمن ، وحدةً سياسية تضمها امبراطورية عربية عظيمة كما ظلت في العصور المتأخرة مرتبطة بروابط قوية .

رابعاً : تركيد ان العروبة لم تكن في الماضي ولا في الحاضر مقصورةً على طائفة من الطوائف او دين من الاديان ، وان التعاون بين المواطنين العرب على تفاوت اديانهم كان قوياً في الماضي ، كما كان كذلك في النهضة العربية الحديثة . ولم يفرّق اختلاف الاديان بين العرب الا في العصور التي حكمهم فيها الاجانب . ولهذا ينبغي العناية ببثّ روح التضامن والتعاون بين مختلف الطوائف ، واشعارهم باسم اخوة ، وانه يجب ان يضعوا الاهداف القومية فوق الاعتبارات الطائفية .

والجدير بالذكر انه بعد ان تُليت هذه المادة في الاجتماع التمهيدي لاقرار المقررات ، وقف الاستاذ فؤاد افرام البستاني ، مندوب جامعة القديس يوسف ، واحد اعضاء الوفد اللبناني الرسمي ، واقترح ، تأييداً لهذه الفكرة وضماناً للمساواة بين ابناء الدولة جميعهم ان تُضاف الفقرة التالية :

« والسعي في إقرار الحريّات الانسانية الاصيلة في جميع الدول العربية كي تتوصل الى الخروج من طور التيوقراطية إلى فصل الدين عن الدولة ، مجاراةً للتقدّم العصري ، والتفهُّم الصحيح لمبادىء الديموقراطية الحقة . »

فقوبل الاقتراح بقليل من الارتياح ، وبكثير من الاستغراب . وبعد أخذ وردّ ، أُحيل الى اللجنة الخاصة بالتربية الوطنية فرفضته ، واقرّ الاجتماع الاخير هذا الرفض . فطلب الاستاذ البستاني عندئذٍ ان يُدوّن في محضر الاجتماع نصّ اقتراحه ، وان يُدوّن الرفض كذلك ، « شهادةً للمستقبل على المؤتمر العربي الثقافي الاول » . وهكذا كان !!! ولا يحتاج هذا الحادث الى تعليق !

خامساً : بيان ان التطوّر العالمي سائرٌ نحو التكتل والاتحاد ، وان جامعة الدول العربية مظهر من مظاهر هذا التطوّر . وليس معنى التكتل فقدان شخصية الاجزاء المكوّنة له ، وانما المقصود منه ان تكون لهذه البلدان خطط مرسومة تنسق فيما جهودها نحو تحقيق الاهداف المشتركة .

سادساً : بيان ان الاستقلال حقٌّ طبيعيٌّ للشعوب ، وان الاستعمار ضرب من الرق يجب القضاء عليه ؛ وابراز مساوئ الاستعمار ، وما جرّه على البلدان العربية وعلى تحريرها من ويلات ، وانه ينبغي في البلاد العربية جميعاً العمل على بث روح التعاون لتحرير البلدان العربية التي لا تزال واقعةً تحت نيره .

سابعاً : توكيد ان النظام الديموقراطي الصحيح أكفل الانظمة لضمان الحرية والعدالة والمساواة ، واتاحة الفرص المتكافئة للجميع ، والعمل على جعل روح الديموقراطية الصحيحة عقيدة راسخة في نفوس النشء .

٦ — يرى المؤتمر ضرورة العناية بالجانب العملي في التربية الوطنية ومراعاة المبادىء الاساسية التالية في ذلك :

اولاً : ان تكون الحياة المدرسية صورة مثالية مصغرة للمجتمع يتولّد فيها النشء « الحكم الذاتي » ، وممارسة ضروب النشاط الاجتماعي التي تقتضيها هذه الحياة ، ويدرّب على تحمل المسؤوليات والقيام ببعض الخدمات العامة في المدرسة وخارجها .

ثانياً : بثّ روح الجماعة في النشء وتوطيدهم المشاركة والتعاون والتسامح واحترام حرية الآخرين .

ثالثاً : الاتصال بالبيت ، وتنسيق الجهود بينه وبين المدرسة لتربية الناشء تربية وطنية صحيحة . وتحقيقاً لهذه المبادىء يرى المؤتمر الاستعانة بالوسائل العامة الآتية :

الجماعات المدرسية كالفرق الرياضية والكشفية والفنية من تمثيلية وموسيقية وغيرها ، والجمعيات التعاونية والثقافية ، والحفلات ، والاجتماعات ، والرحلات ، ومجالس الطلبة وانديتهم وما الى ذلك .

كما يرى المؤتمر الاستعانة بالوسائل الآتية لتقوية الروابط بين مختلف البلدان العربية :

أ – تبادل الرحلات والنشرات والمجلات والكتب ، وتبادل المدرسين والطلاب .

ب – اقامة مباريات رياضية وثقافية ، ومؤتمرات عامة ، ومجمعات ومعسكرات كشفية ورياضية ، ومعارض يشترك فيها الطلاب من مختلف البلدان العربية للتعارف والتعاون وتبادل الرأي في الشؤون العامة من اجتماعية وثقافية .

ج – وضع اناشيد وطنية مشتركة ، وتنظيم إذاعات مدرسية لطلاب المدارس في مختلف البلدان العربية .

د – انشاء بيوت مشتركة للطلبة .

هـ – وضع خطة مشتركة لاعداد كتب ومصورات وافلام سينمائية ثقافية تعرّف بالبلدان العربية المختلفة ومظاهر الحياة فيها ونشرها في الاقطار العربية .

و – تشجيع المراسلات الشخصية بين طلاب البلدان العربية .

٧ – يرى المؤتمر ان التربية الوطنية في مختلف المدارس لا تحقق اهدافها ، الا اذا كان المعلم القائم على تربية النشء مؤمناً برسالته ومتصفاً بالصفات التي تؤهله للقيادة ، ومزوّداً بالثقافة الضرورية له في مهنته ومدرباً على طرق التربية واساليبها .

ولذلك ينبغي العناية في انتقاء طلاب دور المعلمين باختبار استعداداتهم وميولهم وصلاحهم لمهنة التدريس ، كما يجب العناية باختيار اساتذة دور المعلمين من اقدر المعلمين واكفئهم .

ويجب العناية ، في دور المعلمين الابتدائية ، باعداد الطلاب لمهنة التعليم اعداداً ثقافياً ومهنياً صحيحاً ، وان يعطوا المادة العلمية الكافية التي تؤهلهم لتدريس المعلومات الوطنية في المدارس الابتدائية ، كما ينبغي ايضاً اعدادهم اعداداً اجتماعياً واسعاً يشمل جميع الوان النشاط المدرسي والاجتماعي ، ويمكنهم من القيام بتنشئة تلاميذهم وفق اساليب التربية الوطنية التي قدمنا ذكرها .

اما في دور المعلمين العالية فيجب ان يهيأ الطلاب لتدريس الدراسات الاجتماعية والمدنية في فرع العلوم الاجتماعية وان يدربوا عملياً على الخدمة الاجتماعية وعلى اوجه النشاط المدرسي ونواحيها .

وعلى وزارات المعارف في الدول العربية ضمان متابعة المدرّس لثقافته واساليب التدريس والتربية الوطنية وذلك بتنظيم اجتماعات ومؤتمرات تعليمية ورحلات للمدرسين وبعوث علمية لهم وانشاء المجلات الاختصاصية والفنية وما الى ذلك من الوسائل .

ويرى المؤتمر انه من الضروري العناية بحالة المدرسين المادية والاجتماعية وافساح المجال

امامهم للرقي والتقدم وضمان مستقبلهم حتى يتوفروا على اداء مهمتهم الكبرى مطمئنين ، وحتى يكفل بذلك اقبال الموهوبين على مهنة التعليم .

٨ – يرى المؤتمر ان التربية الوطنية عملية مستمرة لا تنقطع بالخروج من المدرسة ، وانه من الضروري مواصلة تدريب الكبار الذين غادروا معاهد العلم وتثقيفهم . ويرى الاستعانة على ذلك بالوسائل الاتية :

اولا : المحاضرات العامة ، والإذاعة ، والسينما ، والمسرح ، والصحف ، والمجلات ، والنشرات ، والانتفاع بها في تغذية الروح الوطنية .

ثانياً : الانتفاع بدور الآثار ، والمكتبات العامة والمتنقلة ، والمعارض التاريخية والثقافية في بث الروح الوطنية .

ثالثاً – تشجيع الاندية ، والجمعيات التعاونية ، والنقابات ، والفرق الرياضية والكشفية ، والمؤسسات الثقافية الشعبية وغيرها ، مما يهيء الفرص للمواطنين للقيام باوجه النشاط الاجتماعي المختلفة والخدمات العامة .

رابعاً : مكافحة الامية ، ونشر الثقافة بشتى الوسائل .

٩ – يرجو المؤتمر ان تتخذ حكومات الدول العربية الوسائل الكفيلة بعمل هذه القرارات والتوصيات شاملة المدارس الحرة (او الخاصة) من اهلية واجنبية .

الجغرافية

١ – توصي اللجنة بضرورة العناية بدراسة جغرافية الاقطار العربية عامة الى جانب جغرافية الوطن الخاص ، وابراز الروابط البشرية والاقتصادية بين هذه الاقطار .

٢ – تحقيقاً لهذا الغرض توزع الدراسات الجغرافية في مرحلتي التعليم الابتدائي والثانوي على الصورة التالية :

في مرحلة التعليم الابتدائي : تتدرج دراسة البيئة المحلية الخاصة حتى تمتد الى دراسة بيئة الاقطار العربية عامة . ويكون ذلك على شكل سياحات الى هذه البلاد ، تستخدم فيها الصور المشرقة ، ويستعان فيها بالافلام ما امكن .

وعند دراسة حياة السكان يعنى عناية خاصة بدراسة سكان الاقطار العربية ، بطريقة تظهر الروابط التي تجمع بينها ، مع استخدام جميع وسائل الايضاح التي تمثل هذه الاقطار ، ومظاهر الحياة فيها .

في مرحلة التعليم الثانوي تراعى الامور الاتية :

أ – تدرس جغرافية الاقطار العربية في موضعها من الاقاليم الطبيعية دراسة عامة ، ليتسنى للتلاميذ ان يدركوا العلاقات الجغرافية التي تربط بينها وبين الاقطار التي تقع في اقاليم مشابهة .

ب – يدرس العالم العربي كله بشيء كثير من التفصيل في احدى السنوات الاخيرة من التعليم الثانوي ، بان تخصص جميع دروس الجغرافيا في تلك السنة لهذه الدراسة . وان تتناول جميع نواحي الجغرافيا الطبيعية والبشرية لكل قطر من الاقطار العربية .

ج – تدرس جغرافية الوطن الخاص دراسة مفصلة في اثناء المرحلة الاخيرة من التعليم الثانوي . وان يُعنى فيها بالروابط التي تصل هذا الوطن بسائر الاقطار العربية .

وقد روعي في دراسة الوطن الخاص ، والاقطار العربية ان تكون في المرحلة الاخيرة من التعليم الثانوي لكي يكون التلميذ قد وصل الى درجة من النضج العقلي تمكنه من فهم الصلات التي ترتبط بين هذه الاقطار فهماً صحيحاً .

٣ – رغبة في اعداد المعلم الكفيل بتحقيق الاغراض العامة والقومية الخاصة المقصودة من تدريس الجغرافيا ترى اللجنة :

أ – ان يكون في كل جامعة من جامعات البلاد العربية قسم خاص للجغرافيا بحيث تتاح للطالب الذي يميل الى الدراسات الجغرافية فرصة للتخصص في هذا العلم .

ب – ان تُتاح الفرصة في المعاهد العليا للمعلمين والمعلمات للتوسع في الدراسات الجغرافية لمن يميلون الى هذا العلم من الطلاب .

ج – تنظيم دراسات صيفية جغرافية للمعلمين والمعلمات ، وذلك لاتاحة الفرصة للقائمين بتدريس الجغرافيا اليوم لكي يزدادوا علماً بمادتهم وبوسائل تدريسها ، وفق الاساليب العلمية الصحيحة .

٤ – ترى اللجنة ان من المستحسن تخصيص حجرة خاصة للجغرافيا في معاهد الدراسة تحتوي جميع وسائل الايضاح من خرائط ونماذج وافلام وصور ، وتزويد مكتبات المدارس باكبر عدد ممكن من الكتب والنماذج الجغرافية .

٥ – توصي اللجنة الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية بان تتخذ ما يلزم من اجراء لاعداد اطالس وخرائط جغرافية للبلاد العربية تتناسب مع مراحل التعليم الابتدائي والثانوي والعالي .

٦ – وتوصي بان تسهل كل دولة من دول الجامعة العربية لمن يشاء من الباحثين الجغرافيين زيارة الجهات التي يرغب في دراستها وان تضع تحت تصرفه ما يعينه على واجبه العلمي .

٧ – ونظراً الى الرحلات من صلة وثيقة بالدراسات الجغرافية ترى اللجنة ان تشجع الدول العربية الرحلات ، والمؤتمرات الجغرافية ، للطلاب والمدرسين المتخصصين في دراسة هذه المادة وتدريسها حتى تُهيأ لهم الفرصة لتبادل الافكار وزيارة الاقطار ومشاهدة الظاهرات التي قرأوا عنها .

وتحقيقاً لهذا الغرض تضع كل دولة في ميزانيتها اعتماداً خاصاً للرحلات والمؤتمرات الجغرافية .

٨ – نظراً الى ان هنالك حاجة ماسة الى مؤلف مفصل يتناول جغرافية البلاد العربية جميعاً ، يكون بمثابة مرجع جغرافي يحوي آخر ما وصل اليه العلم ، وتحقيقاً لهذه الغاية توصي اللجنة بان تتولى جامعة الدول العربية تأليف لجنة فنية لاتخاذ الوسائل اللازمة لتنفيذ هذا الاقتراح .

التاريخ

يرى المؤتمر :

اولاً : ان يكون محور دراسة التاريخ في المرحلة الابتدائية تاريخ القطر الخاص الذي يعيش فيه التلميذ ، مع العناية بدراسة الصلات بين هذا القطر وبين البلاد العربية قبل الاسلام وبعده .

ويتمّ هذا الغرض بدراسة القصص المشوّقة وتراجم ابطال التاريخ القومي ، وتراجم ابطال العرب ، ممن تجاوز اثرهم حدود بلادهم .

ينبغي الاشارة في ثنايا قصص الابطال الى الحياة الاجتماعية في مختلف العصور ، مع الموازنة بين الحياة الماضية والحياة الحاضرة التي تقع تحت حسّ التلميذ ، والعناية بالحياة المعيشية لطبقات الشعب .

على انه في السنة الاخيرة من المرحلة الابتدائية ، يجوز ان يدرس التاريخ على صورة منظمة مع مراعاة تيسيره لملاءمة عقلية الاطفال ومدى خبراتهم .

ثانياً : ان يكون محور دراسة التاريخ العربي في التعليم الثانوي النواحي الاجتماعية والوصفية ، مع بيان اثر الشخصيات الفذّة ، والاحداث والوقائع اللازمة لتصوير الحقائق ، وتبيينها في الاذهان وتقصي مظاهر التطوّر والنضج التام

ثالثاً : ان يشمل القدر المشترك من التاريخ العربي الذي يدرس في المدارس الثانوية في جميع البلاد العربية ما يأتي :

ا – تاريخ العرب قبل الاسلام .

ب – تاريخ العرب منذ ظهور الاسلام الى الفتح العثماني .

ج – النهضة العربية الحديثة .

اما الجزء الواقع بين الفتح العثماني والنهضة العربية الحديثة فيدخل ضمن المنهج الخاص الذي تضعه الهيئات المشرفة على التعليم في كل دولة عربية . ويترك توزيع هذا المنهج على الفرق للهيئات المشرفة على التعليم في كل دولة منها .

رابعاً : ان يعنى ، في المرحلة الثانوية ، بالقدر من التاريخ العالمي اللازم لمساعدة الناشيء على فهم مكانة بلاده والدول العربية بين دول العالم ، ومشاكل المدنية الحديثة .

خامساً : انه ينبغي ان يدرس التاريخ دراسة علمية ، ويناقش مناقشة قائمة على منطق انساني عادل .

سادساً : انه يستحسن ان تكون طريقة تدريس التاريخ اساساً التدرّج من القديم الى الحديث . ولا مانع من التحلل من ذلك عند الاقتضاء .

سابعاً : ان يدرس تاريخ العرب على حسب الدول والعصور المتتابعة وفقاً للطريقة التقليدية .

ثامناً : ان يدرس تاريخ الشعوب العربية ، بعد سقوط بغداد ، على اساس تاريخ الدولة الخاصّ ، مع الاشارة الى تاريخ الدول العربية الاخرى وبيان ما بينها من علاقات .

تاسعاً : ان يدرس تاريخ الحضارة العربية متصلاً بالتاريخ العربي العام بمعنى انه بعد الانتهاء من العرض العام لكل عصر يدرس الطالب حضارة هذا العصر.

عاشراً : انه ينبغي للاستفادة من دراسة التاريخ العربي في تقوية الروح العربية الحقة الاهتمام بالنواحي الآتية :

١ – بيان اثر امم الشرق الادنى وفضلها في بناء صرح المدنية القديمة ومقدار تأثر اليونان والرومان بحضارات الشرق القديم في الشام وفلسطين ومصر وغيرها.

٢ – تتبع الصلات السلالية والتجارية والثقافية بين امم الشرق الادنى تلك الصلات التي وجدت قبل الاسلام ، ثم جاء الاسلام فدعمها وزاد في اواصرها.

٣ – ابراز الاحداث العظيمة والمواقف الحاسمة ، ونواحي البطولة في العصور العربية الزاهرة ، ودراسة الاسباب والنتائج في تفصيل يتضح منه اثر الحياة الشعبية والروح العربية في ارتقاء الدولة او الدول العربية وهبوطها.

حادي عشر : ان من الوسائل التي تساعد على تنمية الروح العربية وتحقيق الاغراض المقصودة من تدريس التاريخ بالبلاد العربية ما يأتي :

١ – تأسيس الجمعيات التاريخية لتبادل الآراء والكشوف والبحوث.

٢ – تنظيم رحلات الاساتذة والطلبة بين البلاد العربية.

٣ – عقد مؤتمرات دورية للدراسات التاريخية من وقت لاخر في عواصم البلاد العربية.

٤ – الاهتمام بالمآثر الاثرية وانشاء المتاحف التاريخية والاستعانة بالفنون الجميلة لتوضيح التاريخ العربي مثل الروايات التاريخية والقصص التاريخية واللوحات الفنية والافلام.

٥ – العناية بالتقاليد المحلية والازياء الخاصة والاغاني الشعبية ، مع تهذيبها بما يتفق مع المدنية الحديثة والروح العربية.

٦ – العمل على تخليد ذكرى عظماء الشرق العربي ، واحداثه التاريخية ، بطرق مختلفة كاقامة التماثيل واطلاق اسمائهم على الشوارع والميادين وتسمية كراسي الاستاذية في الجامعات باسماء النابغين منهم في مجال البحث العلمي الى غير ذلك من الوسائل التي تبرز المثل العليا التي ينبغي ان يتجه نحوها شباب العرب فيعتزون بمياثمهم الاجتماعي ويشعرون نحو هؤلاء العظماء بالجميل فيعملون على المحافظة على هذا التراث بل وعلى الاستزادة منه.

الادب

قسم المؤتمر بحوثه في الادب الى مرحلتين : مرحلة التعليم الابتدائي ، وهي التي ينتهي منها التلميذ عادة حوالى سن الثانية عشرة ، ومرحلة التعليم الثانوي ، وهي التي تليها الى السابعة عشرة تقريباً.

وتعتبر مواد التثقيف الادبي في المرحلة الاولى خمساً : المطالعة ، والقصص ، والاناشيد ، والمحفوظات ، والتعبير ، وفي المرحلة الثانية : الادب نصوصه وتاريخه ، والنقد ، والبلاغة ، والقراءة والمطالعة ، والتعبير.

مرحلة التعليم الابتدائي :

أ – الغاية من التثقيف الادبي في هذه المرحلة تنشئة الطالب على الاخلاق السامية والروح الوطنية والشعور العربي ، مع تربية ذوقه الفني ، وتنمية ملكة التعبير فيه ، وتزويده بطائفة من المعلومات تزيد في ثقافته العامة .

وتحقيقاً لهذا يقترح المؤتمر ما يلي :

١) ان تكون المواد التي تقدم له ذات صلة وثيقة بتلك الاهداف .

٢) ان تشتمل على طائفة من الاناشيد والمحفوظات والقصص وتعلم المطالعة ، التي تمتاز بسهولة التعبير وصحته وجماله .

٣) أن يراعى في اختيارها مقدرة الطالب الذهنية وبيئته وتربيته .

٤) ان تشتمل بوجه خاص على موضوعات تتصل بالفضائل العربية وبالتراث العربي .

ب – ولكي تنمى ملكة التعبير عند طفل المرحلة الابتدائية يجب ان تهيأ له الفرص للتعبير عن تجاربه ومشاهداته بالكلام وبالكتابة . ويراعى في ذلك ان تكون الحرية اساساً للتعبير ، والابتعاد بحصة او حصص معينة يقتصر عليها ، فالتعبير باوسع معانيه يتحقق في كل درس وفي كل وقت ، واذا اخذناه بهذا المعنى بعدنا به عن جو الكلفة الضيق ومزجناه بالحياة . ويحسن ان يتخذ المعلم اللغة العربية السهلة وسيلة في تعليمه ، وان يشجع التلاميذ على التعبير بها ، وان يتدرج بهم في ذلك الى ان يستطيعوا في نهاية المرحلة التعبير السليم .

وتستخدم التربية الحديثة وسائل كثيرة لتشجيع التعبير بنوعيه الشفهي والكتابي تنبني الافادة منها ، مثل قص الاخبار في الفصل ، او كتابتها لمجلة المدرسة ، ومثل مناقشة ما في كتب المطالعة من صور ، وتكميل القصص القصيرة ، وسرد القصص المسموعة او المقروءة وتمثيلها ، ومثل تحويل القصص الى حوار تمثيلي ، وكتابة الرسائل ، ووصف الوقائع التاريخية وغير ذلك .

ج – الهدف الذي ترمي اليه دراسة القدر المشترك هو اثارة شعور المشاركة بين سكان الاقطار العربية في الحضارة والتاريخ ، وفي متركاتهم من النشاط الدولي الحديث .

وهذا القدر ينبغي ان يكون في المرحلة الابتدائية يسيراً ملائماً لمدارك التلاميذ ، وهذا لقدر ارق منه في المرحلة الثانوية .

ويمكن توفير هذا القدر في المرحلة الابتدائية عن طريق :

١) الاناشيد : فتختار منها مجموعة تكون موضوعاتها مناسبة لفكرة التعاون العربي والمشاركة في الشعور ، توقع توقيعاً موسيقياً ، ويحفظها بتوقيعها تلاميذ جميع الاقطار العربية .

٢) المحفوظات : فتختار قطع سهلة ، يلاحظ فيها ان تكون مما يشيد بالاخلاق العربية من نجدة وبطولة وما اليها ، وان يكون بعضها لادباء من الاقطار العربية المختلفة ، مع تعريف بسيط بهم ، وهذه يحفظها جميع التلاميذ .

٣) القصص : فيختار منها عدد يحقق الفكرة السابقة ، من تصوير الكرم والاباء وعزة

النفس وغيرها . . . الاعجاب بتاريخ العرب وابطالهم قدامى ومحدثين

٦) المطالعة : فتناول بعض كتبها في كل قطر موضوعات تعين على تقوية الروابط العربية ، كوصف بعض المشاهد والآثار القائمة في مختلف الاقطار العربية ، وكالحديث عن فضائل العرب وفتوحاتهم ودولهم ، وثقافاتهم وفنونهم .

ويلاحظ ان يدرس هذا في مرحلة التعليم الابتدائي مؤيداً بالصور والرسوم ، او مصاحباً للموسيقى ، او قائماً على التمثيل والحوار ، كما هو مقرر في اساليب التربية .

مرحلة التعليم الثانوي :

أ – الادب نصوصه وتاريخه :

١) يجب ان ينظر الى الادب نظرة واسعة ، بحيث لا يكون مقصوراً على الشعر والنثر الفنيين ، بل يتناول ايضاً الموضوعات الفكرية والعلمية المصوغة صياغة ادبية مثل مقدمة ابن خلدون ورحلات ابن جبير وابن بطوطة ، ورسالة حي بن يقظان ، وبعض كتابات الغزالي ، وبعض قطع تاريخية من الطبري والفخري ونحو ذلك .

٢) في المرحلة الاولى من دراسة الادب يكون الاعتماد على نصوص اكثرها من الادب الحديث ، واقلها مما يقرب من هذه النصوص في السهولة من الادب القديم ، على ان تتدرج هذه النصوص في الصعوبة مع تقدم الدراسة ، ويكتفى من تاريخ الادب في هذه المرحلة بما كان تعريفاً موجزاً بقائل القطعة وما كان لازماً لفهمها .

٣) وفي المرحلة الثانية تختار نصوص ادبية مرتبة حسب العصور من الجاهلي الى الحديث ، يراعى في اختيارها دلالتها على روح عصرها وتصويرها لخصائصه الفنية ، مع مناسبتها لاستعداد الطالب وفهمه ، وتكون دراسة تاريخ الادب مستمدة من هذه النصوص .

ب – النقد والبلاغة :

١) يرى المؤتمر انه يجب الا نتقيد في التعليم الثانوي بالبلاغة الشكلية النظرية ، وان نعود بالنقد الى وظيفته الاساسية : وهي تذوق الادب ، وفهم نصوصه ، وادراك صوره ومعانيه ، والقدرة على محاكاته . والطريق الطبيعي الى ذلك هو العناية بالنصوص نفسها ، وفهم المراد منها ، ومناقشة افكارها ، وتبين ما فيها من جمال او نقص ، ثم وصف ما بينها وبين شخصيات منشئيها من صلات . ويكون هذا النقد العملي جزءاً اصيلاً في درس نصوص الادب في جميع سني الدراسة .

٢) تحقيقاً لهذا المبدأ يجب ان تسير في المرحلة الثانية الطريقة التي اتبعت في المرحلة الاولى من دراسة نصوص ادبية مختارة غير مقيدة بترتيب زمني ، لتكون محوراً لدرس النقد الادبي ، ووسيلة لتنمية ملكات النقد الادبي والبلاغة عند التلميذ ، مع مراعاة ما تتطلبه سن التلميذ ونمو استعداده في اختيار هذه النصوص ومنهج دراستها .

وهذه تسير الى جانب النصوص الاخرى المرتبة ترتيباً زمنياً ، والتي تختار مادة لدرس تاريخ الادب في هذه المرحلة .

٣) يخصص من دروس النقد العملي بالسنتين الاخيرتين من التعليم الثانوي درس يعنى فيه المدرس بتعريف التلاميذ اجمالاً بالعناصر العامة من البلاغة ، كالايجاز والاطناب ، والحقيقة والمجاز ، والتشبيه والاستعارة والكناية وبعض المحسنات البديعية ، وبالعناصر العامة من النقد : كالاساليب واختلافها ، وفنون الكلام من شعر ونثر وما بينها من فروق . على ان يكون هدف هذه الدراسة لا معرفة العناصر البلاغية والنقدية لذاتها ، ولكن لتعين الطالب على ادراك اسرار الجودة والجمال في الادب .

٤) يقترح المؤتمر ان تكون هناك في كل سنة من سني المرحلة الثانية من التعليم الثانوي دراسة تحليلية لاديب من ادباء العصر او العصور التي يدرس تاريخ ادبها في هذه السنة ، تكون غايتها خدمة الدراستين التاريخية والنقدية .

٥) يراعى في اختيار النصوص النقدية في السنة الثالثة من التعليم الثانوي ان تكون عرضاً لنماذج من العصور المختلفة لفن من الفنون الادبية ، تبنى عليها دراسة موجزة سهلة لتطور هذا الفن ، وتجدد وزارات المعارف تحديد هذا الفن في برامجها من حين الى آخر .

٦) عند الكلام على ما بين الشعر والنثر من فروق يعنى المدرس ببيان نظام القصيدة العربية في اوزانها الموسيقية وفي قافيتها . فيحاول من طريق عرض قصائد كثيرة من اوزان مختلفة ان يطبع في اذهان التلاميذ صوراً لموسيقى الشعر العربي ، مبيناً لهم ان كل وزن منها له اسم خاص ، ممثلاً ببعض الاوزان واسمائها من غير استقصاء ، لافتاً نظر التلاميذ الى طابع القصيدة العربية في قافيتها . والغاية من هذه الدراسة ان يتبين التلاميذ عنصر الموسيقى في الشعر العربي ، ويتعودوا قراءته بصورة صحيحة ، ويتمكن من تقويم شعرهم الذي قد يحاولون نظمه .

ج – القراءة والمطالعة :

يرى المؤتمر :

١) ان تنوع القراءة والمطالعة الى صامتة وجهرية ، والى داخلية (في الفصل) وخارجية ، ليكون ذلك عوناً على تحقيق الاغراض المختلفة من هذه المادة .

٢) ان ينبه الى الاستكثار من القراءة الجهرية في المرحلة الاولى من التعليم الثانوي ، وتخصص لها كتب ، وبعنى في المرحلة الثانية بالقراءة المستقلة والخارجية ، في كتب ذات وحدة موضوعية ، بجانب كتب النصوص .

٣) ان تتخذ الوسائل المختلفة لترغيب التلاميذ في القراءة الخارجية .

د – التعبير :

لاحظ المؤتمر ان تسمية الانشاء باسم « التعبير » افضل ، لما في هذا من توسيع لمدلوله ، وخروج به عن دائرة الشكلية والتكلف ، وتنبيه الى نواح من النشاط تساعد على نمو الملكة المعبرة المبتكرة عند التلميذ .

والمؤتمر يقترح في شأنه ويوصي بما يلي :

١) ان الاساس الاول في تنمية قوى التعبير عند التلاميذ في جميع سني الدراسة الثانوية هو استغلال كل الفرص الطبيعية الممكنة : مثل حلّ النصوص الادبية وشرحها ونقدها ، ومثل تلخيص القصص والكتب ، والتعليق على الحوادث الجارية ، وكتابة التقارير عن الرحلات والمشروعات واشرطة الخيالة (؟) (١) ، واعداد المقالات والاخبار بمجلة المدرسة ، وكالخطابة والمناقشة والمناظرة وغيرها مما يدخل في نشاط الجمعيات الادبية في المدرسة .

٢) غير ان النشاط التعبيري لا ينبغي ان يقتصر على مجرد استغلال الفرص ، بل يجب ان يخصص له وقت في جدول الدراسة في جميع السنوات . وان يشمل – بجانب ما تقدم – القصد الى التدريب الفني والابتكار ، من طريق اقتراح موضوعات على التلاميذ يكتبون فيها ، بعد اعداد او من دون اعداد ، مع الحرص على استقلالهم في التفكير والتعبير . وهذه الموضوعات قد تأخذ شكل مقالات او رسائل او قصص ، او بحوث في موضوعات الدراسة الادبية المقررة .

٣) ينبغي ان يكثر النوع الاول في سنوات المرحلة الاولى من التعليم الثانوي ، على حين يبدأ الثاني قليلاً ، ثم يأخذ في الكثرة تدريجاً حتى يغلب في المرحلة الثانية .

٤) ينبغي ان يوجه مدرسو التعبير الى العناية بتقدير الافكار وبطريقة بناء الموضوع ، الى جانب عنايتهم باسلوب التعبير .

٥) يوصي المؤتمر ان يعمم – في الدول العربية التي لم تأخذ به – نظام تحضير ورقة لامتحان التعبير ، تحتوي موضوعات متنوعة – بين ادبية واجتماعية واقتصادية وغير ذلك – يختار الطالب منها واحداً للكتابة فيه .

هـ – توصيات عامة :

١) يوصي المؤتمر ان يسار في دراسة القدر المشترك في المرحلة الثانوية على النهج الذي قرر في مرحلة التعليم الابتدائي مع التوسع في هذا بما يقتضيه ترقي الدراسة واتساع مدارك التلاميذ وآفاقهم .

٢) في البلاد العربية التي تفرق – في عدد دروس اللغة العربية واهميتها في دراستها وامتحاناتها – بين القسم الادبي والقسم العلمي ، وبين مدارس البنين ومدارس البنات يوصي المؤتمر ان يؤخذ بنظام المساواة في هذه الاقسام والمدارس .

٣) يوصي المؤتمر بان يعطى للغة العربية – وهي عماد الثقافة القومية – اكبر مقدار ممكن من زمن الدراسة في مناهج التعليم .

---

١) اشرطة الخيالة : كذا ، ولعلهم قصدوا الافلام السينمائية ؟ قلنا : ولِمَ لم يقولوا : السينما ، كما قال اعضاء لجنة التاريخ ، او الافلام كما كتب اعضاء لجنة الجغرافية . وإلام تظلّ لغة « الادب » بعيدة عن لغة الحياة ؟ . . .

اللغة والقواعد

١ – يرى المؤتمر ان قواعد اللغة العربية ، من نحو وصرف واملاء ، تحتاج الى تيسير وتبسيط ، يقربانها من مدارك الطلاب ، على الا يمس ذلك بحال من الاحوال جوهر اللغة .

٢ – ويرى ان القصد من تعليم اللغة العربية في مختلف المراحل الاهداف الآتية :

ا – ان تجعل الطلاب قادرين على القراءة الصحيحة في سهولة ويسر ، وان يفهموا ما اشتملت عليه الكتب من افكار ومعان .

ب – تمكين الطلاب من التعبير عما يجول في نفوسهم ويخ تحت حواسهم بعبارة صحيحة مع الدقة وطلاقة اللسان وقوة البيان .

ج – ان تكون دراسة العربية وسيلة للثقافة ، وتوسيع المدارك وتنمية الذوق السليم وتزويد الطلاب بكثير من المعلومات القيمة . لا ان تكون محض دراسة لالفاظ وتراكيب ومقررات ، عمادها الزينة والزخرف الشكلي ، وهي في الحقيقة فارغة لا روح فيها ولا حياة .

د – وان يتصل الطلاب اتصالاً وثيقاً بالحياة الادبية والعلمية المحيطة بهم ، وان يسايروا النهوض الادبي الحديث ، لا ان يكونوا بمعزل عما حولهم ، فتكون المدرسة في ناحية ، والحياة الادبية الواقعية في ناحية اخرى .

ه – وان تكون المدرسة مثيرة روح الشوق الى القراءة والاستزادة من الثقافة ، والوقوف على ما جاء به الكتاب والمفكرون في العصور المختلفة .

٣ – ويرى المؤتمر انه لا بد من تدريس قدر من قواعد اللغة (صرفها ونحوها) في المرحلتين الابتدائية والثانوية ، لتحقيق الاهداف السابقة ، على ان يراعى في تدريسه التبسط والتيسير . وان توجه العناية الى تقويم اللسان على اساس المحاكاة والتدريب والتكرار .

٤ – ويرى المؤتمر قدراً ملائماً من قواعد النحو والصرف والاملاء لكل من مرحلتي التعليم الابتدائية والثانوية ليكون حداً مشتركاً في جميع البلاد العربية . والاتفق على وضع منهج مفصل موزع على الصفوف توزيعاً روعي فيه استعداد الطالب وحاجته في كل فرقة من الفرق الدراسية . (وهذه الجلسة لا تتسع لتفصيله) .

٥ – ويرى المؤتمر توجيه العناية الى تجويد النطق وحسن الاداء منذ مرحلة رياض الاطفال الى نهاية مرحلة التعليم الثانوية ، رغبة في ان تتقارب لهجة الناطقين بالعربية في مختلف اقطارها وان تكون ادنى الى النطق الصحيح .

٦ – ويرى المؤتمر ان القدر المشترك انما يصلح منهجاً لطلاب الثقافة العامة . اما الطلاب الذين يرغبون في التخصص او يعدون لتدريس اللغة العربية فيكون لهم منهاج اوسع واعمق .

٧ – ويرى ان من الوسائل العملية لتطبيق المنهج تأليف كتب تعالج موضوعاته ليستفيد منها المعلمون والطلاب .

٨ – ويرى ان الاتفاق على منهج واحد لا يكفي لتقريب الثقافة والنهوض باللغة العربية اذا لم يعد لتعليم هذا المنهج معلمون على حد كبير من العلم وسعة الافق والقدرة على التدريس. ولذا قرر انه لا بد من انشاء معاهد عليا موحدة النظام في الاقطار العربية لتخريج ذلك النوع من المعلمين.

٩ – ويرى عقد مؤتمرات دورية لمعلمي اللغة العربية تشخص اليها وفودهم من مختلف البلاد للبحث وتبادل الرأي في اساليب التعليم كي يستفيد بعضهم من تجارب بعض وكي يتحدوا في الوسائل والغايات وينهضوا باللغة العربية وآدابها.

واردفت لجنة اللغة والقواعد مقرراتها بملحقين تناول الاول «منهاج الصرف والنحو والاملاء للصفوف الابتدائية والثانوية» والثاني «وسائل تجويد النطق» ولم نرَ منهما فائدة كبيرة فتركناهما. وذلك ان اللجنة لم تأتِ بجديد؛ ولم تحلّ، بل لم تحاول التعرّض للمشاكل العالقة منذ القدم بتدريس هذه المواد!

فهارس المشرق

للسنة الحادية والاربعين
١٩٤٧

فهرس أول

لمواد الاجزاء

الجزء ١ (كانون الثاني – آذار) : فنّ الطبخ واصلاح الاطعمة في الاسلام، بقلم حبيب زيّات (١–٢٦) = الاسكندرية في اواخر القرن الثاني للمسيح، بقلم الاب كلود موتديزير اليسوعي (٢٧–٥١) = مظاهر النشاط الادبي، لمحة نقدية بقلم فؤاد افرام البستاني (٥٢–٧٣) = الفنّ القصصي اللبناني في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، بقلم فيكتور كلارجي كرم (٧٤–١٠٥) = ثياب الوشي، بقلم حبيب زيّات (١٠٦–١١٥) = معرض الفنون الجميلة في المتحف اللبناني (مصوّرة)، بقلم رشدي معلوف (١١٦–١٣٦) = ثياب الشَّرب، بقلم حبيب زيّات (١٣٧–١٤١) = معهد الآداب الشرقية: منهاج شهادات الليسانس ومنهاج التعاليم للسنة ١٩٦٦–١٩٦٧ (١٤٢–١٤٤)

الجزء ٢ (نيسان – حزيران) : من الخزانة الشرقية، بقلم حبيب زيات (١٤٥–١٧٠) : الجوالي او جزية رؤوس النصارى في الاسلام (١٤٥) – خصائص بطريك قديمًا في الصناعة والزراعة (١٥٧) – السرقين والسماد في الزراعة قديمًا (١٦٣) = يوسف العفيف وامرأة فرطيفار: نشيد للشاعر رومانوس المرنّم، نقله عن اليونانية وعلّق عليه الاب نيقولاوس قادري قب (١٧١–١٨٩) = المدرسة اللبنانية في ظلال المعابد والاشجار في القرن التاسع عشر، بقلم لحد خاطر (١٩٠–٢٠٠) = صناعة الخزف في بيت شباب (مصوّرة)، بقلم الاب موريس دي فنويل اليسوعي (٢٠١–٢١٧) = لمحة في حياة الانسان الاول في العصر الظرّافي القديم: حفريّات كسار عنيل فوق انطلياس (مصوّرة)، بقلم الاب ج. فرانكلين بيونغ اليسوعي (٢١٨–٢٤٨) = وثائق تاريخية عن حلب في القرن

الثامن عشر ، بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي (٢٤٩-٢٧٠) = مكتبة المشرق : ديوان ابن الساعاتي نشر انيس المقدسي ، نقد واستدراك بقلم حبيب زيات (٢٧١-٢٩٩) ؛ وصف ٤ كتب باللغات الاوربية ، وكتاب باللغة العربية (٣٠٠-٣٠٤)

الجزء ٣ (تموز - ايلول) : الوراقة والورّاقون في الاسلام ، بقلم حبيب زيات (٣٠٥-٣٥٠) = تحفة القادم لابي عبدالله بن الأبّار (منتخب) نشرها الفريد البستاني : ١ (٣٥١-٤٠٠) = حمامات دمشق : نصوص ينشرها صلاح الدين المنجّد (مصورة) (٤٠١-٤٢٦) = تاريخ اسبانية في عهدها الاسلامي : بحث انتقادي للاب اسطفان لانور اليسوعي (٤٢٦-٤٣٦) = شذرات : شرّ السرقات الادبية سرقات المعلمين (٤٣٧-٤٤١) = مكتبة المشرق : وصف ٩ كتب باللغات الاوربية ، و١١ كتاباً باللغة العربية (٤٤٢-٤٦٤)

الجزء ٤ (تشرين الاول - كانون الاول) : من الخزانة الشرقية ، بقلم حبيب زيات (٤٦٥-٥٠٠) : ازياء الاكمام وما كانت تصاح له في الملابس العربية (٤٦٥) - لغة الحضارة : الفتوّة والفتيان والفتيانية (٤٧٧) - أهيّة ومهمّ وصنج (٤٨٤) - دفاتر الخزائن : تذكرة ابن العديم (٤٨٨) = مع الكونت دي ڤولني في لبنان وسورية ، بقلم يوسف غصوب (٥٠١-٥١٨) = « الاكروستيش » او فنّ التوزيع ودلالته على صحة نسبة كتاب الاكطوخوس ليوحنا الدمشقي ، بقلم الاب نيقولاوس قادري قب (٥١٩-٥٤٢) = تحفة القادم لابي عبدالله بن الأبّار (منتخب) نشرها الفريد البستاني : ٢ (٥٤٣-٥٨٥) = الفتح الرباني والفيض الرحماني للشيخ عبد الغني النابلسي : تعريف بقلم الاب انطونيوس شبلي البستاني (٥٨٦-٦١١) = شذرات : التذكار المئوي الاول للسيد الفرنسوي في اثينة (٦١٢-٦١٦) - وصية فرانس كوبون الروحية (٦١٧-٦١٩) - مؤتمران ثقافيان (٦٢٠-٦٣٨) - فوارس المشرق للسنة الحادية والاربعين (٦٣٩) .

فهرس ثانٍ

كتبة المشرق ومقالاتهم

ا

ابن الأبّار (ابو عبدالله) : كتاب تحفة القادم ٣٥١–٤٠٠، ٥٤٣–٥٨٦

ابن سيّار الورّاق : كتابه في الطبخ واصلاح الاعذبة والمأكولات ١٨–٣٦

ابن عساكر : حمّامات دمشق ٥ ٤–٤٠٨

ب

البستاني (الفريد) : نشره منتصب تحفة القادم لابن الأبّار ٣٥١–٤٠٠، ٥٤٣–٥٨٦

البستاني (فؤاد افرام) : مظاهر النشاط الادبي : لمحة نقدية ٥٣–٧٣ – وله وصف مطبوعات ٤٥٣–٤٦١، ٤٦٣

البانيتي (ابراهيم بن محمد) : اقتضابه تحفة القادم لابن الأبّار ٣٥١–٤٠٠، ٥٤٣–٥٨٦

ت

ترتل (الاب فردينان اليسوعي) : وثائق تاريخية عن حلب في القرن الثامن عشر ٢٤٩–٢٧٠ – وله تعريبات ٢٠١–٢١٧، ٤٢٦–٤٣٦ – وله وصف مطبوعات ٢٠١–٢٠٤، ٤٤٤–٤٤٦، ٤٤٨–٤٥٠، ٤٦٤

ث

ث . (س) : له وصف مطبوعة ٤٤٧

ج

جاطر (لحد) : المدرسة اللبنانية في ظلال المعابد والاشجار في القرن التاسع عشر ١٩٠–٢٠٠

و

رومانوس المرتم : يوسف العفيف وامرأة فوطيفار ١٧١–١٨٩

ز

زيات (حبيب) : فن الطبخ واصلاح الاطعمة في الاسلام ١–٣٦ – ثياب الوشي ١٠٦–١١٥ ثياب الشرب ١٢٧–١٤١ – الجوالي او جزية رؤوس النصارى في الاسلام ١٤٥–١٥٦ – خصائص بعلبك قديمًا في الصناعة والزراعة ١٥٧–١٦١ – السرفين والسماد في الزراعة قديمًا ١٦٣–١٧٠ – ديوان ابن الساعاتي : نقد واستدراك ٢٧١–٢٩٩ – الوراقة والورّاقون في الاسلام ٣٠٥–٣٥٠ – ازياء الاكمام وما كانت تصلح له في الملابس العربية ٤٦٥–٤٧٦ – الفتوة والفتيان والفتيانية ٤٧٧–٤٨٣ – اهمية وهم وصنيع ٤٨٤–٤٨٧ تذكرة ابن الديم ٤٨٨–٥٠٠

ش

شبلي (الاب انطونيوس اللبناني) : تعريف بمخطوطة الفتح الرباني والفيض الرحماني للشيخ عبد الغني النابلسي ٥٨٦–٦١١

غ

غصوب (يوسف) : مع الكونت دي فولني في لبنان وسورية ٥٠١–٥١٨

ف

فنويل (الاب موريس دي اليسوعي) : صناعة الخزف في بيت شباب ٢٠١–٢١٧

ق

قادري (الاب نيقولاوس قب) يوسف العفيف وأمرأة فوطيفار : نشيد للشاعر

رومانوس المرنم ١٧١ - ١٨٩ - «الاكروستيش» او فن التوزيع ودلالته على صحة نسبة كتاب الاكطوبخوس ليوحنا الدمشقي ٥١٩-٥٤٢

ك

كرم (ڤيكتور كلارجي) : الفن القصصي اللبناني في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ٧٤-١٠٥

ل

لاتور (الاب اسطفان اليسوعي) : تاريخ اسبانية في عهدها الاسلامي ٤٢٦-٤٣٦- وله وصف مطبوعات ٤٤٣

م

معلوف (رشدي) : معرض الفنون الجميلة في المتحف اللبناني ١١٦-١٢٦

المنجّد (صلاح الدين) : حمامات دمشق أ٤٠-٤٢٥

موتزد (الاب رينه اليسوعي) : وصية فرانسيس كومون الروحية ٦١٧-٦١٩-له وصف مطبوعات ٤٥٠-٤٥٢

موندزير (الاب كلود اليسوعي) : الاسكندرية في اواخر القرن الثاني للمسيح ٢٧-٥٢

يوبيل المعهد الفرنسوي في اثينة ٦١٢-٦١٦

ن

النابلسي (عبد الغني) : الفتح الرباني والفيض الرحماني (مخطوطة) ٥٨٦-٦١١

ي

يوونغ (الاب ج. فرانكلين اليسوعي) : لمحة في حياة الانسان الاول في العصر الطرابي القديم : حفريات كسار عقيل فوق انطلياس ٢١٨-٢٤٨

يوسف بن عبد الهادي : عدّة الملمات في تعداد الحمامات ٤٠٩ - ٤١٨ - آداب الحمام واحكامه ٤٢٣-٤٢٥

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة الحادية والاربعين

على ترتيب اسماء مؤلفيها

١ — المطبوعات الشرقية

ا

ابن الاخوة : معالم القربة في احكام الحسبة ٣٠٠

ابن الساعاتي : ديوانه : الجزء الثاني ٣٧١-٣٩٩

ابو الخير (رشيد الدين فضل الله بن عماد الدولة) : كتاب تاريخ مبارك غازاني داستان غازان خان ٤٤٦

ارملة (الخوري اسحق) : مار يعقوب ٤٦١

ب

البستاني (الفريد) : اطلب النزّال ، ومحمد ابن عبدالله .

البديعي (يوسف) : آوج التحرّي عن حيثيّة ابي العلاء المعرّي ٥٣-٥٤

ج

جحيم (المطران جاورجيوس) : حياة يسوع ٣٠٤

د

الدباغي (محمد بن الحسن) : قواعد عقائد آل محمد ٤٤٤

ز

زهيراني (الاب متوديوس) : ثلاث محاضرات في التعليم ٥٤

زيادة (قرحات) : تاريخ الشعب الاميركي ٤٦٣

ر

رضا (محمد) : اطلب : شامبيون (سلوين حربي)

ش

شامبيون (سلوين حربي) : امثال الامم الاوربية ٤٦٤

الشرتوني (توفيق حسن) : دموع الوفاء بين الاشلاء والدماء ٤٦٤

ص

صقر (الياس يوسف) : اركان المجتمع الثلاثة : العيلة ، الوطن ، الدولة ٤٦٣

صوت المرأة ٦٥

ع

عطّار (فريد الدين) : الهي نامه ٣٠٣

عقل (سعيد) : قدموس ٤٥٣-٤٥٩

غ

الغزال (احمد بن المهدي) : نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد ٤٥٩

ف

الفاخوري (الاب يوحنا) : اخوان الصفاء ٥٧

فارس (نبيه امين) : العرب الاحياء ٦٥

فريحي (ابراهيم) : تاريخ الشعب الاميركي ٤٦٣

ك

الكيلاني (ابراهيم) : راجع البديعي

كيلاني (محمد سعيد) : اثر التشيّع في الادب العربي ٤٦٣

م
محاضرات الندوة اللبنانية ٥٥
محمد بن عبدالله (مولاي) : مساند الأئمة ٤٦٠
المرآة : عدد خاص بذكرى الشيخ ابراهيم اليازجي ٥٨-٦٣
المفضّل بن سلمة : كتاب الملاهي ٣٠١
المقدسي (انيس) : نشره ديوان ابن الساعاتي : الجزء الثاني ٣٢١-٣٢٩

٢ — المطبوعات الاوروبية

Abd-el-Jalil, o. f. m., (Jean-Mohammed). L'Islam et nous. (450)
Aspinion (Dr R.), Contributions à l'étude du droit coutumier berbère marocain. (71).

Blachère (R.), Le Coran I (68-70)
Bordeaux (H.), Le visage du Maroc. (71)

Farès (Bishr), Une miniature nouvelle de l'Ecole de Bagdad datée 614 hég. (1217-18) figurant le prophète Muhammad. (452)

Gabrieli (Francesco). Storia e civilità musulmana. (442)
Georgesco (J.), Une enquête sur l'Union des Eglises en Roumanie. (302).

Henninger (Dr J.), Die Familie bei den heutigen Beduinen Arabiens und Randgebiete. (70)
Husain (Agha Mahdi), Le gouvernement du Sultanat de Delhi. (445)

Islam Ansiklopedisi, I. (447).

Jahn (Karl), Geschichte Ġazān-Ḫān's. (446).

Lévi-Provençal (L.), Histiore de l'Espagne musulmane. t. I. (426-436).

Rambout (Lucien), Les Kurdes et le droit. (449).
Ritter (H.), Ilahi-Name die Gespräche des Königs mit seinen Sechs Söhnen. Eine mystische Dichtung von Fariddaddin Attar. (303).

Sauvaget (J.), Historiens arabes. (68).
Strothmann (R.), Die Geheimlehre Der Baliniten nach der apologie «Dogmatik des Hauses Muhammed» Von Muhammed ibn Al-Hasan Ad-Dailami. (444)

Thérol (J.), Martyrs des Sables. (72).

Vnoonen (Eugène), Les noms des Personnes en Orient et spécialement en Egypte. (448).

فهرس رابع

لجميع موادّ السنة الحادية والاربعين من المشرق

ا

آداب الحمام واحكامه ٤٢٢

الآداب الشرقية : معهدها ١٤٣-١٤٤

ابن الأبّار : مقتضب مخطوطته تحفة القادم ٢٥١-٤٠٠:٥٤٢-٥٨٦

ابن ابي البقاء ٥٥٥

« ابي خالد اللخمي ٥٥٩

« ابي روح ٣٨٠

« ابي قرة الازدي ٥٥٢

« ادريس التجيبي ٥٦٨

« الاصبغ ٣٧٢

« بدرون ٥٥٢

« البراء التجيبي ٣٥٧

« ثعلبة ٥٥٤

« الجابزة ٣٧٢

« جرج ٣٨٦

« الجنان ٣٩١

« جمهور الازدي ٥٦٨

« حارث اليحصبي ٣٩٥

« حجّاف المافري ٣٧٥

« حادو الصنهاجي ٥٦٧

« ذمام ٣٩٤

« الساعاتي : ديوانه ٣٧١-٣٩٩

« سَفَر ٥٤٩

« سكن ٣٧٦

« سلام المافري ٣٧٤

« سيّار الوراق : كتابه في الطبخ واصلاح الاغذية والمأكولات ١٩٣-٢٦

ابن شبه الاقليمي ٣٦٩

« شطرية ٥٤٧

« شكيل ٥٤٧

« شلبون المافري ٥٧٨

« الشوّاش ٣٦٩

« صبرة النافق ٣٧٢

« صقلاب ٥٦٣

« طالب ٥٤٧

« طفيل الغيبي ٣٩٣

« طلحة الانصاري ٥٨١

« عبد ربه (ابو عمر محمد) ٥٤٦

« العدم : تذكرته ٤٨٨-٥٠٠

« عذرة الانصاري ٥٤٦

« عساكر : من مخطوطته في حمامات دمشق ٤٠٥

ابن علقمة الصدفي ٣٦٣

« عمّار البكري ٥٥١

« غالب الرصافي ٣٨٣

« غتال ٣٦٣

« غلندُه ٣٩٣

« غيّاث ٥٦٤

« فرنون ٣٦٠

« قُزمان ٣٧٥

« كسرى ٥٤٥

« ليّال الأمي ٣٩٣

« المرخي ٥٦٣

« مسدة العامري ٤٠٠

« مطروح التجيبي ٥٨٣

ابن المتخل ٢٨٦
« نُصير ٥٤٤
« نوح النافتي ٥٦٣
« هرودس الانصاري ٢٨٣
« هشام الازدي ٥٨٣
« ورد التميمي ٢٦٤
« ولاد ٢٦٦
« يحنّشن الغازازي ٥٦٦
« يحيى الحضرمي ٢٩٠
ابو اسحق الازدي ٥٦٦
« اسحق التُطيلي ٢٦٧
« اسحق الذكواني ٥٥٣
« بكر بن سليمان ٢٩٠
« بكر الصدفي ٥٨٣
« بكر العامري ٢٦٠
« الحجاج الفهري ٢٩٥
« الحسن الانصاري ٢٨٠
« الحسن التجّار ٢٨٣
« الحسن بن مسلمة ٢٩٤
« الحسين البادي ٢٥٩
« الربيع الكلاعي ٥٦٩
« زيد السالمي ٢٨٦
« الطاهر الحُشني ٢٦٤
« العباس الانصاري ٢٧٩
« العباس الجرادي ٢٧٦
« العباس الصنهاجي ٢٦٣
« عبدالله الجسّيمي ٥٤٣
« عبدالله بن خلّصة اللخمي ٢٥٤
« العلاء المرّي ٥٣
« عمر الاقدي ٢٥٩
« المطرّف المخزومي ٥٧٣
« المعالي بن مرعي ٥٤٦
ابو الوليد بن عمر ٢٧٩
اثينة بوبيل المهد الفرناوي فيها ٦١٢
اجرة النسخ قديمًا ٢١٦
الادب : مظاهر نشاطه ٥٣-١٣ - مرقات ادبية ٤٢٧-٤٤١
ازياء الاكمام وما كانت تصاح له في الملابس العربية ٤٦٥-٤٧٦
اسبانية في عهدها الاسلامي ٤٢٦-٤٣٦
استشراقيات ٦٥
الاسكندرية في اواخر القرن الثاني للمسيح ٢٧-٥١
الاسلام : فن الطبخ واصلاح الاطعمة فيه ١-٢٦ — جزية روّوس النصارى فيه ١٤٥-١٥٦ — الوراقة والوراقون فيه ٢٠٥-٢٥٠
اصلاح الاطعمة وفن الطبخ في الاسلام ١-٢٦
الاطعمة : اصلاحها وفنّ الطبخ في الاسلام ١-٢٦
الاغذية والمأكولات ١٩٣-٢٦
الاكروشيش او فن التوزيع ودلالته على صحة نسبة كتاب الاكطويخوس ليوحنا الدمشقي ٥١٩-٥٤٣
الاكطويخوس : صحة نسبته ليوحنا الدمشقي ٥١٩-٥٤٣
اكليندوس الاسكندري : احكامه في اهل الاسكندرية ٢٨
الاكمام : ازياؤها ٤٦٥-٤٧٦
الامالي ومجالس الاملاء ٢١١
امرأة فوطيفار ويوسف الخيف ١٧١-١٨٩
أميّة بن ابي الصلت الاندلسي ٢٥٥
الانسان الاول : لمحة في حياته في العصر الظرّاني القديم ٢١٨-٢٤٨.
الانسي (عمر) ١١١
انطاليس : حقريّات كسار عتيل والانسان الاول ٢١٨-٢٤٨.
انطون (فرح) ٦١

اهية ومُهِمّ وصنيع ٤٨٤

ب

البراق ٢٩٦
البستاني (سعيد) ٨٨
البستاني (سليم) ٨٠
البستاني (فؤاد افرام) ٨٤
بطيك : خصائصها في الصناعة والزراعة قديمًا ١٥٧-١٦١
بيت شباب : صناعة الخزف فيها ٢٠١-٢١٧

ت

تاريخ اسبانية في عهدها الاسلامي ٤٢٦-٤٣٦
تحفة القادم لابن الابّار (مقتضب) ٣٥١ - ٤٠٤ ٥٤٣-٥٨٥
تذكرة ابن الحديم ٤٨٨-٥٠٠
التعليم الحرّ : مؤتمره الثقافي الثاني ٦٢١
تقيّ الدين (خليل) ٩٣
التوزيع (فن) او الاكروستيش ٥١٩-٥٤٢
- عند البرانيين ٥٢١ - عند السريان ٥٢٢ عند اللاتين ٥٢٦-عند اليونان ٥٢٨
- عند العرب ٥٣٥
ث
ثياب الشرب ١٢٧-١٤١
ثياب الوشي ١٠٦-١١٥

ج

جبران (جبران خليل) ٨٩، ١١٨
جزية رؤوس النصارى في الاسلام ١٤٥-١٥٦
الجليلي ٥٤٤
الجميل (قيصر) ١١٩
الجوالي او جزية رؤوس النصارى في الاسلام ١٤٥-١٥٦

ح

الحضارة : لغتها ٤٧٧-٤٨٧
حفريّات كسار عقيل فوق انطلياس ٣١٨-٣٤٨
حفصة الركونية ٥٨٥
حلب : وثائق تاريخية عنها في القرن الثامن عشر ٢٤٩-٢٧٠ - عدد سكانها في القرن الثامن عشر ٢٤٩ - التزامات فيها ٢٥٦-التراجمة فيها ٢٦٧
الحمام : آدابه واحكامه ٤٢٢
حمامات دمشق ٤٠١-٤٢٥
الحمامي النزّال ٥٧٩
حمدة بنت زياد المرفي ٥٨٣
الحويك (يوسف) ١١٩
حياة الانسان الاول في المصر الظراني ٣١٨-٣٤٨

خ

خزروس الحريري ٣٧٤
الخزف في بيت شباب ٢٠١-٢١٧
خصائص بطيك قديمًا في الصناعة والزراعة ١٥٧-١٦١
الخط : حسنه وضبطه ٢١٨

د

الدنا الكتّاني ٥٨١
دفائن الخزائن ٤٨٨-٥٠٠
دمشق : حماماتها ٤٠١-٤٢٥
الدويهي (اسطيفا) ١٢٠
ديوان ابن الساعاتي ٢٧١-٢٩٩

ذ

ذكريات ٥٨

ر

رابطة التعليم الحرّ : مؤتمرها الثقافي الثاني ٦٢١
الربضي ٥٦٣
رضيّ بن رضي ٣٤٥

ز

الزراعة : استعمال السرقين والسماد فيها قديمًا ١٦٢-١٧٠
الزُهري (ابو بكر) ٥٧٣
الزهري (ابو المطرّف) ٥٨٠

زيدان (جرجي) ٨٣

س

سرور (حبيب) ١١٨
سرقات المطعمين ٤٢٧-٤٤١
السرقين والسماد في الزراعة قديماً ١٦٣-١٧٠
سورية : الكونت دي ثولي فيها وفي لبنان ٥٠١-٥١٨

ش

الشرب : ثياب ١٢٧-١٤١
شرّ السرقات الادبية سرقات المطعمين ٤٢٧-٤٤١

ص

صفوان بن ادريس ٢٩٧
الصليبي (خليل) ١١٨
صناعة الخزف في بيت شباب ٢٠١-٢١٧
صنج واهمية وهمّ ٤٨٤

ط

الطبخ : فنّه واصلاح الاطعمة في الاسلام ١-٣٦ – المصنّفات القديمة فيه ١٦-١٨
الطبخ واصلاح الاغذية والمأكولات (كتاب) ١٩٠٣-٣٦

ظ

الظرّان القديم : حياة الانسان الاول في عصره ٢١٨-٢٤٨
ظرفيات ٦٣

ع

عبد البرّ الغسّاني ٥٥٧
العبدريّ (ابو الاصبغ) ٢٨٧
العبدري (ابو الربيع) ٥٦٥
عبد المنعم الخزراجي ٢٩٦
عبيد الله السكوني ٥٥٨
عدة الملات في تمداد الحمامات ٤٠٩
عوّاد (توفيق يوسف) ٩٧

غ

غالب بن اسماعيل الانصاري ٥٦٧
الغزّال الحامي ٥٧٩

ف

فاضل (مكاروف) ١١٩
الفتح الرباني والفيض الرحماني ٥٨٦ – ٦١١
الفتوّة والفتيان والفتيانية ٤٧٧
فرّوخ (مصطفى) ١٣٠
الفرنسوي (المهد) في اثينة : بوبيله المثوي ٦١٢
فن الطبخ واصلاح الاطعمة في الاسلام ١-٣٦
الفن القصصي اللبناني في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ٧٤-١٠٥
الفنون الجميلة : معرضها في المتحف الوطني ١١٦-١٣٦
فوطيفار : امرأته ويوسف العفيف ١٧١-١٨٩
ڤولي (الكونت دي) : في لبنان وسورية ٥٠١-٥١٨
في لبنان وسورية مع الكونت دي ڤولي ٥٠١-٥١٨

ق

القرآن : ترجمته ٦٨
القرم (داود) ١١٨
القصص اللبناني في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ٧٤-١٠٥

ك

كادعقيل : حفرياتها والانسان الاول فيها ٢١٨-٢٤٨ – حالتها ما قبل التاريخ ٢٢٢ – العظام الاثرية فيها ٢٢٩ – البقايا البشرية فيها ٢٤٣ – جيولوجيتها ٢٤٣ – ترتيب ازمنتها التاريخية ٢٤٥
كومون (فرانس) : وصيته الروحية ٦١٧

ل

لبنان : فنّ القصص فيه في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ٧٤-١٠٥ – الفنون الجميلة فيه ١١٦-١٣٦ – المدرسة فيه في

القرن التاسع عشر ١٩٠–٢٠٠ – حياة الانسان الاول فيه ٣١٨–٣٤٨–الكونت دي فولني فيه وفي سوريا ٥٠١–٥١٨
لمحة في حياة الانسان الاول في المصر الطرّاني القديم ٣١٨–٣٤٨

م

المأكولات والاغذية ١٩٣–٢٦
مجالس الاملاء والامالي ٣١١
محارب بن محارب الوادي آشي ٢٧٠
محاضرات ٥٤
المدرسة اللبنانية في القرن التاسع عشر ١٩٠– ٢٠٠
مطرّف بن مطرّف ٥٤٨
مظاهر النشاط الادبي ٥٣–٧٣
مع الكونت دي فولني في لبنان وسورية ٥٠١–٥١٨
معرض الفنون الجميلة في المتحف اللبناني ١١٦–١٢٦
المعرّي (ابو العلاء) ٥٣
المعلمون : مرقاضم ٤٣٧–٤٤١
معهد الآداب الشرقية ١٤٣–١٤٤
المعهد الفرنسوي في اثينه : يوبيله المئوي ٦١٣
مقتضب تحفة القادم لابن الآبّار ٢٥١ – ٤٠٠–٥٤٣–٥٨٥
مكي (احمد) ١٠١
الملابس العربية : ازياء الاكمام فيها ٤٦٥–٤٧٦
منشورات تعليمية ٥٧
المؤتمر الثقافي الثاني لرابطة التعليم الحرّ ٦٢١
المؤتمر الثقافي العربي الاول ٦٢٤
مؤتمران ثقافيان ٦٢٠
الميرتلي ٥٤٥
ميمون الهواري ٣٧١

ن

النابلسي (عبد الغني) : مخطوطه الفتح الرباني والفيض الرحماني ٥٨٦–٦١١
النجاري ٥٥٠
نزهون بنت القليعي ٥٨٣
النسخ : اجرته قديماً ٣١٦
النشاط الادبي : مظاهره ٥٣–٧٣
النصارى : جزية رؤوسهم في الاسلام ١٤٥–١٥٦

هـ

هند خادم ابي محمد الشاطبي ٥٨٤

و

وثائق تاريخية عن حلب في القرن الثامن عشر ٢٤٩–٢٧٠
الوراقة والوراقون في الاسلام ٣٠٥– ٣٥
وراقة المصاحف ٣٢٠
الورّاقون : سوقهم ٣٤٩
الورّاقون : مذاهبهم ٣٤٦
الورّاقون الاعراب والظرفاء ٣٣٩
الورّاقون الدلالون وجماعر الطرائف ٣٤٠
الورّاقون الرواة والاخباريون ٣٣١
الورّاقون الشعراء ٣٣١
الورّاقون العلماء والنحاة والادباء ٣٣٢
الورّاقون القضاة ٣٣٠
الورّاقون الكتبيون ٣٣٩
الورّاقون المحدّثون ٣٣١
ورّاقو الوزراء والعلماء ٣٤١
الوراقون مؤلفو الاسمار والخرافات ٣٤٢
الوشي : ثياب ١٠٦–١١٥
وصية فرانس كومون الروحية ٦١٧

ي

اليازجي (الشيخ ابراهيم) ٥٨
اليوبيل المئوي للمعهد الفرنساوي في اثينة ٦١٣
يوحنا الدمشقي : صحة نسبة كتاب الاكطويخوس اليه ٥١٩–٥٤٣
يوسف العفيف وأسرأة فوطيفار ١٧١–١٨٩
يوسف بن طملوس ٥٦٥
يوسف بن عبد الهادي : مخطوطته : عدة الملمّات في تعداد الحمامات ٤٠٩ – مخطوطته : آداب الحمام وأحكامه ٤٢٢

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE MENSUELLE

SCIENCES. LETTRES. ARTS

Sous la direction

des Pères de la Compagnie de Jésus

UNIVERSITÉ SAINT-JOSEPH

Quarante et unième année

1947

BEYROUTH
IMPRIMERIE CATHOLIQUE
1947

TABLE DES SOMMAIRES

XLI[e] ANNÉE, 1947

◇

JANVIER-MARS

L'art culinaire en Islam, (p. 1), *M. Habib Zayat.*

Alexandrie vers la fin du II[e] siècle, (p. 27), *P. Claude Mondésert*, S. J.

Manifestations de l'activité littéraire arabe: Aperçu critique, (p. 52), *M. Fouad E. Boustany.*

L'art du Conte au Liban, (p. 74), *M. Victor Cl. Karam.*

Les habits de brocart chez les Arabes, (p. 105), *M. Habib Zayat.*

L'Exposition des Artistes Libanais au Musée de Beyrouth. (illustr.), (p. 115), *M. Ruschdi Maalouf.*

Les habits de lin fin chez les Arabes, (p. 137), *M. Habib Zayat.*

Institut de Lettres Orientales : année scolaire 1946-1947, (p. 142).

AVRIL-JUIN

Les colonies étrangères ou la Capitation des Chrétiens en Islam, (p. 145). Baalbek et ses caractéristiques autrefois, (p. 157). L'engrais humain et son emploi autrefois, (p. 162). *M. Habib Zayat.*

Joseph et la femme de Putiphar ; poèmes de Romanos le Mélode, (p. 171), *P. Nicolas Kadri, O. B.*

L'Ecole libanaise à l'ombre des chênes et des couvents au XIX[e] siècle, (p. 190), *M[r] Lahad Khater.*

Fabrication de la Poterie à Beit-Chebab, (illustr.) (p. 201), *P. Maurice de Fenoyl, S. J.*

La vie de l'homme préhistorique à la lumière des fouilles de Ksar 'Aqil près d'Antélias, (illustr.) (p. 218), *P. G. Franklin Ewing, S. J.*

Contribution à l'histoire d'Alep : le cens, les impôts, les drogmans, (p. 243), *P. Ferdinand Taoutel, S. J.*

Bibliographie (p. 271).

JUILLET-SEPTEMBRE

Librairie & Libraires en Islam, (p. 305), *M. Habib Zayat.*

Tuḥfat al-Qadim, manuscrit littéraire d'Ibn Abbar : I. (p. 351), *M. Alfred Boustany.*

Les Bains de Damas, (illustr.) (p. 401), *M. Salah-ed-Din el-Monajjed.*

L'Histoire de l'Espagne Musulmane, (p. 426), *P. E. Lator, S. J.*

Varia : Larcins littéraires, (p. 437).

Bibliographie. (p. 442).

OCTOBRE-DÉCEMBRE

Les manches dans les vieux habits arabes (p. 465). Notes linguistiques (p. 477). Un manuscrit d'Ibn al-'Adim. (p. 488). *Mr Habib Zayat.*

Avec le comte de Volney au Liban et en Syrie, (p. 501), *Mr Joseph Ghossoub.*

L'acrostiche et l'authenticité d'un ouvrage de St Jean Damascène (p. 519), *P. N. Kadri, O. B.*

Tuḥfat al-Qadim, manuscrit littéraire d'Ibn Abbar : II (fin), (p. 543), *M. Alfred Boustany.*

Al-Fatḥ ar-Rabbani, manuscrit soufi du Cheikh 'Abd el-Ghani Nabulsi, (p. 586), *P. Antoine Chibli.*

Varia : Le centenaire de l'Ecole française d'Athènes, (p. 612) *P. C. M.*
Le testament spirituel de Franz Cumont (p. 617), *P. R. M.*
Deux Congrès Culturels (p. 620).

Tables du Machriq pour 1947.